

الرحلة الأوربيون

في مملكة بيت المقدس الصليبية

١٠٩٩ - ١١٨٧ ميلادية



0158674



Bibliotheca Alexandrina

الرحالة الأوربيون

الطبعة الأولى
١٩٩٢م

مكتبة مديولى
٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
تليفون وفاكس : ٧٥٦٤٢١

الرحالة الأوروبيون

في مملكة بيت المقدس الصليبيّة

١٠٩٩ - ١١٨٧ ميلادية

تأليف

د. محمد مؤنس أحمد عوض

كلية الآداب - جامعة عين شمس

القاهرة ١٩٩٢م

الإهداء

الى أستاذى أ . د . قاسم عبده قاسم

أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية

الآداب جامعة الزقازيق وفاء واعزازا وتقديرا ..

« ارتحلوا انطلقوا أيها الرحالة ، فأنتم

لستم نفس الأشخاص عند بدء الرحلة ، ..

ت ، س * اليوت

المقدمة

يتناول هذا الكتاب بالدراسة ، الرحالة الأوربيين في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ - ١١٨٧ م) . وهو بذلك يحوى موضوعا من أهم الموضوعات فى تاريخ الحروب الصليبية ، ومرجع تلك الأهمية - فى تقديرى - يرتبط ارتباطا وثيقا بوضعية أولئك الرحالة أنفسهم ، فقد زاروا المنطقة خلال مرحلة الصراع الإسلامى - الصليبي وسجلوا كل ما شاهدوه من أوضاع سواء على المستويات السياسية أو الاقتصادية أو الدينية . وفضلا عن ذلك فإنهم أحيانا يشهدون أحداثا سياسية هامة جرت فى المنطقة فى خضم ذاك الصراع ، وهكذا ، فمن الممكن رصد تاريخ مملكة بيت المقدس الصليبية من خلال مؤلفات أولئك الرحالة ، مع عدم اغفال أهمية المصادر التاريخية الأخرى بطبيعة الحال .

وهن الملاحظ أن اهتمامات أولئك الرحالة جاءت مختلفة عن اهتمامات المؤرخين الرسميين ، إذ أن المؤرخ الصليبي وليم الصوري William of Tyre - وهو مؤرخ المملكة على مدى القرن الثانى عشر م - كتب تاريخه من خلال الاهتمام بالجانبين السياسى والحربى ، ولم تحظ الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والدينية بنفس الاهتمام من جانبه . ولذلك فإن مؤلفات الرحالة الأوربيين ، سواء كانوا من المسيحيين أو اليهود ، الذين زاروا المنطقة حينذاك تقدم لنا مادة تاريخية هامة عن تلك الجوانب التى قل تناولها .

ومع ذلك فهم لم يكونوا مؤرخين محترفين . ولا نتوقع أن نجد منهم من له نفس التكوين الفكرى لمؤرخ المملكة الصليبية الفذ ، ومن ثم لا نجدهم فى بعض الأحيان يشهدون رواياتهم بالأسانيد والدراهين الدالة على صدقها ، وأحيانا أخرى يأخذون ما سمعوه من أفواه معاصريهم على أنه حقيقة واقعة واجبة التصديق ، غير أن هذا

النقص يمكن تداركه من خلال مقارنة المصادر التاريخية والاقتراب من الحقيقة قدر الامكان .

ومن ناحية اخرى ، نجد ان أولئك الرحالة لم ينفصلوا عن عصرهم بل كانوا افراسا صادقا لذلك العصر ، والعصور الوسطى بصفة عامة توصف بأنها عصور الايمان ، سواء في الشرق الاسلامي أو الغرب المسيحي ، وقد سيطرت الناحية الدينية على عقول الناس خلال تلك المرحلة ، ويصدق ذلك بوضوح على الرحالة الأوروبيين الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية ، اذ انهم اهتموا اهتماما خاصا بالناحية الدينية من ذكر الكنائس ، والأديرة ، والمزارات المقدسة ، وايراد العديد من معجزات السيد المسيح عليه السلام ، والحواريين، والقديسين ، فضلا عن العديد من الاساطير .

وتعليل اتساع مساحة الجانب الديني في رحلاتهم لا يعود فقط الى طبيعة العصر، بل ايضا الى أنهم كتبوا تلك الرحلات في الاصل لكي تكون دليلا مرشدا لغيرهم من الحجاج الذين يقدمون الى تلك المنطقة حتى يتعرفوا على الأماكن المتصلة بذكرىات المسيحية في عهدها المبكر في فلسطين ، وهي التي كانت الشغل الشاغل لهم .

وقد مثلت الناحية السابقة مشقة أمام البحث ، اذ تطلب استخراج الاشارات ذات الدلالات السياسية والاقتصادية والمذهبية - أحيانا - وذلك دون الاغراق في الجانب الكنسي الذي تفيض به مؤلفات أولئك الرحالة ، ومقارنة تلك الاشارات بما ورد لدى المؤرخين المعاصرين سواء الصليبيين أو المسلمين .

وتجدر الإشارة الى ان اختلاف جنسيات أولئك الرحالة قد افاد في اختلاف نظرتهم وتعددتها ، فهناك الرحالة الأسباني والألماني والروسي ، ومن الطبيعي ان تختلف اهتمامات كل منهم وفقا للبيئة التي نشأ فيها ومعطياتها السياسية والاقتصادية والدينية ، ونفس الأمر بالنسبة للجانب العقائدي ، فمن أولئك الرحالة المسيحي ، ومنهم اليهودي ، وتعددت واختلفت اهتمامات كل طرف ، فالأول اهتم بإيراد الأماكن المسيحية المقدسة وتناول أوضاع الصليبيين في مملكة بيت المقدس الصليبية . أما اليهودي فقد جعل جل اهتمامه منصبا على أعداد اليهود وأعمالهم ونشاطهم الاقتصادي ووضعهم في المنطقة ، وعلاقتهم بالقوى الاسلامية وكذلك الصليبية .

ومن العقبات التي تعترض طريق البحث في موضوع الرحالة الأوروبيين في مملكة بيت المقدس الصليبية ، أننا لا نعرف الاقل القليل عن الجوانب الشخصية لكل رحالة، وليست لدينا تراجم مفصلة عن كل منهم على نحو يعيننا في فهم رحلته ودراستها بصورة أكثر تفصيلا ومع ذلك فمن الممكن معرفة بعض الاشارات عنهم من خلال المعلومات المتناثرة التي تحويها رحلاتهم نفسها ، وذلك على الرغم من ادراكنا الكامل لحقيقة ان الرحالة عندما يكتب رحلته يتحدث عن الآخرين ، والمحيط الذي تعامل معه أكثر من

حديثه الشخصى عن نفسه هو ، وهنا نجد مفارقة واضحة بين الرحالة للأوروبيين والرحالة المسلمين فى البحور الوسطى ، فالأخرون نجد أن كتب الوفيات والتراجم قدمت لنا مادة تاريخية مفصلة عنهم وعن شخصياتهم وتطور مراحل حياتهم ، بينما افتقدنا هذا الجانب بالنسبة للرحالة الأوروبيين حينذاك .

وهناك - فضلا عما سبق - ناحية هامة من الضرورى التنويه عنها ، إذ أن أولئك الرحالة عاشوا فى عصر الحروب الصليبية ، وخاصة خلال القرن الثانى عشر م ، بما احتواه ذلك العصر من صور التعصب الواضح من جانب الصليبيين ضد كل ما هو غير مسيحي ، ومن ثم احتوت رحلاتهم على اشارات متحاملة تجاه المسلمين واتهموهم بأنهم وراء كل خراب حل بفلسطين خلال المرحلة التى سبقت خضوعها للسيادة السياسية الصليبية من خلال اقامة مملكة بيت المقدس هناك ، ومن ثم تطلب الأمر الحيطة والحذر فى معالجة مثل تلك الروايات وعدم الأخذ بها كحقيقة تاريخية واقعة ، إذ أن ذلك العصر شهد صراعا حريبا وسياسيا عنيفا بين الجانبين الاسلامى والصليبي وانعكست الروح العدائية على كل ما كتب ووصل إلينا من ذلك العصر ، ويصدق ذلك بصورة واضحة على مؤلفات أولئك الرحالة .

وتحتوى هذه الدراسة على تناول لتسعة من الرحالة الأوروبيين ، وهم سايولف الذى قام برحلته فيما بين عامى (١١٠٢ ، ١١٠٣ م) ودانيال وقام برحلته بين عامى (١١٠٦ - ١١٠٧ م) وفيلوس (١١١٨ - ١١٣٠ م) ويوحنا الوردزيرجى (١١٦٠ - ١١٧٠ م) وايو فروزين (١١٦٢ - ١١٧٢ م) وبنيامين التپلى (١١٦٣ - ١١٧١ م) وثيودريش (١١٧١ - ١١٧٢ م) وبناحيا الراتسبونى (١١٧٤ - ١١٨٧ م) ويوحنا فوكاس (١١٨٥ م) . وقد قدمت لهم بمدخل تناولت فيه التطور التاريخى للرحلة الأوربية الى فلسطين حتى اخريات القرن الحادى عشر م .

ومن الضرورى أن أقرر عدم عثورى على أية دراسة علمية متخصصة باللغة العربية عن موضوع الرحالة الأوروبيين فى مملكة بيت المقدس الصليبية وذلك باستثناء مقالة كتبها يوغوليوبسكى فى مجلة المشرق عن رحلة السائح الروسى الأب دانيال فى أول عهد الصليبيين^(١) وذلك فى أحد أعداد عام ١٩٢٦ م . وقد غلب عليها الطابع الدينى الكنسى بصوره واضحة . ومن ناحية أخرى ، ينبغى الانغفل الجهد الذى قام به نقولا زيادة ، عندما تناول بعض أولئك الرحالة بصورة مقتضية فى أحد فصول دراسة

(١) أنظر : مؤنس أحمد عوض ، بيليوغرافيا الحروب الصليبية ، المراجع العربية والعربية ، ندوة التاريخ الاسلامى والوسيط ، م (٣) تحرير قاسم عبده قاسم ورافقت عبد الحميد ، ط القاهرة ١٩٨٥ م ، ص ٤٢٦ .

قام بأعدادها وذلك فى عدة صفحات (١) وقد صدرت دراسته بعنوان « رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى » ، منذ ما يزيد على الأربعين عاما ، ولا ريب فى أنه على مدى تلك السنوات الطويلة منذ صدوره حتى الآن صدر خلالها العديد من الدراسات التاريخية المتخصصة عن مرحلة الحروب الصليبية على نحو أعان على فهم جوانب رحلات أولئك الرحالة بصورة لم تكن متوافرة من قبل .

وقد قمت بدراسة كل رحلة بصورة مستقلة موضحا ما تناوله من زوايا سياسية وجوانب اقتصادية ، وبواح دينية ، دون الاغراق فى الجانب الكنسى الذى نجده بنفسيات كبيرة فى معظم تلك الرحلات لاعتقائى بأن ذلك يحتاج الى باحث متخصص فى الآثار المسيحية فى بيت المقدس خاصة الكنائس ، كذلك اتجهت الى عقد مقارنة بين أولئك الرحالة قدر المستطاع وفى نفس الحين لم أغفل أن أعقد مقارنات بينهم وبين الرحالة المسلمين المعاصرين لهم .

وأود أن أقرر هنا اننى تناولت فى معرض دراستى لمؤلفات أولئك الرحالة ما ذكره بشأن امارتى أنطاكية وطرابلس ، على اعتبار أنهما كانتا تابعتين لمملكة بيت المقدس الحسبيية ، ومن جهة أخرى ، وقع اهتمامى على ايراد كافة الجوانب الايجابية وكذلك السلبية فى رحلة كل رحلة ، مع عدم اغفال روح وطبيعة العصر ، والمرحلة التاريخية ذاتها التى أملت تصورات معينة ، وحرصت على التعرض بالنقد لبعض الرويات ذات الطابع الأسطوري أو التى يغلب عليها طابع المبالغة أو سمة التعصب .

وأخيرا ، أود أن أعبر عن تقديرى للقائمين بالعديد من المكتبات مثل مكتبات كلية الآداب - جامعة عين شمس وكلية الآداب - جامعة الاسكندرية ، وكلية الآداب - جامعة الزقازيق ، وجامعة القاهرة والجمعية التاريخية المصرية ، وكذلك الجمعية الجغرافية المصرية ، والجامعة الأمريكية ، وخاصة قاعدة كريسويل بها ، ودار الكتب المصرية ، والمعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، وكذلك المعهد الألمانى للآثار ، ودير الآباء الدومنيكان ودير الآباء الفرنسيسكان ، فضلا عن المكتبات الخاصة للعديد من الاصدقاء والزملاء .

ولا يفوتنى أن أقدم خالص تقديرى وشكرى لاثنتين من المستشرقين ، أحدهما الأمريكى كريستوفر ملتشرت Christopher Melchert بجامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية . وثانيهما المستشرق الفرنسى بيير تينار Pierre Thenard وقد قدما لى العديد من الدراسات الهامة عن عصر الحروب الصليبية فى بلاد النصارى على نحو أفادنى فى أعداد هذه الدراسة .

(٢) تم تناول أولئك الرحالة فى الكتاب المذكور خلال الصفحات الممتدة من ص ٨٢ الى ص ٨٥ ، وقد أغفل الحديث عن بعضهم ، وتناول البعض الآخر فى أسطر معدودة .

كذلك أقدم تقديري الى د. د. قاسم عبده قاسم أستاذ العصور الوسطى بكلية الآداب - جامعة الزقازيق . والذي كان أول من عرفني على أولئك الرحالة منذ عدة أعوام وأفادني بملاحظات هامة عند مناقشتي معه في بعض جوانب البحث ، كذلك د. د. أحمد رمضان أحمد ، أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية الآداب - جامعة عين شمس الذي شجعني على أن أمضي في تأليف هذا البحث وقدم لي العديد من الملاحظات القيمة ، والحق أن الجهد الذي بذله معي ، يجعلني أكرر تقديري الخاص لسيادته ، ثم هناك أيضا د. د. اسحق عبيد أستاذ العصور الوسطى بكلية الآداب - جامعة عين شمس الذي أفادني بملاحظات هامة في المرحلة المبكرة من اعداد البحث .

وفي الختام أقدم تقديري للصديق العزيز/ د. الحسين زغلول مدرس التاريخ المصري القديم لمعاونته لي في ترجمة إحدى الدراسات الهامة باللغة الألمانية ، وأنني أدين له بعظيم التقدير لما بذله من جهد معي في هذا الشأن . وفضلا عن ذلك هناك دور هام قام به الصديق العزيز الأستاذ/ عبد الله رمزي . مدرس مساعد الأدب العبري بقسم اللغة العبرية بكلية الآداب - جامعة عين شمس . إذ قام بترجمة رحلة الرحالة اليهودي الألماني بتاحيا الراتسبونى عن أصلها العبري ، بصورة أفادتني بشكل واضح في اعداد الفصل الخاص بذلك الرحالة . كما أتوجه بالشكر للأستاذ/ عرفه السيد، أمين مكتبة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية لما أسداه لي من خدمة مخصصة هادئة للاستفادة من المكتبة المذكورة .

والله اعلم بالصواب

ويبقى لي أن أتوجه بآيات العرفان والاعزاز العميق لوالدي اللذين شجعاني بصفة مستمرة على المضي في اعداد هذه الدراسة ، ولا أملك أية كلمات تفي بحقهما وبفضلهما على ، فجزاهما الله عنى خير جزاء ، أما زوجتي الفاضلة فلها منى خالص التقدير إذ وقفت الى جوارى طوال ثلاث سنوات ، هي عمر تأليف هذا الكتاب منذ أن كان فكرة الى أن صار واقعا وحقيقة ، فلها منى خالص التقدير والعرفان .

وأخيرا أذكر قوله تعالى :

« وفوق كل ذي علم عليم » .

وعلى الله قصد السبيل .

د. محمد مؤنس أحمد عوض

مصر الجديدة في ١٩٩١م

المدخل

**الرحلة الأوربية الى فلسطين
حتى اخريات القرن الحادى عشر م**

الرحلة الاوربية الى فلسطين حتى اخريات القرن الحادى عشر م

يتطلب تناول الرحالة الأوربيين فى مملكة بيت المقدس الصليبية - بالضرورة - عرض التطور التاريخى للرحلة الاوربية الى فلسطين حتى أخيرلت القرن الحادى عشر م حينما اندلعت الحروب الصليبية من الغرب الاوربى طمعا فى المغنم الاقتصادية للشرق الأدنى الاسلامى ومتسترة تحت شعار الصليب ، ومن الطبيعى تناول ذلك التطور التاريخى على كافة المستويات الدينية والسياسية والاقتصادية .

ويلاحظ أن المؤلفات التى كتبها الرحالة الاوربيون الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ - ١١٨٧ م) تمثل - فى الواقع - امتدادا تاريخيا لرحلات أولئك الرحالة الذين زاروا المنطقة فى مرحلة ما قبل اندلاع الصليبيات ، اذ أن رحالة كل مرحلة قاموا بزيارة نفس الاماكن المتعلقة بذكرىات المسيحية المبكرة ، والتى ورد ذكرها فى الكتاب المقدس ولأسيما العهد الجديد ، وان اختلفت رواياتهم بالطبع من خلال طبيعة العلاقات السياسية الدولية خلال كل مرحلة عاصرها كل رحالة، وكذلك اختلاف شخصية كل رحالة من حيث ثقافته وبيئته وقدرته على الملاحظة وتحليل ما يشاهده فى المنطقة من أحداث ومواقف معينة ، ولا نزاع فى أن تلك الفروق الفردية تلعب دورا هاما فى اختلاف نوعية كل رحلة عن الأخرى وبالتالي اختلاف نظرة الباحثين لها .

وقد تعددت الدوافع التى دفعت بالاوربيين الى القدوم الى فلسطين خلال تلك المرحلة ، فهناك مثلا الرغبة فى الحج Peregrinatio ، وزيارة الاماكن والمواقع التى ارتبطت بسيرة السيد المسيح عليه السلام ، ومثل عامل الحج جانبا هاما فى الدوافع التى حدث بهم الى القدوم الى المنطقة ، ومن ثم سنتناوله بصورة مفصلة .

وبالإضافة الى ذلك ، مثل الدافع الاقتصادى ركنا ركيئا بين دوافع الرحلة الاوربية الى هناك ، اذ أن الكثيرين ذهبوا الى فلسطين وعادوا ومعهم العديد من المقتنيات والسلع التجارية من أجل بيعها فى أوطانهم على سبيل تحقيق أرباح وفيرة ، خاصة اذا ما علمنا أن العديد من الأسواق التجارية قد عقدت فى تلك البقاع وقد مثل الحجاج قوة شرائية لها شأنها ، وفضلا عن ذلك وجد الكثيرون من التجار الذين انضموا الى صفوف الذين قاموا برحلة الحج الى فلسطين ، ولا ريب أنهم أرادوا الوقوف على احتياجات الشرق التجارية وهو أمر له أهميته البالغة لديهم .

وهناك أيضا الرغبة الملحة فى استجلاء سحر الشرق وغموضه ومشاهدة معالمه بوصفه مائلا غريبيا عن أعين الأوربيين ، كذلك وجدت رغبة قوية لدى المسيحيين الأوربيين فى الوقوف على أوضاع اخوانهم المسيحيين الشرقيين خاصة عندما خضعوا

لسيطرة قوى سياسية غير مسيحية مثل القوى الاسلامية ، ولم يكن من اليسير معرفة ذلك دون الارتحال الى هناك ومتابعة أوضاعهم عن كثب .

وقد قام العديد من الرحالة الاوربيين بالارتحال الى فلسطين في مرحلة ما قبل الحرب الصليبية ، وتركوا مؤلفات هامة تروى تصوراتهم للمنطقة وأهم معالمها المقدسة ولا شك أن ذلك أفاد في تتبع التطور التاريخي للرحلة الاوربية الى تلك البقاع .

وبداية نقرر أن المسيحية ذاتها لم تقرر أمر الحج الى القدس ولا توجد أدنى إشارة في العهد الجديد الى تلك الناحية ، ومع ذلك فمنذ أبكر الأزمنة شعر المسيحيون بالرغبة القوية في أن يروا بأنفسهم تلك الأماكن التي ارتبطت بذكرىات المسيحية المبكرة مثل الموضع الذي ولد فيه السيد المسيح عليه السلام ، والأماكن التي تنقل فيها في أرجاء فلسطين المختلفة مبشرا بالدين الجديد ، وقد ورث المسيحيون عن اليهود تقديرا كبيرا لدينة القدس^(١) .

وفي خلال القرنين الأولين للميلاد ، لم يكن أمر الترحال بهدف الحج الى المدينة المقدسة أمرا ميسرا ، إذ أن المدينة امتدت اليها يد التدمير عام ٧٠م على يد القائد الروماني تيتوس Titus^(٢) . وذلك أثناء ثورة اليهود ، كذلك فإن السلطات الرومانية ساهمت بدورها في هذا الوضع ، إذ لم تكن لتسمح بمثل ذلك النشاط الديني في القدس .

وخلال تلك المرحلة المبكرة ، وجدت اشارات عن عدد من الأشخاص ذهبوا الى فلسطين الحج ، ومن أمثلتهم الاسقف فرميليان Firmilian of Caesates Mazaca وقد زار القدس في وقت مبكر من القرن الثالث^(٣) . وهناك أسقف كبادوكي هو الكسندر Alexander والذي زارها من بعد زيارة فرميليان بسنوات قليلة^(٤) .

ويلاحظ أن التطور الحقيقي في فكرة الحج في المسيحية حدث في عصر قسطنطين ، الذي أوقف الاضطهاد الذي كان قد حل بالمسيحية ، وعمل على أن يتبع سياسة متوازنة تجاه القوى الدينية في الامبراطورية الرومانية^(٥) ، ونجد أن أمه هيلينا Helona (سانت هيلينا فيما بعد) ارتحلت الى فلسطين من أجل الكشف عن رفات السيد المسيح - كما يعتقد المسيحيون - والحصول على كافة متعلقاته ، وقامت بالعثور على خشبة الصليب - كما يتصور المسيحيون - وأقامت موضعها كنيسة القيامة ، ومنذ ذلك الحين صار الحج الى تلك البقاع تقليدا قائما لدى المسيحيين^(٦) . وهم الذين حرصوا على أن يقتفوا أثر القدسة هيلينا في ذهابها الى هناك .

ومن بعد رحلة القديسة هيلينا لدينا العديد من الاشارات عن أشخاص قاموا بالارتحال الى تلك البقاع التي عدت من أقدس مقدسات المسيحيين ، ومن أوائل الذين

قاموا بالارتحال الى هناك رجل من بورديو Bordeaux وقد كتب رحلته عام ٣٣٢م^(١) عندما أكمل الامبراطور قسطنطين مبانيه هناك ، ومن بعد ذلك بنحو نصف قرن قدمت للحج سيدة تسمى ايثرى Aethria وأحيانا عرفت باسم القديسة سيلفيا St. Silvia الأقطانية^(٨) ، ومن المحتمل أنها قدمت من فرنسا ، أو إسبانيا ، أو منطقة تطل على المحيط الاطلنطي .

ولعل من أهم الشخصيات التي قامت بالحج الى فلسطين خلال تلك المرحلة وتركت مؤلفات هامة في هذا الشأن ، القديس جيروم St. Jerome^(٩) ، وقد أمضى فترة من الوقت في الصحراء بشمال بلاد الشام عند منطقة قنسرين من أجل أن يعد نفسه راهبا ، وبالفعل اختار الحياة الدبرانية ، وفي مرحلة من مراحل حياته غادر روما الى الشرق في أغسطس من عام ٣٨٥م ، وفي الخريف ذهب الى أنطاكية من أجل مقابلة سيدتين من النبيلات من روما أم وابنتها وكانتا قد قررتا أيضا القدوم الى الشرق وأن تمضيا البقية الباقية من عمريهما في الشرق كراهبتين واسمهما بولا Paula وايسستوكيوم Eustochium^(١٠) . ومن أنطاكية شرع الثلاثة في رحلة الحج والتي وصفها جيروم في خطابين أحدهما كتب في عام ٣٩٢م/٣٩٣م بعد ستة أعوام من قيامه برحلة الحج ويخاطب فيه سيدة نبيلة رومانية تدعى مارسيليا Marcella ويدعوها للقيام بنفس رحلته ويصف لها في خطابه ما ينتج لها من مغائم ومكاسب روحية من جراء القيام برحلة الحج الى الأرض المقدسة غير أنه لا يسهب في التفاصيل^(١١) . أما الخطاب الثاني فنجد القديس جيروم يصف فيه رحلة الحج التي قام بها مع بولا Paula... منذ تسعة عشر عاما يخلت^(١٢) .

وتأتى أهمية القديس جيروم ودوره في تطور فكرة الحج الى بيت المقدس من خلال ادراك أنه اعتقد أن من التدين التعبد في الموضع الذي وطأته قدما السيد المسيح عليه السلام^(١٣) . وقد قوبل رأيه بالذيع والانتشار والتحمس من أجل الاقتداء به وفاء ، تضاعف عدد الحجاج الاوربيين الذاهبين الى المدينة المقدسة وشجعهم على ذلك دعم السلطات الرسمية البيزنطية بل لقد صار في بيت المقدس وحولها مائتا دير ونزل تم تشييدها من أجل استقبال أولئك الحجاج وجميعها تقريبا كانت تحت الاشراف الرسمي البيزنطي^(١٤) .

وامتد الاهتمام بأمن الحج الى بيت المقدس ليشمل الطبقة العليا ، ومن ذلك أنه في منتصف القرن الرابع استقرت ايودوكيا Eudocia وهي زوجة الامبراطور ثيودوسيوس الثاني Theodosius II استقرت في القدس وأظهرت الامبراطورة اتجاها جديدا عندما قامت بارسال مقتنيات هامة الى أحد أقاربها في القسطنطينية ، ومن أمثلتها صورة للسيدة العذراء والسيد المسيح عليهما السلام ويقال انها صورت علي يد القديس لوقا St. Luke^(١٥) .

وفد أبرز هذا الموقف ما اتصل برحلة الحجاج الى بيت المقدس من اقتناء الذخائر المقدسة مثل رفات القديسين والشهداء وملابسهم ومتعلقاتهم الشخصية ، وقد اكتسب أولئك الحجاج بعد عودتهم الى بلادهم مكانة مرموقة من خلال اقتنائهم لتلك المقتنيات التي تعود الى عهود المسيحية المبكرة وقد تم استخدامها من أجل تزيين الكنائس كذلك فان الملوك والأمراء في الغرب الأوربي حرصوا على اقتنائها اعلاء لشأنهم في نظر رعيته (١٦) .

ومن القرن الخامس م وصلت الينا رحلة الى الأرض المقدسة قام بها رجل يدعى ايو خيريوس Eucherius وقد عمل أسقفًا لليون Lyons خلال المرحلة الواقعة من حوالي عام ٤٣٤م الى ٤٤٩م (١٧) . وقد كتب خطابًا تناول فيه أمر رحلة الحج التي قام بها ، وأرسل ذلك الخطاب الى صديق له يدعى فاوستس Faustus (١٨) .

ومن جهة أخرى ، لدينا من نفس القرن مؤلف هام عن رحلة حج قام بها بطرس الأيبيري Peter The Iberian وقد كان أسقفًا مونوفيزيتيًا (مذهب الطبيعة الواحدة للسيد المسيح) ولذا ، فقد عانى من الاضطهاد الذي حل به وكتبت سيرة حياته حوالي عام ٥٠٠م من جانب أحد تابعيه ، وهو يوحنا رفوس John Rufus (١٩) وقد رافقه على مدى حياته ، وصاحبه في قسم من أسفاره في فلسطين ، ومن الواضح انه قام بتلك الرحلة في عام ٤٣٧م حيث ارتحل من ايبيريا (ضمن حدود جمهورية جورجيا Georgia في الاتحاد السوفيتي حاليًا) الى القدس ، والجديد في أمر ذلك الحاج انه لم يكتب رحلته بنفسه وإنما كتبها أحد تابعيه (٢٠) .

وقد شهد القرن التالي ونعني به القرن السادس ازدهارا واضحا لحركة الحج وتزايدت رحلات الرحالة الأوربيين وكتبت رحلات متعددة تخلد ذلك ولكي تساعد الحجاج الآخرين الذين سیرتحلون الى الأرض المقدسة ، ومن الأمثلة التي وصلت الينا من رحالة ذلك العصر ثيودوسيوس Theodosius (٢١) وAntonius Martyr (٢٢) ، ويرى البعض انه كانت لا تزال هناك صلات تجارية بين الشرق والغرب ، ولم تكن هناك صعوبة لمواصله الحج الى فلسطين ، وفضلا عن ذلك هناك رحلة وصلت الينا قام بها حاج من بياكنزا Placenza (٢٣) وهو من الحجاج المجهولين الذين تركوا مؤلفاتهم عن رحلاتهم الى القدس ، وقد تناول ذلك الرجل كافة المناطق التي شاهدها في رحلته وكذلك الأشخاص الذين اتصل بهم وتعامل معهم .

ومن المظاهر الدالة على ازدهار الحج خلال ذلك القرن تأليف مؤلفات مرشدة للحجاج ، ومن أمثلتها كتاب مرشد أو دليل لبيت المقدس The Breviarus of Jerusalem (٢٤) ، ويبدو انه ألف من أجل أن يكون دليلًا للحج ، خلال القرن السادس م ، ومثل تلك المؤلفات من المفترض انها وزعت في الغرب الأوربي ، وكذلك في الأماكن المقدسة ، وربما كانت تنتج على صورة صفحات غريضة ، وقام وكلاء

السفن بعرضها على المسافرين^(٢٥) من الحجاج ، نظرا لكونهم مقبلين على زيارة أماكن جديدة بالنسبة لهم ولم يألّفوها من قبل .

أما القرن السابع فقد شهد تطورا هاما في مسيرة الرحلة الأوربية الى الأماكن المقدسة ، اذ تزايد الاتجاه نحو الحج من أجل التكفير عن الذنوب ، وهنا ينبغي أن نقرر أن ذلك الاتجاه وجد حتى من قبل ذلك القرن ، فالقديس ماركيانوس Marcianus (القرن الخامس) استطاع أن يقنع البغايا التائبات بضرورة التكفير عن ذنوبهن من خلال الذهاب الى بيت المقدس والقيام برحلة الحج بفضل ما تحويه من شحنة دينية ونفسية مؤثرة ، وفي القرن السادس ذهب أهل الرها الى هناك من أجل التكفير عن الآثام التي اقترفوها في حق الرب ، ومع ذلك فإن القرن السابع شهد اتساع نطاق الناحية التكفيرية ويرى البعض أن التأثير الأيرلندي كان واضحا في هذا المجال ، وفي هذا الصدد وجد دور للقديس كولومبان St. Columban (٢٦) الذي عمل على إقامة العديد من الأديرة وشجع أمر الترحال الى الأرض المقدسة ، ويلاحظ أن نظام التكفير الأيرلندي تقرر فيه أن يقوم الشخص الذي ارتكب الخطايا والآثام برحلة حج طويلة وشاقة ، وذلك من أجل أن يكفر عن تلك الآثام ، وهناك من يقرر أن هذه الاتجاه تطورت ووضعا فيما بعد الى حد صار معها خلال القرن الثامن م ، بمثابة ظاهرة دينية شائعة في كافة أنحاء القارة الأوربية^(٢٨) .

وتجدر الإشارة الى أنه خلال القرن السابع م ، وصلت إلينا رحلة هامة قام بها الأسقف الفرنسى اركولف Arculf ، وذلك في عام ٦٧٠م والتي شملت مناطق مصر وبلاد الشام وكذلك القسطنطينية ، ومن الواضح أنه صادف مصاعب جمة خلال قيامه بالارتحال الى فلسطين لزيارة الأماكن المقدسة هناك ، وهو أمر ذكره بصورة واضحة في ثنايا رحلته^(٢٩) .

ومن الأهمية بمكان ملاحظة أنه خلال ذلك القرن وقعت حركة الفتوحات العربية الكبرى ودخلت بلاد الشام بما فيها فلسطين تحت السيادة العربية الإسلامية ، ويلاحظ أنه بصفة عامة اتسمت سياسة المسلمين تجاه الأماكن المقدسة لدى المسيحيين بالتسامح الدينى ولم تتسم بأي صورة من صور التعصب الدينى على نحو يشكل ظاهرة واضحة .

ومن مرحلة القرنين السابع والثامن م وصلت إلينا بعض المؤلفات التي كتبها عندها من الرحالة الأوربيين المسيحيين الذين قدموا للحج الى هناك ، ومن أمثلتهم رجل يدعى ادومنان Adomnan of Lona وقد شغل وظيفة كنسية في لونا Lona خلال المدة من عام ٦٧٩ الى ٧٠٤م^(٣٠) ، وقد ألف كتابا عن الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين على جانب كبير من الأهمية واستعان به عدد كبير من

المعاصرين ، وقد أفاد في تأليفه لذلك الكتاب مما ألفه أركولف Arculf الذي زار المنطقة في مرحلة سابقة (٣١) .

وزد على ذلك هناك بعض الحجاج الذين قدموا من انجلترا وهم الذين تزايد عددهم بصورة واضحة ، ومن أمثلتهم ويلبالد Willibald (٣٢) وقد عمل أسقفًا لمنطقة إيكستادت Eichstadt في بافاريا Bavaria ، ومن المعروف أنه قام في حادثة سنة بالارتحال إلى فلسطين وذلك بعد مغادرته مدينة روما في عام ٧٢٢م ، ولم يعد إليها إلا عام ٧٢٩م بعد متاعب عدة صادفته (٣٣) .

ويضاف إلى ذلك ، هناك أحد الرحالة ونعني به الراهب إبيفانيوس Epiphanius The Monk (٣٤) ، وقد عاصر المرحلة المبكرة من عهد الخلافة العباسية ، ووضع دليلًا للأماكن المقدسة في فلسطين ، ويرى البعض أنه اكتمل فيما بين عامي ٧٥٠ ، ٨٠٠م (٣٥) ، وقد ألف ليكون مرشدًا للحجاج والرحالة من آسيا الصغرى ومن المحتمل لأولئك القادمين من القسطنطينية إلى مدينة بيت المقدس وبيت لحم والأردن .

ويبدو أن كتابة تلك المؤلفات المرشدة للحجاج قد تطورت مع مضي الزمن ، ومن المتصور انتشارها بصورة كبيرة ، نظرًا لاحتياج أعداد غفيرة من الحجاج لها ، خاصة أولئك الذين يزورون تلك البقاع المقدسة لديهم وذلك للمرة الأولى ، ومن المنطقي أيضًا تصور أن الذي قام بكتابة ذلك الدليل كان من أكثر الناس معرفة بالأرض المقدسة ، على نحو أهله للقيام بكتابة مثل ذلك الدليل الإرشادي لغيره من الحجاج .

وتجدر الإشارة إلى ازدهار حركة ارتحال الأوروبيين إلى تلك البقاع خلال عهد الدولة الكارولنجية ونجد أن شارلمان Carolus Magnus قد حرص الحرص كله على توطيد علاقاته مع الخلافة العباسية في بغداد . وتلقى المصادر التاريخية المعاصرة أضواء كاشفة على العلاقات الكارولنجية - العباسية ، ويبدو أن الخليفة العباسي هارون الرشيد قد منح شارلمان مفتاح بيت المقدس وسمح بإقامة نزل للحجاج ، وهناك من يرى أنه أعطاه حق الإشراف المعنوي على المدينة (٣٦) غير أننا بخلاف مع هذا الرأي فالأرجح أنه لم يمنحه مثل ذلك الإشراف المعنوي ، فيلاحظ أن الأساطير الأوروبية نسجت الكثير حول شخصية وأعمال شارلمان بل أنها صورتها قد ذهب إلى الحج إلى تلك المدينة المقدسة ، ويبدو أن الاتفاق بين الجانبين تناول التعاون مع الكارولنجيين من أجل محاربة الأمويين في الأندلس (٣٧) .

مهما يكن من أمر ، فقد شهد عهد شارلمان ازدهارًا لحركة الرحلة الأوروبيين إلى الأراضي المقدسة في فلسطين ، وقد جرت محاولة من أجل تنظيم الحج تحت رعايته ، خاصة أنه أعاد تشييد الفنادق والنزل في فلسطين ، وأنشأته في هذا الصدد تدل دلالة وضاحة على أن العديد من الحجاج قدموا إلى تلك البقاع ، ومن بينهم عدد

كبير من النسوة ، كذلك تم ارسال عدد من الراهبات الأسبانيات من أجل الخدمة في كنيسة الضريح المقدس^(٣٩) .

ومن الأدلة التي تشير الى أن عهد ذلك الامبراطور شهد تدعيما واضحا للحج المسيحي ، اننا لدينا وثيقة تاريخية تدل على مدى تسامح المسلمين تجاه قضية الحج المسيحي ، والوثيقة تعرف باسم « مفكرة پكنائس بيت المقدس » Commeroratorium on The Churches of Jerusalem^(٤٠) ، وتحتوي حصرا لكنائس وأديرة المدينة والمناطق المجاورة لها ، وكذلك أسماء وعدد الشماسية ، والأساقفة ، والرهبان الذين يقومون بالخدمة في تلك المؤسسات الدينية المسيحية ، وهناك من يرى أن تلك الوثيقة قد كتبت حوالي عام ٨٠٨م في ظل العلاقات الودية بين الخلافة العباسية والامبراطورية الكارولنجية ، وأن من المستحيل انجاز ذلك العمل الكبير الدقيق الاحصائي الطابع دون أن يكون من خلال موافقة رسمية^(٤١) ، وقيمة الوثيقة أنها توضح أن المؤسسات المسيحية في فلسطين كانت تعيش مرحلة هامة من الازدهار حينذاك^(٤٢) دون أي اضطهاد رسمي من السلطات المسلمة .

ومع ذلك فان الأمر لم يستمر طويلا - كما يقرر رنسييمان - ان تداعت الامبراطورية الكارولنجية ، وعندما قدم برنارد الحكيم Bernard The Wise^(٤٣) من بريتانى لزيارة البقاع المقدسة عام ٨٧٠م ، أدرك أن المؤسسات التي شيدت في عهد شارلمان لا تزال مستمرة في العمل غير أنها كانت على ما يبدو خاوية^(٤٤) ، وفي طريقها للانهييار ، ويقرر رنسييمان أن برنارد لم يستطع أن يقوم برحلته الا بعد أن حصل على جواز سفر من السلطات المسلمة التي كانت تسبطن حينذاك على مدينة يارى في الجنوب الايطالى^(٤٥) ، ونعتقد أن ذلك الاجراء كان اجراء أمنيا ضروريا ولا يمثل أي نوع من الاضطهاد الديني ضد الحجاج الأوربيين .

وفي القرن العاشر م حدثت تطورات هامة في أوربا وكذلك في العلاقات بين الشرق والغرب كان لها دورها الفعال على مسيرة الرحلة الأوربية الى فلسطين خلال ذلك القرن ، ان أن حركة ديركلوني والتي قامت باصلاح أوضاع الأديرة في أوربا وقامت بنهضة دينة كبيرة عملت على أن تزدهر حركة الحج وقامت الأديرة الكلونية باقامة شبكة كبيرة ، تهتم بالحجاج وبشئونهم ، وتقوم بتقديم كافة التيسيرات اللازمة من أجل توفير ما يلزم الحجاج من احتياجات مختلفة^(٤٦) .

وعلى مستوى العلاقات بين الشرق والغرب حدثت بعض التطورات المؤثرة ان فقد المسلمون بعض مراكزهم الاستراتيجية الهامة ، كذلك نشط الأسطول البيزنطى يقوم بدوره الامنى في البحر المتوسط ، ومن جهة أخرى نشطت القوى التجارية الايطالية من أجل اقامة علاقات تجارية وثيقة مع الموانئ الاسلامية^(٤٧) ، وفي الشرق الاسلامى دخلت الخلافة العباسية في مرحلة من مراحل الضعف ، وقام نوابها في فلسطين بحسن

استقبال الحجاج الأوربيين الذين مثلوا دخلاً مالياً هاماً لميزانية البلاد فضلاً عن حقوق فرض المكوس ، وعندما سيطر الاخشيديون ومن بعدهم الفاطميون على فلسطين تزايدت حركة الحج الى هناك^(٤٨) ولم تكن هناك صعوبة في أن يقوم الحجاج باستخدام السفن من أجل أن تنقلهم من باري الى الاسكندرية أو المدن الساحلية الشامية . وقد فضل أغلب الحجاج أن يقوموا بالابحار في أحد السفن الايطالية الى القسطنطينية وزيارة مجموعة المتحف الكنسية هناك ، ومن بعد ذلك يذهبون عن طريق البر الى فلسطين ويلاحظ أن الطريق البري كان دائماً أقل تكلفة من الطريق البحري ووجدت هناك طرق برية ميسرة بين الأناضول وبلاد الشام^(٤٩) .

ولدينا أسماء عدد كبير من أولئك الحجاج الذين زاروا فلسطين خلال القرن العاشر م أو من أمثلتهم هيلدا Hilda كونتيسة سوابيا Suabia التي أدركتها المنية في بترل خلال رحلة الحج التي قامت بها في عام ٩٦٩م^(٥٠) ، كذلك جوديث Judith دوقة بافاريا Bavaria شقيقة أوتو الأول Otto I ، والتي كانت في فلسطين في عام ٩٧٠م^(٥١) ، ومن النبلاء والنبيلات الذين قاموا بالحج خلال ذلك القرن هناك كونينات أريش Ardeche ، واركى Arcy ، وانهالت Anhalt ، وفيينا Vienne وفردان Verdun ، وجوريزيا Gorizia ، كذلك قام بتلك الرحلة كبسار رجال الكنيسة ومن أمثلتهم أسقف أوليفولا Ollivola الذي قام بالترحال الى فلسطين في عام ٩٢٠م^(٥٢) ، والقديس كونراد St. Conrad أسقف كونستانس Constance وقام بتأدية الحج من خلال ثلاث رحلات مستقلة ، والقديس يوحنا St. John أسقف بارما Parma الذي لم تقل رحلاته الى هناك عن ست رحلات ، وكذلك رئيس دير أوريلاك Aurillac ورئيس دير مونتيه Montier^(٥٣) ، وقد صاحب هؤلاء عدد كبير من الرجال والنساء الفقراء غير أن مؤلفي الحوليات لم يعنوا بإيراد أسمائهم بطبيعة الحال .

ويمثل القرن الحادي عشر تطوراً هاماً ومؤثراً بالنسبة للحج الى فلسطين بصورة واضحة على نحو ميزه على القرون السابقة . ويلاحظ أنه حوالى أوائل ذلك القرن قام الخليفة الحاكم بأمر الله باضطهاد العناصر المسيحية في دولته ، ويقال أنه قام بتدمير كنيسة الضريح المقدس The Church of The Holy Sepulchre ، ومع ذلك ينبغي أن نذكر أن اضطهاد الحاكم بأمر الله لم يكن موجهاً ضد العناصر المسيحية فقط ، بل كذلك ضد العناصر المسلمة السنية أيضاً ، ويمثل عهده مرحلة استثنائية قصيرة اذا ما قورن بسماحة القوى السياسية الاسلامية تجاه رعاياها من العناصر المسيحية ، وفي أواخر عهده عاد الى اتباع سياسة التسامح وسمح لمن أجبر على اعتناق الاسلام بالعودة لدينه .

ومن بعد عهد الحاكم بأمر الله ، وجد اتجاه نحو وقف سياسته تجاه العناصر المسيحية ، ونجد أن الامبراطور البيزنطي رومانوس الثالث Romanus III

(٢٨ - ١٠٣٢ م) قد اتفق مع الفاطميين من أجل إعادة بناء كنيسة الضريح المقدس ، وقد قام الامبراطور قسطنطين التاسع Constantine IX (١٠٤٢ - ١٠٥٥ م) بإرسال عماله من أجل المشاركة فى أعمال البناء * ومن مظاهر تحسن العلاقات بين الجانبين ، استمرار حركة الحج وذلك من خلال الثغور الاسلامية التى عدت من المنافذ التى استخدمها الحجاج للوصول الى الأماكن المقدسة (٥٠) .

ومن جهة أخرى ، حدثت بعض التغيرات الهامة فى القارة الأوربية كان لها أثرها الإيجابى على حركة الحج المسيحى ، ان تحول الهنغاريون الى المسيحية وذلك فى عام ٩٧٥م بفضل القديس ستيفن St. Stephen (٥٦) على نحو فتح مرة أخرى الطريق البرى عبر الدانوب والامبراطورية البيزنطية وهو طريق فضله الهنغاريون ، كذلك فان الامبراطور البيزنطى باسل الثانى Basil II (٩٧٦ - ١٠٢٥ م) (قصاب البلغار Bulgar-Octonus) اخضع كافة مناطق شبه جزيرة البلقان الى السيادة البيزنطية (٥٨) ، وكان بإمكان الحجاج القادمين من وسط أوروبا أو فلاندرز Flanders على هذا الأساس أن يرتحلوا عبر أراضي الامبراطور الغربى حتى يصلوا الى هنغاريا بالقرب من فيينا Vienne وعندئذ كان فى مقدورهم أن يعبروا هنغاريا الى بلغراد Belgrad على الحدود البيزنطية (٥٧) ، ثم انهم وصلوا الى أحد الثغور الفاطمية بين اللاذقية Latakia وطرطوس Tortosa وفضل الحجاج الذين قدموا من فرنسا وإيطاليا ، أن يستخدموا طريق أبوليا Apulia ويعبروا مضائق الأدرياتيك Adriatic ، ومن هناك وصلوا الى دراكسيوم Dyrrachium ومنها الى القسطنطينية (٥٩) .

ومن الأهمية بمكان ملاحظة تزايد أعداد الحجاج الأوربيين الذين قدموا الى المنطقة خلال ذلك القرن ، وهناك اشارات متعددة دالة على أولئك الذين قاموا بالقدوم الى هناك ، وخلال عامى ١٠٠٢م ، ١٠٠٣م ، هناك اشارة عن راهب مجهول من تور Tours ، وناسك من بامبرج Bamberg ، وفولك نيرا Fulk Nerra كونت أنجو Anjou ، وقد قام بثلاث رحلات الى فلسطين ووافته منيته فى عام ١٠٤٠م فى مدينة متز Metz (٦٠) .

وفضلا عن ذلك ، ارتبطت الأساطير بالحج الى الأماكن المسيحية المقدسة ، ففي عام ١٠٠٣م لدينا أسطورة عن شخص ما يدعى جى Guy ، وهو راهب من برابانت Brabant يظهر فى بيت المقدس فى نفس الوقت الذى يظهر فيه أولاف تريجفيسون Olaf Tryggveson (٦١) الذى يعد الملك المسيحى الأول للنرويج Norway . ويلاحظ أن هذه القصة أسطورية تماما ، إذ أن أولاف مات عام ١٠٠٠م فى معركة سفولد Svold ، لكن شعبه اعتقد أنه استطاع الفرار والحج الى المدينة المقدسة ، ومثل أمر حجه الى هناك جزءا من تلك الأسطورة البطولية (٦٣) .

ونوالت أعداد الحجاج ، وكذلك الاشارات المتعلقة بأولئك الاشخاص الذين غاموا بالرحلة الى تلك البقاع المقدسة ، وقد قام أحد الكهنة الفرنسيين فى عام ١٠٠٤م بالحج الى هناك وهو جوزلين الفليرى Gauzlin of Fleury (٦٣) ، وفى العام التالى أى عام ١٠٠٥م حج روجير الفيچى Roger of Figeae (٦٤) . كذلك وردت لدينا اشارات عن بويو رئيس أساقفة ترييه Trier الذى قام برحلته عام ١٠٣٨م وذلك برفقة الناسك سيميون . وحوالى منتصف ذلك القرن وتحديدا عام ١٠٥٤م ، أشار البعض الى قيام فوشيه Fulcher الذى عمل قسيسا ملحقا بقصر الامبراطور هنرى الثالث بالارتحال ، غير أن رحلته لم تكن موفقة ، وفقد أمواله فى الطريق (٦٥) .

وهكذا ، تزايد أعداد من يقومون بالترحال الى فلسطين خلال ذلك القرن على نحو خاص ، ولدينا إشارة هامة وردت لدى أحد المعاصرين وهو رالف جلابر Ralph Glaber ، اذ يقرر أنه فى البداية ذهب العامة ، ثم أولئك الذين انحسروا من الطبقة الوسطى ، ثم قام بالحج العديد من الملوك والكونتات والركيزات والأساقفة ، وليس هذا فحسب ، بل النساء أيضا وهو أمر لم يعهد من قبل ، وقد تمنى العديدون ان يدركهم الردى هناك بدلا من أن يعودوا ادراجهم الى بلادهم (٦٦) .

ومعنى ذلك ، أن القرن الحادى عشر م - وهو القرن الذى وقعت فى ختامه حركة الصليبيات . شهد تضخم ظاهرة الحج الى فلسطين ، وقد غادرت الغرب الأوربي أعداد ضخمة فى وقت مبكر من الربيع وخلال رحلتهم كانوا فى مجموعات صغيرة أو كبيرة ، وأحيانا وصل عددهم الى ألف شخص ، وفى المدة من عام ١٠٦٤ الى ١٠٦٥م حدث الحج الكبير الذى قاده سيجمفريد Siegfried رئيس أساقفة ماينز Mainz وجونسر Gunther أسقف بامبرج Bamberg ومعه عدد آخر من رجال الكنيسة (٦٧) ، ويقال ان عدد الحجاج بلغ سبعة آلاف أو عشرة آلاف (٦٨) ، وقدره البعض باثنى عشر ألفا من الرجال والنساء (٦٩) ووجدت عناصر مسلحة تقوم بحمايتهم وكانوا منظمين تنظيما جيدا ، غير أن أغلب الحجاج كانوا يقومون بالحج دونما تسليح (٧٠) ، ويقال ان عدد الذين عادوا من تلك الرحلة بلغ نحو مائتين فقط (٧١) اذ تعرضوا لهجمات المسلمين بالقرب من يافا ، ومن المحتمل وجود مبالغة فى تقليل عدد الذين نجوا من أجل أن يقوموا برحلة الحج الى المحارم المقدسة ، لاظهارهم بمظهر الابطال الذين تحملوا المشاق من أجل ان يقوموا برحلة الحج الى المحارم المسيحية المقدسة ، حتى يكونوا مثالا وقدوة لغيرهم .

ولا نزاع فى ان ذلك الحشد الكبير كان بمثابة أكبر جماعة انضم بعضها الى بعض فى مسيرة واحدة قبل بدء الحركة الصليبية ، وكان بين هؤلاء الالمان أساقفة ورؤساء أسقفيات وعدد من الاقطاعيين والنبلاء والفرسان ، وقد ساروا فى مناطق وسط أوربا الى القسطنطينية ثم الى اسيا الصغرى Asia Minor ثم منها الى بلاد الشام وتحديدا الى فلسطين (٧٢) ، فضلا عن ذلك قامت حملة

كبيرة. للحج الى فلسطين فى عام ١٠٨٨ بقيادة الكونت روبرت الاول الفلاندرزى
Robert I of Elanders ، وذلك قبل سبع سنوات فقط من الدعوة
للمملة الصليبية الاولى .

ويلاحظ أن مدنا مصاعب واجهت أولئك الحجاج فى رحلتهم الى الاراضى
المقدسة ، منها ما اتصل بالظروف والاحوال المناخية ، خاصة حرارة الطقس فى
جبال الاناضول ، ووعورة المسالك البرية لا سيما فى المناطق الجبلية والصحراوية ،
كذلك احتمال تعرض الحجاج الى الامراض واحتمال وفاتهم من جراء ذلك مسع
نقص الرعاية الصحية والوعى الطبى بصفة عامة فى ذلك العصر ، اما فى سجال
البحر ، فهناك خطر العواصف المدمرة التى تعصف بالسفن وتهددها بالغرق ، ومن
المصاعب التى واجهت الحجاج ما اتصل بالناحية السياسية ، من ذلك أن النورمان
بعد أن هاجموا املاك الامبراطورية البيزنطية فى جنوب ايطاليا صار الحجاج
النورمان يتعرضون للمضايقات من جانب الموظفين البيزنطيين ، كذلك وجدت بعض
المشكلات الناجمة عن تمرد بعض الامراء المسلمين فى بلاد الشام على الخلافة
انفاطمية ، على نحو كان من الممكن أن يؤثر على سيولة تدفق حركة الحجاج
المسيحيين الى فلسطين (٧٣) .

وينبغى الا يغيب عن اذهاننا أن الصراع بين القوى الاسلامية السياسية
والذهبية المتناحرة مثل العداء السنى - الشيعى قد أثر على حركة الحج المسيحى
الى هناك ، ومن المعروف أن السلاجقة قد تمكنوا من الاستيلاء على بيت المقدس فى
عام ١٠٧١ م من خلال قائدهم اتسز (٧٤) ، وذلك بعد أن ظلت خاضعة للسيطرة
الفاطمية ، وان استردها الفاطميون منهم قبيل مقدم الغزو الصليبي للمنطقة ،
ويلاحظ أن السلاجقة لم يضطهدوا عناصر الحجاج المسيحيين ، وهناك من المؤرخين
الأوربيين المحدثين من يقرر ذلك صراحة (٧٥) .

ولا نزاع فى أن الحج المسيحى لعب دورا بارزا فى اندلاع الحركة الصليبية .
اذ اذاعت البابوية ممثلة فى البابا أوربان الثانى Urbanus II (١٠٨٨ -
١٠٩٩ م) أن الأماكن المقدسة لدى المسيحيين فى فلسطين قد تعرضت للتخريب ، وأن
المسيحيين أنفسهم يتعرضون للاضطهاد ، وأن هذا هو الحال بالنسبة للحجاج
الأوربيين ، وذلك من خلال الجمع الذى عقده فى كلير مونت بجنوب فرنسا ، والذى
ألقي فيه خطابه الشهير فى ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م (٧٦) ، ويلاحظ أن استمرار الحج الى
تلك البقاع المقدسة لدى العالم المسيحى قد أدى الى اعتقاد ساد الأوربيين بضرورة
أن تكون المناطق التى شهدت ميلاد السيد المسيح المعجز ومعجزاته - تكون تحت
السيادة المسيحية ومن جهة أخرى صورت الجوليات الصليبية جموع الصليبيين
الأوائل على أنهم حجاج مسلحون . ومعنى ذلك أن الحركة الصليبية قد اعتمدت على
وافدين أساسيين هما : الحج الى البقاع المرتبطة بذكرىات المسيحية فى عهدهما

المبكر ، والحرب المقدسة ضد أعداء المسيح (٧٧) ، وفى الرافد الأخير أمكن تحويل المسيحية من ديانة مسالمة ترفض الحرب وتنبذ لغة القوة الى ديانة محاربة يحشد معتنقوها آلة الحرب الضخمة من أجل الاعتداء على الشعوب غير المسيحية ، ويلاحظ أن مثل هذا التطور الخطير لم يحدث بين عشية وضحاها بل استغرق أمدا طويلا من أجل تحريب المسيحية أى جعلها ديانة محاربة .

مهما يكن من أمر ، فقد قدم الصايبيون الى المنطقة وتمكنوا بفضل ما كانت تعانيه من تفشى ظاهرة التشردم السياسى والتصارع المذهبى - تمكنوا من اقامة كياناتهم السياسية الدخيلة فى صورة مملكة بيت المقدس الصليبية وتوابعها فى امارات الرها وأنطاكية وطرابلس ، ولا جدال فى أن الملكة اللاتينية أولت لأمر الحج أهمية كبيرة من أجل الظهور بمظهر المدافع عن المحارم المسيحية المقدسة أمام رعاياها من العناصر المسيحية فى الداخل وكذلك أمام عالم المسيحية فى كافة أنحاء المعمورة . وعملت على توفير الراحة والأمان - قدر الاستطاعة ولكن دون جدوى فى الكثير من الأحيان بفضل المقاومة الاسلامية - وتمثل ذلك فى اقامة أماكن مخصصة لاستقبال المرضى والجرحى من الحجاج أو من خلال تخصيص قوات تقوم بحماية الطرق البرية التى سلكها الحجاج منذ أن وصلت سفنهم الى الموانئ الخاضعة للسيادة السياسية الصليبية الى المواقع المقدسة فى أنحاء الملكة اللاتينية المختلفة .

ولا نزاع فى أن أعداد الحجاج القلدمين الى تلك المواضع المقدسة قد تزايد بحسرة متضاعفة وملحوظة خلال عهد السيادة الصليبية على أجزاء من المنطقة العربية ، وخاصة من خلال الدعم الرسمى المتواصل فضلا عن اتساع املاك كنيسة مملكه بيت المقدس بصفة عامة ، وتدفق الدعم المادى والمعنوى للكيان الصليبي فى بلاد الشام على اعتبار أنه يقوم بحماية تلك البقاع المقدسة لدى المسيحيين فى مواجهة الأعداء .

وبصفة عامة نلاحظ انعكاس ذلك الوضع السابق على مؤلفات الرحالة الأوربيين أنفسهم فبدلا من الكتابة عن المواقع المقدسة من خلال احساس بالافتراق والقلق ، وجدنا الأمر تغير بصورة كبيرة اذ اتسمت مؤلفات الرحالة الأوربيين التى وصلت الينا من تلك المرحلة بالحماس الشديد والثقة بالنفس والدعم المستمر المعنوى للمشروع الصليبي والتحمس له ولا نزاع فى أنهم شعروا أن تلك البقاع التى قصدوها بالحج مثلت جزءا لا يتجزأ من بلادهم .

ذلك ، عرض لتطور الرحلة الأوربية الى فلسطين حتى أخرىات القرن الحادى عشر م . أما تطورها على مدى القرن الثانى عشر م ، فسنرصده من خلال عدد من الرحالة الأوربيين الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩-١١٨٧م) وتركوا مؤلفات هامة تروى تطور أحداث رحلاتهم الى هناك ، وقد ألقت تلك المؤلفات أضواء كاشفة على العديد من الجوانب السياسية والاقتصادية والكنسية المتصلة بتلك المملكة ، الأمر الذى سنحاول تناوله بصورة مفصلة على امتداد الفصول التالية .

الهوامش :

(١) Runciman, «The Pilgrimages to Palestine before 1095», in Setton, A History of The Crusades, Vol. I, Pennsylvania 1969, P. 68.

(٢) William of Tyre, A History of deeds done beyond the sea, Trans. by Babcock and Krey, Vol. I, New York 1943, P. 341.

Book, A History of Rome To 565 A.D., New York 1964. P. 305.

قاسم عبده قاسم ، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية دراسة عن الحملة الأولى ، ط . القاهرة ١٩٨٧م ، ص ٣١ .

Runciman. Op. Cit., P. 69. (٣)

Runciman, Op. Cit., P. 69. (٤)

(٥) عن موقف الامبراطور قسطنطين من الفرق المسيحية ، انظر : رأفت عبد الحميد ، الدولة والكنيسة ، قسطنطين ، ط القاهرة ١٩٧٤م .

(٦) عن القديسة هيلانة ودورها ، انظر :

Eusebius. Extralts from Eusebius Life of Constantine, Trans. by John Bernard, P.P. T.S., Vol. I, London 1896, P. 11.

Attwater, The Penguin dictionary of Saints, London 1978, P. 166.

Runciman, A History of The Crusades, Penguin Books, Vol. I. London 1978, P. 39, The Pilgrimages, P. 69.

اسحق عبيد ، « قصة عثور القديسة هيلانة على خشبة الصليب ، أسطورة أم حقيقة » مجلة كلية الآداب - جامعة عين شمس ، م (١٧) عام ١٩٧٠م ، ص ٥ - ص ٢١ وقد ذكر الرحالة المسلم الادريسي في كتابه نزهة المشتاق ، أن كنيسة القيامة يتجه اليها المسيحيون من كافة البقاع للحج ، وفي ذلك أورد ما نصه « هي - أي كنيسة القيامة - المحجوج اليها من جميع بلاد الروم التي في مشارق الأرض ومغاربها » . عن ذلك :

الادريسي ، نزهة المشتاق الى اختراق الآفاق ، تحقيق جابريلي وديلافيللا ، ط نابولي ، ج ٤ ، ص ٣٥٨ .

Wilkinson, Jerusalem Pilgrims before The Crusades, London (٧) 1977, P. 1.

وانظر الترجمة الانجليزية للرحلة :

The Itinerary of the Bordeaux Pilgrim, Trans. by Stewart, P.P.T.S., Vol. I, London, 1896.

وأيضاً الدرستين الهامتين لكل من مومرت وإييره :

Mommert, «Das Jerusalem des Pilgers Von Bordeaux 333» ZD P.V., J. XXIX XXX, 1906 1907, PP. 193 - 195.

=

Eberh, «Der Teich Betsaida a beim Pilger Von Bordeaux Z.D.P.V., T XXIX—XXX, 1906—1907, P P. 193—195.

وعن الطبقات المتعددة للرحلة والدراسات الهامة التي تناولتها ، أنظر :

Tobler, Bibliographia Geographica Palestinae, Leipzig 1867, P. 5.

Mayer, Bibliographie Zur Geschichte der kreuzzuge, Hannover 1965, P. 33.

Wilkinson, Op. Cit., P. 3.

(٨)

(٩) القديس جيروم «St. Jerome» ويسمى أيضا سوفرونوس يو سبابيوس هيرونيحوس Saphronius Eusebius Hieronpmus وقد ولد في ستريدو Strido بدلاشيا Dalmatia حوالي عام ٣٤٢م ، ويعد من أكثر آباء الكنيسة تعليما وثقافة . وقد درس في روما مدة ثمانية عشر عاما ، وفي عام ٣٧٤م اتجه الى بلاد الشام وعاش بين جموع الرهبان والمتنسكين الى الشرق من أنطاكية ، وهناك تعلم اللغة العبرية بفضل مساعدة أحد الأقباط اليهود ، وفيما بعد ارتحل الى القسطنطينية حيث اتصل بجريجورى النازيانزى Gregory of Nazianzus ، وقد ساعده على تعلم اللغة اليونانية واتقانها ، وفي عام ٣٨٢م ، أرسل اليه البابا دماسوس يستدعيه الى روما وذلك من أجل القيام بترجمة الكتاب المقدس الى اللغة اللاتينية ، ويقال ان ذلك العمل استغرق منه عدة سنوات ، وقد أذهمك جيروم في الحياة الديرانية والتنسك ، وكان له تأثير كبير على أتباعه من الرجال والنساء على حد سواء ، كذلك قام بالارتحال الى بيت لحم من أجل التعبد في تلك الأماكن التي شهدت حياة السيد المسيح ، وقد أدركته منيته هناك بعد صراع طويل مع المرض وذلك في عام ٤٢٠م ، ويلاحظ أنه يتم الاحتفال بعيد ذلك القديس في يوم الثلاثين من شهر سبتمبر ، عنه أنظر :

Edcy. Amer, «St Jerome», Vol. XVI, U.S.A., 1985, P. 23—24.

Academic Amer. Encp., «St Jerome», Vol. XI, New Jersp 1981, P. 398.

Ency. Brit., «St. Jerome», Vol. XIII, London 1958, P. 2—3.

Latourette, A History of Christianity, New York 1953, P. 231—233.

ATTwater, Op. Cit., P. 185—186.

اسحق عبيد ، معرفة الماضي ، من هيرودوت الى توينبى ، ط القاهرة ١٩٨١م ، ص ١٤٩ — ص ١٥١ ، من آلارك الى جستنيان ، دراسة في حوليات العصور المظلمة ، ط القاهرة ١٩٧٧م ، ص ١٥٩ — ١٦١ .

Wilkinson, Op. Cit., P. I.

(١٠)

القديسة بولا St Paula ، ولدت في روما عام ٣٤٧م ، ووفقا لما ذكره القديس جيروم St. Jerome ، فإنها تزوجت من السيناتور توكسوتوس ، وقد توفى ، فتركها أرملة لها خمسة أطفال ، وقد بلغت من العمر حوالي ثلاثة وثلاثين عاما ، وتحت تأثير صديقتها المخلصة القديسة مارسيلا والقديس جيروم اتجهت الى حياة دراسية علمية ، وفي عام ٣٨٥م عقدت العزم على أن تستقر في بيت لحم بجوار

القديس جيروم، ورافقتها في ذلك أختها القديسة ايستوكيوم، واتخذت القديسة بولا مركزاً مرموقاً من بين النساء اللاتي أحطن ذلك القديس ، وإقامت نزلاً للنساء وآخر للرجال ، وقد تعلمت اللغة اليونانية من والدها ، كذلك اتجهت نحو دراسة اللغة العبرية ، وقد أفادها ذلك عندما سعت الى دراسة الكتاب المقدس تحت اشراف أستاذها ، ومن المعروف أنها توفيت في بيت لحم ، وذلك في عام ٤٠٤م ، وقد تقرر أن يكون يوم الاحتفال بعيدها ، يوافق يوم السادس والعشرين من شهر يناير .
عن القديسة بولا أنظر :

ATTwater. Op. Cit., P. 269—270.

أما القديسة ايستوكيوم St. Eustochium ، فقد ولدت في روما عام ٣٦٨م ، وقد رافقت القديس جيروم خلال إقامته في بيت لحم ، وغدت تلميذة متفوقة من تلميذات ذلك القديس ، وتعلمت اللغة اليونانية كذلك درست اللغة العبرية بشأنها في ذلك شأن أختها بولا ، وقد أفادها ذلك — بلا ريب — في دراسة الكتاب المقدس ، وعندما توفيت بولا عام ٤٠٤م ، احتلت ايستوكيوم مكانها في مرافقة الأرامل في بيت لحم ، وقد عبر القديس جيروم عن أسفه عليها بقوله « أنها كانت امرأة ذات جسد نحيل وروح عظيمة » ، وقد توفيت القديسة ايستوكيوم في المدينة المذكورة عام ٤١٩م .
وتقرر أن يكون يوم الاحتفال بعيدها يوافق يوم الثامن والعشرين من شهر سبتمبر ، ويلاحظ أن هناك أحد الأدبرة قد أقيم على شرف تلك القديسة وحدد البعض موقعه بأنه بين جرش وبيت المقدس عن القديسة ايستوكيوم ، أنظر :

ATTwater, Op. Cit., P. 124.

وانظر خطاب بولا وأختها الى صديقتيها مارسيليا Marcella . عن الأماكن المقدسة في فلسطين . من خلال الترجمة الانجليزية التي قام بها أوبري ستوربات :
The Letter of Paula and Eustochium to Marcella about The Holy Places,
Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. I, London 1896.

أيضاً :

Paula et Eustochium, De Locis Sanctis, P.L., T. XXII, 482—492.

وعن طبعات الرحلة أنظر :

Ruhricht, Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Heiligen landes Bezuglichen Literatur Von 333 Bis 1878, Berlin 1890, P. 5.

وعن دير ايستوكيوم أنظر :

Claude, Conder, Lieut, «Medieval Topography of Palestino», P.E.F., London 1875, P. 93.

Wilkinson, Op. Cit., P. I.

(١١)

Wilkinson, Op. Cit., P. I.

(١٢)

وعن خطابات القديس جيروم أنظر :

The Pilgrimage of The Holy Paula, by St. Jerome, Trans. by Aubrey Stewart, P.P. T.S., Vol. I, London 1896.

Wilkinson, Op. Cit., PP. 47—52.

وأيضاً :

Runciman, The Pilgrimages, P. 69.

(١٣)

(١٥) القديس لوقا St. Luke ، من المحتمل أنه ولد في أنطاكية Antioch من أصل يوناني ، وقد تحدث عنه القديس بولس St. Paul على اعتبار أنه طبيب ، وهو مؤلف الانجيل الذي يحمل اسمه وسفر أعمال الرسل ، ويبدو أنه صاحب القديس بولس في رحلتيه الثانية والثالثة التبشيريتين وفي رحلته الى ايطاليا ، وقد مات لوقا في اليونان عام ٧٠م ، ولم يكن قد تزوج بعد ، ويقال انه مات شهيدا ، غير أن ذلك موضع شك كبير ، ويلاحظ أن القديس لوقا يعد بمثابة القديس الحامي للأطباء والجراحين ، وكذلك رسامي اللوحات الفنية ، وهو نفسه كان يعد رساما كبيرا ، وعلى الرغم من ذلك فإن اللوحات التي يقال انه رسمها للسيدة العذراء والسيد المسيح عليهما السلام ترجع الى عهد متأخر للغاية وذلك وفق ما يقرره دونالد أتووتر ، وتجدر الإشارة الى أن يوم الاحتفال بعيد القديس لوقا ، هو الثامن عشر من شهر أكتوبر .

ATTwater, Op. Cit., P. 223.

على عبد الواحد وافي ، الأسفار المقدسة ، ط٠ القاهرة ١٩٨٤م ، ص ٨٥ .

(١٦) قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق ، ص ٣٣ .

Wilkinson, Op. Cit., P. I

(١٧).

(١٨) انظر نص الخطاب مترجما الى الانجليزية :

The Epitome of St. Eucherius about certain Holy Places, Trans. by Aubrey Stewart, P.P. T.S., Vol. II, London 1890.

Wilkinson, Op. Cit., P.P. 53 -55.

وأيضا :

Ruhricht, Op. Cit., P. 7.

Wilkinson, Op. Cit., P. 4.

(١٩)

(٢٠) انظر الرحلة مترجمة الى الانجليزية .

John Rufus, in Jsrusalem Pilgrims, PP. 57—58.

(٢١) انظر الرحلة :

Theodosius, The Topography of The Holy Land, Trans. by J.H. Bernard, P.P. T.S., Vol. III, London 1893.

Wilkinson, Op. Cit., P.P. 63—71.

(٢٢) انظر رحلته :

Antonius Martyr, The Holy Places visited by Antonius Martyr, Trans. Stewart, P.P. T.S., Vol. II, London 1896.

Wilkinson, Op. Cit., P.P. 79—89.

(٢٣)

(٢٤)

The Breviarius of Jerusalem, in Jerusalem Pilgrims, P.P. 59—61.

(٢٥) قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق ، ص ٣٥

(٢٦) نفسه ، نفس المرجع ، ص ٧٢ ، حاشية (٧١) .

(٢٧) القديس كولبان St. Columban ، ولد في لينستر في عام ٥٤٠ م ، وقد تحول الى سلك الرهبنة منذ شبابه عندما بلغ الواحدة والعشرين من عمره ، وتأثر تأثرا كبيرا من جانب الرهبان الأيرلنديين ، وكان في صحبته مجموعة من الرهبان بلغوا سبعة من بينهم القديس جال St. Gall ، وبعد فترة قصيرة أسس ثلاثة مراكز ديرانية في ثلاث مناطق هي انجيراي Annegray ولوكسويل Luxeuil ، وفونتين Fontaine . وأوجد نظاما ديرانيا خاصا به ، وتراسل مع البابا جريجوري الأول Gregory I ، وعلى أثر منازعات دينية أجبر القديس كولبان ومجموعة من الرهبان الأيرلنديين على مغادرة وطنهم ، واستطاعوا الوصول الى بريجنز Bregenz على بحيرة كونستانس Constance . ومنها اتخذ القديس طريقه الى الألب Alps ، ثم الى لومبارديا Lombardy ، وقد بلغ حينذاك السبعين من العمر . كذلك دخل في منازعات أخرى مع خصوم له وأرسل في أعقابها خطابا الى البابا بونيفاس الرابع Boniface IV . وقد امتد تأثير المؤسسات الديرانية التي أقامها ليشمل مناطق عديدة في فرنسا وألمانيا ، وأدركته منيته في بوبيو Bobbio بإيطاليا في عام ٦١٥ م ، ويلاحظ أن يوم الاحتفال بذكره يوافق الثالث والعشرين من شهر نوفمبر . عنه انظر :

ATTwater, Op. Cit., P. 91—92.

Ency. Brit., «Columban», Vol. VI, London 1958, P. 75, Ency. Amer., «Columbanus», Vol. VII, U.S.A., 1985, P. 338.

ستيفن جوين ، « دور أيرلندا في تاريخ العصور الوسطى » ضمن موسوعة تاريخ العالم ، نشر جون هامرتن جيه ، ط القاهرة ، ص ٢٧ — ص ٢٨ .

(٢٨) قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .

The Pilgrimage of Arculfus in.

(٢٩) عن رحلته انظر :

The Holy Land, Trans. by Macpherson, P.P. T.S., Vol. III, London, 1895.

Ruhricht, Op. Cit., P. 12—13. : وأنظر دراسة عمران المتالة عن الرحلة :

محمود سعيد عمران ، « أركولف ورحلته الى الشرق » ، ندوة التاريخ الاسلامي والوسيط ، تحرير قاسم عبده قاسم ، وزارة عبه الحفيع ، م (٣) ، ط القاهرة ١٩٨٥ ، ص ٣١٨ — ص ٣٤٨ .

Runciman, A History of The Crusades, Vol. I, P. 42, The Pilgrimages, P. 71.

عزيز سوريال عطية ، العلاقات بين الشرق والغرب ، تجازية ، ثقافية ، ضليبية ،

ت . فيليب صابر يوسف ، ط القاهرة ١٩٧٢ م . ص ٣٠ .

وعن طبعات رحلة أركولف واهتمام الباحثين بها انظر :

Tobler, Op. Cit., P. 8.

Wilkinson, Op. Cit., P. 9.

(٣٠)

(٣١) العنوان الأصلي لرحلة أدومنان هو :

De Locis Sanctis

انظر رحلته مترجمة إلى الانجليزية :

Adomman of Lona, in Jerusalem Pilgrims, PP. 93—116.

أيضا إشارة هامة لدى :

Ency. Brit. «Pilgrimage», Vol. XVII. U.S.A., 1959, P. 937.

(٣٢) انظر رحلته :

Willibald, Hodoeporicon, Trans. by Brownlow, in P.P.T.S. Vol. III, London 1892.

وعن طبعات الرحلة والدراسات حولها انظر :

Töbner, Op. Cit., P. 10.

Wilkinson, Op. Cit., P. 80.

(٣٣)

Runciman, The Pilgrimages, P. 72.

(٣٤) انظر ترجمته إلى الانجليزية :

Epiphanius The Monk, in Wilkisson, Jerusalem Pilgrims P. 11.

والترجمات والطبعات المتعددة :

Ruhricht, Op. Cit., P. 16—17.

Wilkinson, P. 11.

(٣٥)

Annales Règni Francorum, in Lönyn and Percival, The Reign (٣٦) of Charlemagne, Documents on Carolingian government and administration. London 1975, P. 42.

Pernoud, The Crusades, Trans. by Mclead, London 1962, P. 15.

(٣٧) مانجد ، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ط بيروت ١٩٦٦م ، ص ١٣٣ ، العصر العباسي الأول ، أو القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين ، ط القاهرة ١٩٧٣م ، ص ٢٦٩ .

(٣٨) مانجد ، العصر العباسي الأول ، ص ٢٧٠ .

Runciman, The Pilgrimages, P. 72, A History of The Crusades, P. 43. (٣٩)

(٤٠) العنوان الأصلي للدليل المذكور هو :
Commemoratorium De Casis Dei Vel monasteriis.

عن طبعات ذلك الدليل انظر :
Ruhricht, Op. Cit., P. 15—16.

• وانظر الترجمة الانجليزية

Commoratorium on The churches of Jerusalem, in Wilkinson, Op. Cit.,
P. 137—138.

Wilkinson, Op. Cit., P. 12. (٤١)

Wilkinson, Op. Cit., P. 12. (٤٢)

(٤٣) انظر ترجمة الرحلة الى الانجليزية :

Bernard The Wise, The Itinerary of Bernard The Wise, Trans. by
J.H. Bernard, P.P.T.S., Vol. III, London 1893.

Runciman, The Pilgrimages, P. 72, A History of The Crusades, Vol. I, P. 43. (٤٤)

• عزيز سوريال عطية ، المرجع السابق ، ص ٣٠

Runciman, A History of The Crusades, Vol. I, P. 43. (٤٥)

• (٤٦) قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق ، ص ٣٨ — ص ٣٩

Runciman, The Pilgrimages, P. 73, A History of The Crusades, Vol. I, P. 63. (٤٧)

Runciman, The Pilgrimages, P. 73. (٤٨)

(٤٩)

Runciman, The Pilgrimages, P. 73, A History of The Crusades, Vol. I, P. 44.

Oman, A History of The Art of War in The Middle Ages, Vol. II, London 1924, P. 237.

Runciman, The Pilgrimages, P. 73. (٥٠)

Ibis, P. 73. (٥١)

Ibid, P. 73. (٥٢)

Ibid, P. 73. (٥٣)

Ibid, P. 74. (٥٤)

وعن سياسة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله تجاه أهل الذمة واضطهاده لهم أنظر :

ابن الأثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٤٠٠ ، ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد وصيرتهم ، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس ، ط : القاهرة ١٤٠١ هـ ، ص ٩٩ - ص ١٠٠ ، المقرئ ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ج ٢ ، تحقيق محمد حلمي ، ط : القاهرة ١٩٧٨ م ، ص ٩٤ .

Vatikiotis, «Al-Hakim Bi-Amrillah : The God-King Idea realised», I.C., Vol. XXIX, No. I, January 1955, P. 6.

ماجد ، الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي ، ط : القاهرة ١٩٥٩ م ، ص ٩٩ - ص ١٠١ ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٣٤ ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر ، ط : القاهرة ١٩٨٥ م ، ص ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ترتون ، أهل الذمة في الاسلام ، ت : حسن حبشي ، ط : القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ٥٦ - ص ٥٧ ، الخربوطلي ، الاسلام وأهل الذمة ، ط : القاهرة ١٩٦٩ م ، ص ١٧٥ .

Runciman, The Pilgrimages, P. 74. (٥٥)

Ibid, P. 75. (٥٦)

Tout, The Empire and The Papacy, London 1971, P. 178.

القديس ستيفن الهنغاري St. Stephen of Hungary ، هو ملك هنغاريا ، ولد في أزيترجوم Esztergom ، وقد تم تعميده عندما كان صبيا مع والده دوق جيذا Geza . على يد القديس دالبرت البرجوي Dalbert of Prague . وقد تزوج جنسيلا Gisela ، شقيقة الامبراطور هنري الثاني Henry II ، وفي عام ٩٧٧ م خلف والده في الدوقية ، وأخضع البلاد للأمن والنظام ، ووطد دعائمه . سلطته السياسية ، وتسلم التاج الملكي من البابا سلفستر الثاني Silvester II ، وفي عام ١٠٠١ م تم تتويجه كأول ملك لهنغاريا Hungary . وبذل ستيفن جهده من أجل تحويل شعبه إلى المسيحية ، وعمل على تأسيس عدة أديرة ، وقد حادفت سياسته معارضة من جانب العناصر الوثنية ، وقد استخدم العنف حيالها ، ويمثل القديس ستيفن مكانة رفيعة في تاريخ هنغاريا ، ومكانته تلك تفوق مكانة عدد من الأبطال والملوك الهنغاريين الآخرين ، وقد شهدت سنوات عمره الأخيرة أصابته بالمرض ، والضراع المشين من جانب أقربائه في صورة المنازعات المحتدمة على خلافته في عرش البلاد ، وقد خلف القديس ستيفن ابدا واحدا هو امريك Emeric أو امري Imre ، والذي وصفه بأنه قسيس هو الآخر ، وقد كانت وفاة القديس ستيفن في بودا Buda في ١٥ أغسطس عام ١٠٢٨ م ، ويتم الاحتفال بعيدة في يوم ٢ سبتمبر .
ATwater, Op. Cit., P. 314. عنه انظر :

Runciman, The Pilgrimages, P. 75. (٥٧)

Ibid, P. 75. (٥٨)

Ibid, P. 75. (٥٩)

Beazley, The Dawn of Modern Geographp, A History of (٦٠)
expedition and geographical science from the close of the ninth to the middle
of the thirteenth century, Vol. II, London 1901, P. 125.

Ibid, P. 126. (٦١)

Ibid, P. 126. note (I). (٦٢)

Ibid, P. 126. (٦٣)

Ibid, P. 126. (٦٤)

Ibid, P. 129. (٦٥)

Ralph Glabor, Historiarum, in Wilkinson, Jerusalem Pil- (٦٦)
grims, P. 174.

قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ط٠ الكويت ١٩٩٠م ، ص ٢٢ ،
الخلافة الأيوولوجية ، ص ٢١٩ - ص ٢٢٠ ، حيث توجد في الملاحق الترجمة العربية
لنص رالف جلابلر .

Beazley, Op. Cit., P. 129. (٦٧)

زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ث٠ الياس شاهين ، ط٠ موسكو ١٩٨٦م ،
ص ٢٣ ، عزيز سوريال عطية ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

Riant, «Inventaire critique des lettres historique de croisades», A.O.L.,
T.I., Paris 1881, P. 53—54.

Runciman, Pilgrimages, P. 76, Tout, Op. Cit., P. 178. (٦٨)

(٦٩) زابوروف ، المرجع السابق ، ص ٢٣

Runciman, Op. Cit., P. 76. (٧٠)

Beazley, Op. Cit., P. 129.

(٧١)

وعن رحلة الحج الألمانية بالتفصيل انظر :

Joranson, «The Great German Pilgrimage of 1064—1065», The Crusades and other Historical essays, presented to D.C. Munro, New York 1928, P.P. 3—43.

Runciman, Op. Cit., P. 76.

(٧٢)

Runciman, Op. Cit., P. 76.

(٧٢)

(٧٤) عن نشاط انسنز انظر :

ابن القلائس ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق سهيل زكار ، ط٠ دمشق ١٩٨٣ م ، ص ١٧٤ - ص ١٧٥ ، شاكر مصطفى « دخول الترك الفز الى الشام » ، المؤتمر الاول لتاريخ بلاد الشام ، ط٠ عمان ١٩٧٧ م ، ص ٣٦٢ - ص ٣٧٥ ، سهيل زكار ، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ، ط٠ دمشق ١٩٨٤ م ، ص ١٥٧ - ١٦٥ .

Thompson, Economic and Social History of the middle ages, (٧٥) Vol., I, London 1959, P. 391.

(٧٦) عن خطاب البابا أوربان الثاني في مجمع كلير مونت ، انظر :

Robert The Monk, in Peters, The First Crusade, The chronicles of Fulcher of Chartres and other source materials, Philadelphia 1971, P.P. 1—4, Baldric of Dol, PP. 6—10, Guilbert of Nogent, PP. 10—13.

Fulcher of Chartres, A History of the expedition to Jerusalem, Trans. by Rita Rian, Tennessee 1967, PP. 62—65.

Munro, «The Speech of Pope Urban II at Clermont», A.H.R., Vol. II, 1905, P.P. 231—242.

جوزيف نسيم يوسف ، « الدافع الشخصي في قيام الحركة الصليبية » ، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ، م(١٦) عام ١٩٦٣ م ، ص ١٩٨ - ص ٢٠٥ .

(٧٧) عن فكرة الحرب المقدسة وتطورها انظر :

Brundage, Holy War and The Medieval Lawyers, in Brundage The Holy

War, Ohio State 1977, PP. 99—139. Cowdrey, The Genesis of The Crusade, in Brundage, The Holy War, Ohio State 1977, PP. 9—32, Saunders, The Crusade as a Holy War, in Brundage, The Crusades, Motives and achievements, Boston 1964.

أيضا :

عمر كمال توفيق ، مقدمات العدوان الصليبي ، الامبراطور يوحنا تزيمنسكس وسياسته الشرقية ، ط ٠ القاهرة ١٩٦٩م ، ص ٣ — ص ٥ ٠ قاسم عبده قاسم ، الخلفية الأنيولوجية ، ص ١٤ — ص ٢٠ ، محمد مؤنس أحمد عوض ، التنظيمات الدينية الإسلامية والمسيحية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب — جامعة عين شمس عام ١٩٨٤م ، ص ٣٤٦ — ٣٥٣ ٠

الفصل الأول

سـيايولف

١١٠٢ - ١١٠٣ م

سايولف

١١٠٢ - ١١٠٣ م

تمثل رحلة سايولف الى فلسطين^(١) ، أهمية خاصة من بين الرحلات المبكرة التي قام بها الرحالة الأوروبيون خلال القرن الثاني عشر م ، لأنها جرت خلال السنوات الأولى من تاريخ الاستقرار الصليبي في بلاد الشام وهي تعطي لنا صورة هامة عن الصراع الاسلامي الصليبي خلال ذلك العهد المبكر ، وتلقى الضوء على الصعاب التي واجهت بعض الحجاج من أجل الوصول الى الأماكن المقدسة لدى جموع المسيحيين ، فضلا عن ذلك احتوت الرحلة على تناول هام لمظاهر التدمير والتخريب اللذين حلا بالعديد من المدن في فلسطين على نحو خاص .

والواقع أننا لا نعرف شيئا مفصلا عن سايولف نفسه ولكن من خلال رحلته أمكن للباحثين معرفة بعض الحقائق الهامة عن صاحبها ، وكذلك عن الرحلة الزمنية التي اسفرتها الرحلة وتوقيتها بصورة أكثر تحديدا .

وسايولف من انجلترا ، ويرى دى فيزاك - وهو مترجم الرحلة الى الفرنسية - أن سايولف هو لقب أطلق على صاحب هذه الرحلة ، نظرا لكثرة ترحاله وأسفاره ، وهو يشبه تعبير « كلب البحر »^(٢) ، مع ملاحظة أن كلمة Wulf شائعة كتعبير للأسماء الانجليزية ، أما كونه من رجال الكنيسة أو من العلمانيين ، فهذه ناحية ليس من اليسير استجلاء معالمها ، ولكن بصفة عامة تغلب عليه العطفة الدينية بصورة وضحلة^(٣) .

أما بالنسبة لقضية توقيت الرحلة ، فنجد أن سايولف يذكر أمر الملك بلدوين الأول Baldwin I ورايموند كونت تولوز Raymond count of Toulouse ، وأوردهما معا في خلال ترحاله في أنحاء مملكة بيت المقدس الصليبية . وهذا جعل البعض يرى أن رحلته جرت في الأعوام الأولى من القرن الثاني عشر م ، لأن بلدوين الأول توج ملكا على المملكة في عام ١١٠٠ م ، وتوفي رايموند في عام ١١٠٥ م^(٤) . ومن جهة أخرى فإن ذلك الرحالة يذكر بعض المواقع على ساحل الشام لا تزال في أيدي المسلمين ، ولكن وجدت بعض المواقع التي سقطت في قبضة الصليبيين مثل طرطوس Tortoso التي استولى عليها رايموند في مارس عام ١١٠٢ م ، أما عكا Acrarom ، فكانت خاضعة للسيادة الاسلامية ، ولم يستول عليها الصليبيون الا عام ١١٠٤ م ، ومعنى ذلك أن سايولف قام برحلته في أوائل القرن الثاني عشر م قبل عام ١١٠٤ م ومن المحتمل أنه قام بها بين عامي ١١٠٢ ، ١١٠٣ م تقريبا^(٥) .

ويلاحظ أن سايولف ذكر رفق رحلته أنه صادف عاصفة عنيفة - وهو في طريقه إلى فلسطين - استمرت سبع ليال ، عند جزيرة قبرص Cyprus^(٦) ، كذلك واجه أخرى بالغة العنف عند جزيرة كافالانيا Caphalania^{*} وأدت إلى اغراق عدد من أصحابه الذين رافقوه على متن السفينة التي أقلتته على نحو سبب له حزنا وأسفا كبيرين^(٧) .

وهكذا ، فإن رحلته توضح لنا المخطر التي عانى منها أولئك الرحالة الذين قدموا إلى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين ، ويبدو أن العواصف التي هددت سفن الحجاج الأوروبيين في عرض البحر كان لها ما يمكن وصفه بالنصيب الأوفر من الخطر الذي أحرق بهم ، وذلك في عصر افتقد وسائل الاتصال الحديثة بين السفن البحرية في عرض البحر ، ولا نغفل نوعا آخر من المخاطر التي أهدقت بهم ونفى بها الهجمات التي كان يشنها المسلمون ضدهم لادراكهم أنهم جزء لا يتجزأ من الصليبيين الغزاه القادمين إلى المنطقة ، وأنهم يناصبون المسلمين العداء بصفة عامة ، .

رجدير بالقول ، أن أولئك الرحالة حرصوا ما وسعهم الحرص على إيراد ما لا قوة من صعاب في طريقهم إلى أن وصلوا إلى تلك البقاع المقدسة ، وذلك من أجل أن يوصحوا لعاصريهم - واللاحقين من بعدهم - مدى إيمانهم وورعهم وتقواهم التي دفعتهم إلى مواجهة كافة تلك الصور من المشقة والهلاك من أجل زيارة الأماكن المرتبطة بذكرىات المسيحية المبكرة ، ومن المحتمل أنهم أحيانا لجئوا إلى المبالغة في تصوير تلك الصعاب ليعرضوا أمام الآخرين في صورة بطولية^{*} .

ومن الجوانب الهامة التي تحويها رحلة سايولف ، ما ذكره بشأن المقاومة الإسلامية ضد الحجاج المسيحيين القادمين من أوروبا ، ويتسم وصفه في هذا المجال بالحيوية والتفصيل على نحو فاق ما ذكره رحالة آخر زار المنطقة في وقت مقارب ونعنى به دانيال الروسي Abbot Daniel (١١٠٦ - ١١٠٧ م) وجاء وصفه من خلال تناوله للطريق الممتد من يافا (Joppa) إلى بيت المقدس Jerusalem اذ قطعه خلال رحلة امتدت يومين ، ويصفه بأنه طريق جبلي وصخري خطر للغاية^(٨) ، ومكن الخطورة لدى ذلك الرحالة أن العرب يكمنون في كهوف الجبال ، وذلك من أجل مراقبة الطريق نهارا وليلا بغرض اهتبال الفرصة المناسبة لمهاجمة أولئك الذين يكونون قليلى العدد ، ولا تتوافر لديهم حماية كافية^(٩) ، ويقرر أنه نى خلال لحظات فانهم يظهرون وينتشرون في كل مكان ، وفي الحال يختفون من قورهم^(١٠) ، ويبدو أنه خص بذلك عناصر البدو التي سكنت تلك المنطقة والذين من المرجح أنهم قاموا بذلك الدور^{*} .

ويبدو من خلال هذا الوصف الذي يقدمه ذلك الرحالة ، أن المسلمين قاموا

بما يشبه حرب العصابات ضد الصليبيين القادمين من الغرب الأوربي ، وقد اعتمدت تلك المصادمات بين الجانبين على أسلوب الكر والفر والمباغلة وتحقيق أكبر قدر من الخسائر في صفوف الصليبيين . ثم الرجوع الى مواقعهم الحصنة في الجبال ، دون أن يكونوا قد خسروا الكثير من رجالهم ، ويبدو أن المسلمين في فلسطين حينذاك قد أدركوا أن المعارك بين الجيوش النظامية الاسلامية والصليبية قد أدت الى إلحاق الهزائم بهم على نحو أدى بدوره الى نجاح الصليبيين في تحقيق أهدافهم واحتلال أجزاء هامة وحيوية من بلاد الشام والجزيرة ، ومن ثم فإن الحل المنطقي في نظرهم في شن هجمات سريعة تلحق الأضرار وتستهلك طاقاتهم وتحرمهم من الدعم البشري القلدم من أوروبا وتجعل أمر استقرارهم في المنطقة باهظ التكاليف .

ومن الواضح أن جهود المسلمين في هذا المجال كان لها أثرها خاصة في الطرق التي سلكها أولئك الحجاج من الساحل الفلسطيني الى بيت المقدس ، ويقرر نفس الرحالة ، أن أي أمرىء يقوم بمثل تلك الرحلة بمقدوره أن يرى ذلك ، ويا له من عدد كبير من الأجساد البشرية ملقاه « سواء في الطريق أو على جانبه » ملقاة للوحوش الضارية^(١١) ، وقد استلقت تظر سايولف ناحية هامة ، وهي أن القتلى من الصليبيين يتركون في العراء دون أن يدفنون ، وفي ذلك يذكر أنه ربما أخذت الدهشة البعض لرؤية ذلك الموقف ، إذ لماذا يرقد المسيحيون في ذلك المكان دون أن يقبروا أو يوضعوا في قبور خاصة بهم ، ويجيب بنفسه بقوله « أن الأرض نفسها غير صالحة لذلك ، لكونها ذات طبيعة صخرية وعرة ولا تصلح لأعمال الدفن ، ثم من الخطر أن يقوم المرء بحفر قبر لغيره ، لأنه في تلك المنطقة الخطيرة ، من الممكن أن يصنع قبرا لنفسه ، لا لصديقه ان هو فعل ذلك^(١٢) » .

وهكذا ، فإن تلك الرحلة تكشف لنا أن عنف المقاومة الاسلامية في ذلك الطريق بلغت حدا دفعت الصليبيين الى تجنب دفن قتلاهم خوفا من أن يفتن المسلمون الفرصة ويفتكرون بهم . وهذا الوصف البارع الذي يفيض حيوية وتفصيلا يفيدنا في ادراك حجم المقاومة الاسلامية ضد الصليبيين خلال تلك المرحلة المبكرة من وجودهم في فلسطين وبلا حظ أننا لا نجد نكرا واضحا لحجم تلك المقاومة في داخل فلسطين ضد الغزاة من خلال المصادر العربية المعاصرة ، فابن القلانسي الذي عاصر مقدم الحملة الصليبية الأولى جعل جل اهتمامه دمشق ولم يعط نفس القدر لأحداث تتعلق بحركة المقاومة الاسلامية ضد الصليبيين في تلك المنطقة التي أشار اليها ذلك الرحالة .

وينبغي ألا نتصور تلك المقاومة الاسلامية بمعزل عن حركة الجهاد ضد الصليبيين سواء في الجزيرة أو في بلاد الشام ، وفي نفس ما أورده سايولف ما يوضح أبعاد اتهام تلك الأنشطة التي قام بها المسلمون ضد الحجاج المسيحيين بأنها من قبيل أعمال القرصنة والسلب والنهب ، إذ أن نفس ذلك الرحالة يقرر ما نصه « يحدث الخطر في هذا الطريق ليس فقط بالفقير والضعيف بل أيضا بالثري والقوى

والكثيرين يقتلون على أيدي العرب» (١٣) ، ومن الواضح أن الأقدام على قتل الفقراء يدل دلالة واضحة على أن قاتليهم لم يهدفوا إلى سلب أموالهم وأمتعتهم ، ولكن الرغبة في مقاومة موجة الغزو الصليبي للمنطقة ، وبالتالي فإن من الانصاف أن نقرر أن حركتهم اتسمت بطابع الجهاد ولا تتصف بطابع القرصنة واللصوصية .

وتوجد ناحية هامة تثيرها رحلة سايولف وتتصل بالأوضاع العمرانية في فلسطين خلال تلك المرحلة المبكرة من عهد الوجود الصليبي بها ، فذلك الرحالة يكيل الاتهامات للمسلمين بأنهم هم الذين خربوا المدن الفلسطينية ، والأمثلة التي أوردها في رحلته متعددة ، منها ما ذكره عن مدينة بيت لحم ، إذ يذكر أنه لا يوجد شيء قد ترك قابلا للسكن من جانب العرب ، بل تم سلب كل شيء ونهبه وذلك كما هو شأن كل الأماكن المقدسة الأخرى خارج أسوار مدينة القدس (١٤) ، وأيضا فإنه عندما يذكر مدينة الخليل يشير إلى أنها وقت رحلته نُهبت وخربت على أيدي العرب (١٥) ، فضلا عن ذلك أشار إلى أنهم خربوا مدينة الناصرة بصورة كاملة (١٦) .

والواقع أننا لا نجد دليلا واضحا يؤكد حدوث ذلك الخراب بالمدن المذكورة ، أو أرجاع ما حل بها من صنوف الدمار ، على عاتق المسلمين ، ومن الممكن تصور أن مثل ذلك الخراب - أن وجد - كان بمثابة نتيجة طبيعية للصراع الحربي الاسلامي - الصليبي وليس من المنطق تحميل المسلمين مسئولية تخريب تلك المدن بالصورة التي يذكرها ذلك الرحالة ، وهناك إشارة هامة أوردها العظمى في تاريخه تفيد بأن الصليبيين عملوا على تعمير مدن الساحل (١٧) - التعمير هنا يقصد به إقامة القلاع والحصون وليس المعنى الحديث - ومن الطبيعي أن المدن الساحلية نالها قسطا من الخراب بسبب العمليات الحربية والمقاومة الإسلامية لموجة الغزو الصليبي ، أما المدن الداخلية التي أشار إليها سايولف فأننا لا نجد ما يدعم اتهامه للمسلمين بأنهم يتحملون مسئولية ذلك .

وهكذا ، فيبدو أن مرجع تلك الاشارات التي وردت في تلك الرحلة إلى طبيعة المرحلة التاريخية ذاتها والتي حوت قدرا كبيرا من التعصب من جانب الصليبيين على نحو خاص ضد كل ما هو غير مسيحي ، وللتدليل على ذلك الاتجاه التعصبي ما نلمسه خلال رحلة سايولف نفسه إذ يشير إلى بلاد العرب Arabia بقوله « وعلى الجانب الآخر من الأردن توجد بلاد العرب ، وهي التي تليق بالمسيحيين عداء شديدا ، ولا تصادق كل الذين يؤمنون بالله (١٨) » ولا مرأى في أن عقلية بمثل هذه الصورة في عصر تلك كانت طبيعته ، وليس من المستبعد أن تقدم لنا اشارات بمثل تلك الصورة ، ويعلق البعض على اتجاه سايولف بقوله أنه « شديد النقمة على العرب » ، فلا يعثر على مكان مخرب أو متهدم حتى يسرع يتهمهم بذلك (١٩) .

ومن الجوانب الهامة التي تشير إليها رحلة سايولف ، ما يتصل بطرق الحج التي سلكها الحجاج المسيحيون القادمون من أوروبا ، فبالإضافة إلى الطريق المقدس

من يافا Joppa الى بيت المقدس Jerusalem والذي أشار اليه ذلك الرحالة^(٢٠)، هناك أيضا اشارة هامة يستفاد منها أن الطريق الآخر وقع فيما بين الناصرة ومدينة كنا الجليلية Cana of Galilee^(٢١) وعند منتصف الطريق ، وقعت قرية تسمى قرية روما Roma ، وعندها يوجد مكان للضيافة يتخذ الحجاج القادمون من عكا الى طبرية ، وقد شجع على ذلك ، ما امتاز به موقع ذلك النزل ان أن الناصرة وقعت على الجهة اليمنى ، بينما وقعت الجليل في الجهة اليسرى^(٢٢) .

وتفيد الاشارة السابقة في توضيح ناحية هامة ، وهى أن الوصول الى الأماكن المسيحية المقدسة كان يتم من خلال عدة طرق من أجل توفير انسياب حركة الحجاج وتدفقهم على أراضى مملكة بيت المقدس الصليبية ، ولا شك فى أن المنطقة فيما بين الناصرة وكنا الجليلية ازدهرت فيها الأنشطة التجارية من خلال تركيز الحجاج فيها ، ومن اليسير توقع تزايد حركة الخدمات المقدمة لأولئك القادمين الى الأماكن المقدسة ، ومن المرجح أنه فى خلال ذلك العصر أدى تدفق الحجاج المسيحيين الى ازدهار بعض المدن والقرى الواقعة على طرق الحج ، ويبدو أن ذلك كان من أثره زيادة شمرانها وتوسعها بصفة عامة .

ومن جهة أخرى ، يحتل الساحل الشامى أهمية لدى سايولف ، ومن الملاحظ أن الاستيلاء على الساحل مثل بالنسبة للصليبيين قضية بالغة الحيوية^(٢٣) ، إذ كان معناه بالنسبة لهم استمرار الدعم المادى والمعنوى من جانب الغرب الأوروبى وتدعيم وجودهم فى بلاد الشام بالسيطرة على المدن الساحلية التى تضع فى قبضتها فعالية حركة التجارة من صادرات وواردات وما يستتبع ذلك من الحصول على الأموال الطائلة من عوائد المكوس المفروضة على حركة التجارة بكافة صورها وأشكالها .

وعند مقدم ذلك الرحالة الى المنطقة وقيامه بالترحال فى أنحاء مملكة بيت المقدس الصليبية فى المدة من ١١٠٢ الى ١١٠٣م ، لم يكن الصليبيون قد استولوا بعد على كامل الساحل الشامى الممتد من الاسكندرونة شمالا حتى غزة جنوبا ، بل أنه حتى ذلك الوقت ، وجدت بعض المراكز الخاضعة للسيادة الاسلامية ، ومن أمثلتها صور Tyre والتى سقطت فى أيديهم عام ١١٢٤م ، وعسقلان Ascalon التى سقطت فى عام ١١٥٣م ، فى عهد الملك الصليبي بلدوين الثالث . وقد أدرك سايولف تلك الناحية وقد ذكر « أننا مررنا على طول المدن الواقعة على الساحل والذي استولى الفرنج على بعضه . ولا يزال بعضه الآخر فى قبضة العرب »^(٢٤) .

ويقدم لنا اشارات عن المدن الساحلية وأسمائها فى بداية الحكم الصليبي ، ومن أمثلتها أرسوف Atsoph كما هو الشائع وتسمى أزوتس Azotus فى اللاتينية ، وقيصرية فلسطين Caesarea Palestina^(٢٥) وحيفا Cayphas وهذه المدن يسيطر عليها الملك بلدوين (أى بلدوين الأول ١١٠٠ - ١١١٨م) ومن بعد

ذلك تأتي مدينة عكا Acras ويذكر عنها أنها بالغة القوة وتسمى أكارون Accaron (٢٦) ، ومن بعد ذلك صور Tyre وصيدا Sidon ، وجبله Jubelet (٢٧) وببيروت Baruth ، وكذلك طرطوس Tartusa ، ويشير الرحالة الى أن من يسيطر عليها هو الدوق رايموند Raymond - ويعنى بذلك رايموند الصنجيلي - ثم هناك طرابلس Tripolis واللاذقية Latacia ، وجبيل Gibel (٢٨) .

ومن الملاحظ هنا ، أن سايولف عندما يذكر المدن الساحلية السابقة لا يوردها وفق ترتيب موقعها الجغرافى ، ولكن يذكرها بصورة مختلطة مما عكس عدم دقته فى هذه الناحية ، ومن جهة أخرى ، فنظرا لأن السفينة التى أقلتته مرت على الساحل الشامى فقط ولم ينزل الى تلك المدن ، فقد جاءت اشاراته عنها مقتضية ولا تحوى ما يفيد بشأن أوضاعها الاقتصادية ولا سيما التجارية .

ومن الجوانب الأخرى التى تميزت بها رحلة سايولف اشارته الى أمر الصراع البحرى بين الفاطميين من ناحية والصليبيين من ناحية أخرى ، وذلك من خلال محاولات الفاطميين دعم دفاعات المدن الساحلية فى بلاد الشام التى كانت تابعة لهم والتى لم تكن قد سقطت بعد فى قبضة أعدائهم الصليبيين ، وفى هذا المجال يعد ذلك الرحالة شاهد عيان معاصر لمناوشات حربية وقعت بين الطرفين وشهدتها أمواج شرق البحر المتوسط فى مقابل الساحل الشامى ، إذ أنه يذكر أنه بينما كانت السفينة التى تقله تمر فيما بين حيفا وعكا ، ظهرت ست وعشرون سفينة من سفن العرب (يقصد الفاطميين بالطبع) وكانت تابعة لقائد صور وصيدا ، من أجل شن الحرب ضد ملك بيت المقدس (٢٩) وقد كادت تجرى معركة بين السفينة التى تقل سايولف والسفن الفاطمية ، ويشير الى أن سفينته احتوت على رجال مسلحين من أجل الدفاع عنها من هجمات الأعداء ، وأنهم كانوا على أهبة الاستعداد للموت من أجل عقيدتهم ، ويذكر أن عددهم بلغ المائتين (٣٠) ، مما يعكس من ناحية أخرى ، ضخامة تلك السفن التى نفل مثل تلك الأعداد الكبيرة من الحجاج ، ومن يدافع عنهم ، كما أن ذلك يوضح أن السفن التى أقلت الحجاج احتوت على عناصر حربية تقوم بالدفاع عنها ضد هجمات المسلمين فى عرض البحر ، وقد ذكر سايولف ، أن قائد أسطول المسلمين طلب من أحد أتباعه أن يقوم بالصعود الى سارية السفينة من أجل أن يتبين ما يفعل الصليبيون ، وعندما علم بإمكاناتهم الحربية ، لاذ بالفرار (٣١) .

ويعطى ذلك الرحالة على الموقف قائلا « ان العناية الالهية انقذتهم من الوقوع فى قبضة الأعداء » (٣٢) كما أشار الى أن الصليبيين فى يافا قد استولوا - فيما بعد - على ثلاث سفن من تلك السفن الفاطمية ، وأنهم أثروا من جراء الغنائم والأسلاب الكبيرة (٣٣) .

وإذا نحينا جانبا الجانب السياسى والحربى ، فاننا نجد ان رحلة سايولف احتوت على تناول هام للكناس والأديرة التى ازدهرت بها مملكة بيت المقدس الصليبية ، ومثل هذا الاتجاه سنجده بصورة واضحة فى مؤلفات كافة الرحالة الأوربيين حتى أولئك الذين زاروا المنطقة فيما بعد رحلة سايولف ، خاصة العناصر المسيحية منهم .

مهما يكن من أمر ، فان سايولف أورد عددا من تلك المؤسسات والعمائر الدينية ، ومن أمثلتها كنيسة الضريح المقدس ، وهى تسمى أيضا كنيسة الشهيد Martyrium ، وتعد البقعة الأولى التى يراها الزائر ليس فقط بسبب اتجاهات الشوارع ، بل بسبب أنها أكثر الكنائس المزدانة المحتفل بها ، ويلاحظ أنها شيدت على يد رئيس الأساقفة ماكسيموس Maximus The Archishop ، وذلك بمساعدة الامبراطور قسطنطين Constantine . وأمه هيلينا Helena (٣٤) ، وقد ذكر ذلك الرحالة أن القبر المقدس - كما يتصور المسيحيون - يوجد فى وسط تلك الكنيسة وهو محاط بحائط بالغ المنعة والحصانة ، ومغطى خشية من مطول الأمطار عليه على نحو يلحق به الضرر (٣٥) إذا أن الكنيسة شيدت دون أن يكون لها سطح يقيها شر ذلك . ثم أنه ذكر أمر المكان الذى عثر فيه على الصليب المقدس Holy Cross - وفق اعتقادات المسيحيين - وكذلك الصلبان الأخرى ، حيث تم بناء كنيسة فيما بعد على شرف الملكة هيلينا (٣٦) ولكنها دمرت على أيدي الوثنيين . ويقصد بهم خسرويز وآنفرس وذلك عام ٦١٤م (٣٧) .

وبالإضافة الى ذلك ، أشار الى كنيسة القديسة مريم Sancta Maria (٣٨) ، وكذلك كنيسة القديسة آن أم القديسة مريم St. Anne (٣٩) ، وأيضا كنيسة الروح المقدسة Holy Ghost (٤٠) .

وفضلا عن ذلك ، هناك كنيسة أخرى الا وهى كنيسة القديسة مريم ، وتسمى بارفا Parva (٤١) ، حيث يوجد عدد من الراهبات اللاتى يخدمنها هى وابنها على نحو كامل من التفانى والإخلاص ، وفضلا عن تلك الكنيسة ، هناك واحدة مخصصة لشرف القديس لازاروس (٤٢) .

وتجدر الإشارة الى أن أهمية ما ذكره سايولف بشأن تلك الكنائس، أنها تمثل أول وصف لها من جانب رحالة زار فلسطين بعد نجاح الصليبيين فى إقامة مملكة بيت المقدس ، ويقرر أحد الباحثين أن أهم ما احتوته رحلة ذلك الرحالة هو وصفه لكنيسة الضريح المقدس قبل أن يمسه الصليبيون باصلاح أو اضافة (٤٣) مع ملاحظة أن تلك الكنيسة بالذات ستحتل باهتمام كبير عن كافة الرحالة المسيحيين الذين سيزورون المنطقة . ولم تقف اهتمامات سايولف الدينية عند حد ايراد عدد كبير من الكنائس فقط ، بل أنه اتجه الى تناول الأديرة أيضا ، وفى هذا المجال ذكر عدة أديرة فى مملكة بيت المقدس ، ومن أمثلتها دير القديس ساياس (٤٤) Monastery of St. Sabas .

وقد ذكر عنه أنه بالغ الجمال والاتساع وأن هناك أكثر من ثلاثمائة من الرهبان اليونانيين . يعيشون ضمن جماعة ديرانية تخدم الرب والقديس (٢٢) ، كذلك أشار الى وجود دير آخر مكرس لنفس القديس . ويلاحظ أن دير القديس ساباس حظى باهتمام عدد من الرحالة الأوروبيين الذين زاروا المملكة مما عكس مدى أهميته ومكانته بين الأديرة التي خضعت لسيادة الصليبيين ، وهناك أيضا ذلك الدير الخاص بالقديسة مريم Monastery of The Blessed Virgin Mary وقد وصفه بالعظمة والثراء .

ولا يغفل ذلك الرحالة الإشارة الى الأديرة الثلاثة التي شيدت على قمة جبل تايور (٢٦) ، أحدها أقيم لشرف السيد المسيح ، والثاني لشرف موسى ، والثالث الذي يعدّ عنهما أقيم لشرف ايلياس Elias (٢٧) ، عليهم السلام ، ويلاحظ أنه من الآن فصاعدا ستترد في مؤلفات الرحالة الأوروبيين اشارات عن تلك الأديرة .

والواقع أن تناول ساتولف للأديرة التي وجدها في أنحاء مملكة بيت المقدس الصليبية خلال رحلته ، يستدعى بالضرورة تناول سياسة المملكة تجاه تلك الأديرة حينذاك ، ويلاحظ أن المملكة الصليبية خلال عهد بلدوين الأول واجهت بعض المصاعب المالية ، إذ أن خطط ذلك الملك الدفاعية والتوسعية احتاجت دعما ماليا كبيرا من أجل تمويلها ، والملاحظ أن أكثرية مرافق البلاد صار رهن اختكارات القوى التجارية الإيطالية ، كذلك فإن الموارد الاقطاعية في ذلك الحين لم تكن - على ما يبدو - لتكفي من أجل دعم الجهاز الحربي ، ثم أن الثروات التي أمكن الحصول عليها من الغنائم والأسلاب التي وجدت من جراء الاستيلاء على المدن الإسلامية لم يكن من الممكن الاعتماد عليها ، ومن جهة أخرى ، كانت الرسوم المالية المفروضة على الحجاج والقوافل التجارية ، عرضة للتغير وفق مقتضيات الأحوال (٢٨) .

ولا مرأ في أن تلك الأزمة المالية والتي اتضحت معالمها قد جعلت الملك الصليبي يسعى ما وسعه السعى من أجل الحصول على موارد اضافية لخزانة المملكة . واتجه الى الأديرة بفضل ما عرف عندها من ثراء عريض ومن أمثلتها دير صهيون ، الذي بلغ من الثراء حدا جعله أحيانا يمتلك حيا بأكمله في مدينة بيت المقدس نفسها ، وذلك مع تمتعه بحق فتح بوابة في الأسوار المحيطة بالمدينة ، وامتلك ممتلكات وأراض ، وبساتين وأسواق في عسقلان ، وياقا ، ونابلس ، وقيسارية ، وعكا ، وصور ، وأنطاكية ، وكيلىكيا ، وبلغ الأمر الى حد أن صارت له أملاكه في صقلية ، وإيطاليا . وفرنسا من جراء تبرعات عناصر الحجاج (٢٩) .

وهكذا عمل بلدوين الأول على الحصول على بعض الهبات التي قدمت الى تلك الأديرة ، ويقال انه في عام ١١٠١م ، طلب من بطريرك بيت المقدس أن يتنازل للخزانة عن قسم من الإيرادات التي كانت تصل الى البطريركية ، من أجل دعم ميزانية المملكة الصليبية الوليدة (٣٠) .

ومع ذلك ، فمن الملاحظ أن ذلك الملك الصليبي كان على ادراك بضرورة الاهتمام بالأديرة ورعايتها وتشجيع رجال الدين والرهبان على الاستقرار فى ربوع المملكة لدعم الكثافة السكانية بها وذلك دون أن يتعرضوا لضغوط قوية ومستمرة من جانبه ، ونجد أنه فيما بعد ، بعد أن تحسنت الأوضاع المالية للمملكة ، قام بتقديم بعض الهبات لأحد الأديرة وهو دير Notre Dame ، فى وادى يوشفات Josaphat الذى اشتهر بالثراء العريض وذلك فى عام ١١٠٨م^(٥١) ، وقد استمرت تلك السياسية فى عهد خلفه بلدوين الثانى الذى أصدر مرسوما أكد فيه الهبات التى حصل عليها ذلك الدير فى عهد سلفه^(٥٢) .

وبالإضافة الى كافة الجوانب السابقة التى احتوتها رحلة سايولف ، نجد أنها تناولت ناحية هامة تتعلق بالبدايات المبكرة لهيئة الاسبتارية ، وهى التى عرفت فى المصادر اللاتينية باسم :

• (٥٣) Ordo Equitum Hospitaliorum Sancti Johannis Hierosolymitani

اذ أنه بعد أن ذكر كنيسة القديسة مريم Sancta Maria ، والتى تسمى أحيانا بارفا Parva ، أشار الى أنه بالقرب منها تقع مستشفى مخصصة لشرف القديس يوحنا المعمدان John the baptist^(٥٤) ، وهذه الإشارة تعد تقريبا الأولى من نوعها فى مؤلفات الرحالة الأوربيين الذين زاروا فلسطين ، تحت حكم الصليبيين فى خلال تلك المرحلة المبكرة للمستشفى التى أسسها الأمالفيون أهل مدينة أمالفى Amalfi^(٥٥) الإيطالية ، والتى كانت نواة هيئة الاسبتارية .

ومن المتفق عليه أن الهيئة اعتمدت على القديس يوحنا المتصدق^(٥٦) John The Almsgiver وجعلته القديس الحامى لها ، ثم استبدلته فيما بعد بالقديس يوحنا المعمدان John The Paptist وهو الذى كان يتمتع بشهرة أعرض من شهرة يوحنا المتصدق .

وينبغى أن نقرر أن فكرة انشاء المستشفيات قديمة ولم تكن وليدة تلك المرحلة التى زار فيها سايولف مملكة بيت المقدس الصليبية ، فقد اقيمت فى أوستريا وكذلك فى ايطاليا عدة مستشفيات^(٥٧) ، وحرص الأباطرة البيزانطيون على إقامة العديد منها فى القسطنطينية^(٥٨) وغيرها من مدن الامبراطورية البيزنطية ، كذلك مما يذكر فى هذا المجال أن المسلمين شيدوا العديد منها وهى التى عرفت لديهم باسم البيمارستانات^(٥٩) فى بغداد والقاهرة ودمشق وغيرها من الحواضر الاسلامية وبلغت درجة رفيعة المستوى من الخدمات الطبية .

وهكذا احتوت رحلة سايولف على تناول العديد من الجوانب الهامة على المستويات

السياسية والحربية والدينية وعلى الرغم من ذلك يمكن أن يوجه اليه بعض النقد ، حيث أنه افتقد تقديم الأسانيد المبرهنة على حساب أقواله في بعض المواضع مثل اتهامه للمسلمين بأنهم يتحملون مسئولية التخريب الذي حل بعدد من مدن فلسطين وهناك أيضا الناحية التعصبية التي تتضح من خلال اشارته لبلاد العرب وأن سكانها على عداء مع كل المؤمنين بالله ، ومع ذلك فيلاحظ أنه لم يعبر صراحة عن المسلمين بتعبير الكفار Infidels وإنما بتعبير Saracens ، وبذلك اختلف عن غيره من الرحالة الأوربيين الذين زاروا المنطقة في مرحلة تالية لرحلته ، واستعملوا تعبير الكفار ليطلقوه على المسلمين ، ومن أمثلتهم ثيودريش Theoderich وهو الذي سنخصص له فصلا مستقلا فيما بعد .

والجدير بالذكر هنا ، أن سايولف أغفل بعض الحقائق التاريخية ، ومن أمثلتها مسئولية الصليبيين عن مذبحه بيت المقدس الرهيبة التي جرت ١٥ يوليو ١٠٩٩م^(٦٦) ، واستمرت عدة أيام من بعد ذلك التاريخ ، وراح ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين، واعترفت بها المصادر التاريخية الصليبية المعاصرة بل ان المؤرخين الصليبيين المتأخرين عنها ، مثل وليم الصوري William of Tyre لم يستطع اغفالها وذكرها في تاريخه^(٦٧) ، وقد أغفل سايولف الإشارة إليها على الرغم من أنه زار بيت المقدس بعد عامين فقط من أحداث المذبحة المروعة ، واكتفى بأن كال الاتهامات للمسلمين بصورة جزافية ، وقد يقول قائل أن من المفروض أن نتناول ما ورد فعلا في الرحلة ، لا أن نحاسب الرحالة على ما لم يذكره ، ولكن في حالة سايولف هذه من الممكن التصور أنه تعمد اغفال ذلك الحدث الهام ، الذي لا نشك لحظة في أنه استمر ترده الألسن بعد وقوعه بعامين فقط . ومن المرجح أن ذلك الرحالة عمد الى اغفال تلك الناحية ، من خلال منطلق تعصبي ، وحتى لا يلصق ببنى جلدته ، أية شواش أو نقائص تعرض بهم .

مجلد القول أن رحلة سايولف احتوت على تناول العديد من الجوانب السياسية والحربية والكنسية المتصلة بمملكة بيت المقدس الصليبية في سنوات عمرها الأولى على نحو أفاد في دراسة تاريخها .

الهوامش :

(١) اعتمدت في اعداد هذا الفصل على الترجمة الانجليزية لرحلة سايولف والعنبران الاصلى للرحلة هو : Saewulfi ad Peregrinatione Saewuli .

Hierosolyman et Terrae Sanctam

وهناك ترجمة للرحلة الى الفرنسية قلم بها م . دي فيزاك D'Avezac . ضمن مجموعة الرحلات والتذكرات التي صدرت من جانب الجمعية الجغرافية ، المجلد الرابع ، باريس عام ١٨٣٩ م ، على مدى الصفحات من ٨١٧ الى ٨٥٤ ، عن ذلك :

D'Avezac, «Relation des voyages de Saewulf à Jerusalem et en Terre Sainte», Recueil de Voyages et de mémoires publié par la société de géographie, T. IV, Paris 1839. P.P. 817—954.

كذلك قام توماس رايت Thomas Wright بترجمة الرحلة الى الانجليزية، وضمنها كتابه الرحلات المبكرة في فلسطين الصادر في لندن عام ١٨٤٨ م على مدى الصفحات من ٣١ الى ٥٠ عن ذلك انظر :

Thomas Wright, Early Travels in Palestine, London 1848, P.P. 31—50.

ايضا :

gen Landes Bezuglichen Literatur Von 333 Bis 1878, P. 29.

وهناك ترجمة الى الانجليزية قام بها Bishop of Lifton في مجموعة P.P.T.S. ، الجزء الرابع وصدرت في لندن عام ١٨٩٦ م ، وهي التي اعتمدت عليها بصورة أساسية في اعداد الفصل .

عن ذلك انظر :

Ruhrich, Chronologisches Verzeichniss der Auf die Geographie der Hei-Saewulf, Pilgrimage of Saewulf, Trans. by Bishop of Clifton, P.P.T.S., Vol. IV, London 1896.

Ibid, P. VII (٢)

Ibid, P. VII (٣)

Ibid, P. VI. (٤)

وقد ذكر مترجم الرحالة أن رايموند الصنجيلي قد توفي عام ١١٠٨ م ، كذلك اعتقد فيليب حتى أن ذلك الأمير الصليبي توفي حوالي عام ١١٠٠ م ، على الرغم من ذكره أنه قام بتشييد قلعة أمام طرابلس عام ١١٠٣ م ، وفي موضع آخر اقترح أن طرابلس نفسها لم تسقط حتى عام ١١٠٤ م ، أي بعد مضي أربع سنوات على وفاة رايموند ، مع ملاحظة خطأ ذلك التصديق على اعتبار أن طرابلس سقطت عام ١١٠٩ م بعد حصار دام زهاء سبع سنوات ، أما سالم فقد ذكر في دراسته الهامة عن طرابلس الشام أن رايموند توفي في ٢٨ مارس عام ١١٠٥ م وذلك في

ص ٩٦ ، غير أنه لم يلبث أن قرر أن ذلك الأمير الصليبي توفي في ٢٨ نوفمبر عام ١١٠٥ م ، أنظر ، ص ١٤١ من نفس الكتاب ، والواقع أنني اختلف مع كافة الآراء السابقة فقد توفي ذلك الأمير الصليبي عام ١١٠٥ م ، واتفق كل من فوشيه الشارترى ووليم الصوري على ذلك العام ، وقرر الأول أن ذلك حدث في غرة شهر مارس عام ١١٠٥ م ، بينما ذكر الثاني أنه توفي في اليوم الأخير من شهر فبراير ، ومن الواضح أن الفارق بين الرأيين يسير للغاية ، ويلاحظ أن ابن القلانسي ذكر وفاته ضمن حوادث عام ٤٩٨ هـ بما يوافق التحديد الذي ذهب إليه كل من المؤرخين الصليبيين من حيث العام نفسه ، غير أنه ذكر تحديدا مغايرا لما ذهب اليه المؤرخين الصليبيين السابقين ، والواقع أن المؤرخين الصليبيين من الممكن الاعتماد على آرائهم فيما يتصل بالتواريخ الدقيقة المتصلة بالأمرء والاطلاعهم على المصادر الرسمية من وثائق ومكاتبات الى غير ذلك ، على نحو لم يتأت للجانب الاسلامي .

عن رأى المترجم أنظر تعليقه على نصوص رحلة سايولف :
Ibid., p. 27, note (7).

ورأى حتى ، أنظر :
حتى ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج ٢ ، ت . اليازجى ، ط . بيروت ، ١٩٥٩ م ، ص ٢٣٢ .
أنظر أيضا :
السيد عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ، ط . الاسكندرية ١٩٦٣ م ، ص ٩٦ ، ص ١٤١ .

أيضا :
Fulcher of Chartres, P. 181.
William of Tyre, Vol. I, P. 462.
ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق زكار ، ص ٢٣٧ .

محمد الشيخ ، الامارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثالث عشر م ، ط . الاسكندرية ١٩٨٠ م ، ص ٢٤١ ، عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ط . القاهرة ١٩٦٣ م ، ص ١٣٠٦ ، عمر كمال توفيق ، مملكة بيت المقدس الصليبية ، ط . الاسكندرية ١٩٥٨ م ، ص ٢٠٤ .

Runciman, Vol. II, P. 61.
Oldenbourg, Les Croisades, Paris 1967. P. 236.

Saewulf, P. VI. (٥)

والجدير بالذكر أن دى فيزاك رأى أن رحلة سايولف جرت خلال المرحلة يوم ١٣ يوليو ١١٠٢ م حتى يوم ١٧ مايو ١١٠٣ م ، عندما غادر يافا عائدا ادراجة الى بلادهم ، وقد اعتمد في تقديره ذلك على اشارات وردت في الرحلة عن أيام معينة مثل ١٣ يونيو ، ٢٢ يوليو ، ٩ أغسطس ، ٢٣ أغسطس ، ٢٣ أغسطس الى غير ذلك ، كما ورد في الرحلة ، تناول لما عرف بالأيام المصرية ، وهي التي ذكرت في التقاويم الفلكية المصرية القديمة على اعتبار أنها أيام غير محظوظة ، ولا يستحب القيام فيها بعمل هام خشية ألا يكلل بالنجاح ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره وليم النيوبرجى William

of Newburgh رئيس أساقفة كنتريبرى من آن ريتشارد الأول Richard I ملك إنجلترا قد تم تنويجه فى اليوم الثالث من سبتمبر وهو وفقا للمعتقدات الوثنية القديمة من الأيام السيئة أو التى لا يحالفها الحظ ، ويقرر دى فيزاك أن الأيام الثالث عشر والثانى والعشرين من يوليو كانت من ذلك النوع من الأيام ، وقد وردت فى رحلة سايولف ، وقد ذكر مترجم الرحلة Bishop of Clifton ، ذلك فى مقدمة ترجمته للرحلة والتى استعنت بها فى اعداد هذا الفصل ، كذلك أشار الى نفس الأمر بيزلى Beazley وإلى ذلك الرأى ، غير أن من الملاحظ أن الرحلة نفسها لا نجد فيها تحديدا زمنيا عن السنوات التى استغرقتها ، وتظل السنوات من ١١٠٢ ، ١١٠٣م قضية ترجيحية لا يمكن القطع بها ، وعلى ذلك ليس فى امكاننا أن نأخذ بما ذهب اليه دى فيزاك ومن أيده بصورة كاملة .

عن ذلك :

Ibid, P. VII.

Beazley, The Dawn of modern geography, A History of expedition and geographical science from the close of the ninth to the middle of the thirteenth century, Vol. II, London 1901, P. 140.

أيضا §

Hagenmeyer, «Chronologie de l'Histoire du Royaume de Jerusalem», Règne de Boudouin I (1101—1118), R.O.L., T. II, Années 1909—1911, P. 89.

Saewulf, P. 5.

(٦)

Ibid, P. 2.

(٧)

ويقرر المترجم أن الأماكن التى تم الوصول إليها عن طريق البحر غالبا ما ذكرها الرحالة فى العصور الوسطى على اعتبار أنها جزر .

Ibid, P. 2 (note 5).

عن ذلك :

Ibid, P. 8.

(٨)

Ibid, P. 8.

(٩)

Ibid, P. 8.

(١٠)

وجدير بالذكر أن العرب دعاهم اليونان بتعبير Sarakeni ، وفى اللاتينية Saraceni ، وكانوا فيما مضى يطلقون عليهم Skenitae ، ومعناها فى اللغة اليونانية سكان الخيام ، ويرى جيلمان أنه تعبیر أطلقه اليونان ليعنى القبائل التى كانت تجوب الصحارى الواقعة الى غرب نهر الفرات ، ومع مضى الوقت صار يطلق ليعنى المسلمين بصفة عامة .

عن ذلك انظر :

جواد على ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ١ ، ط ٠ بغداد ١٩٥٠ م ، ص ١٢٤ .

Gilman, The Saracens from the earliest times to the fall of Bagdad, London 1897, P. III.

Saewulf, P. 8. (١١)

Ibid, P. 8—9. (١٢)

Ibid, P. 9. (١٣)

Ibid, P. 24. (١٤)

Ibid, P. 24. (١٥)

Ibid, P. 24. (١٦)

(١٧)

Ali Saviem, Azimi Tarihi, Selculslularium Ilgili Bolumber, Ankara 1988, P. 28.

Saewulf, P. 23. (١٨)

(١٩) نقولا زيادة ، رواد الشرق العربي في العصور الوسطى ، ط ٠ القاهرة ، ١٩٤٨ م ، ص ٨٢ .

Saewulf. P. 8. (٢٠)

Ibid, P. 26. (٢١)

كفر كنا ، وقعت على بعد ثمانية كم الى الشمال الشرقى من الناصرة على الطريق المتجه الى بحيرة طبرية ، ويحيطها من الجهة الشمالية والغربية سهل البطوف ، وقد اعتبرت من اعمال طبرية وعددها البعض سوقها ، ويقال أن قبر النبی یونس عليه السلام يوجد بها ، وارتبطت كفر كنا لدى المسيحيين بأن فيها حول السيد المسيح عليه السلام الماء الى خمر ، ومن جهة أخرى فقد احتوت على العديد من المزارات المتصلة بالصالحين والمتصوفة .

عنها انظر :

يوحنا ، الاصحاح الثانى ، من ١ الى ١٢ ناصر خسرو ، سفر نامه ، ت ٠ أحمد خالد البدنى ، ط ٠ الرياض ١٩٨٢ م ، ص ٥٠ ، ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تحقيق بول رافيس ، ط ٠ باريس ١٨٩٤ م ، ص ٤٤ ، شيخ الربوة ،

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق مهن ، ط ٠ برسبرج ١٨٣٥ م .
 ص ٢١٢ ، ابن عبد الحق البغدادي ، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ،
 ج ٢ تحقيق البجاوي ، ط ٠ القاهرة ١٩٥٥ م ، ص ١١٧١ ، العثماني ، تاريخ صفد ،
 تحقيق برنارد لويس B.S.O A.S., Vol. XV, 1953. ص ٤٨٥

Fulcher of Chartres, P. 262.

Zeller, «Kefr Kenna», P.E.F., Vol. 1, London 1869, P.P. 71—73.

Dussaud, Topographie Historique de la Syrie Antique et Medievale, Paris 1927, P. 10.

Le Strange, Palestine under Islam, London 1890, P. 49.

Saewulf, P. 26.

(٢٢)

(٢٢) عن ذلك أنظر :

هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ج ١ ، ت ٠ محمد
 رضا ، ط ٠ القاهرة ١٩٨٥ م ، ص ١٤٩ .

Tbid, P. 27.

(٢٤)

عسقلان Ascalon ، وقعت على ساحل فلسطين على بعد اثني عشر كم إلى
 الشمال من غزة ، وعندما قدم الصليبيون إلى المنطقة كانت عسقلان خاضعة
 لسيطرة الغواطم ، ومثلت ميناء تجاريا هاما وقاعدة بحرية متقدمة للفاطميين في
 فلسطين ، وقد سقطت في قبضة الصليبيين في عام ١١٥٣ م ، وزارها الادريس وهي
 خاضعة لسيادتهم ووصفها بأنها معدودة في أرض فلسطين .

عنها. أنظر :

اليقوبي ، كتاب البلدان ، تحقيق دي جوييه ، ط ٠ لندن ، ص ٢٢٩ ، الزهرى ،
 كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق B.E.O., T. XXI, Année 1938
 ص ٢٢٦ ، الادريسى ، نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٣٥٧ ، الهوى ، مقتطفات من رحلته
 تحقيق تشارلز شيفز ، A.O.L., T. X, Année 1881 ص ٦٠٧ - ٦٠٨ ، ياقوت ، معجم
 البلدان ، تحقيق وستنفليد ، ط ٠ ليبسك ١٩٨٩ م ، ص ٦٧٢ - ٦٧٣ ، القزوينى ، آثار
 البلاد وأخبار العباد ، ط ٠ بيروت ١٩٦٠ م ، ص ٢٢٢ ، ابن عبد الحق البغدادي ،
 المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٤٠ ، ابن بطوطة ، الرحلة ، ط ٠ بيروت ، ص ٥٩ ، آدم
 سميث ، الجغرافية التاريخية للأرض المقدسة ، ط ٠ بيروت ب - ت ، ص ١٥٤ .

Ency. of Isl., «Ascalon», Vol. 1, London, P. 710—711.

وعن تفاصيل خضوعها للصليبيين ، أنظر :

William of Tyre, Vol. II, P.P. 184—234.

Baldwin, «The Latin States under Baldwin III and Amalric I», in Setton, The Crusades, Vol. 1, Pennsylvania 1958, P. 536—538.

Jacques de Verone, Le Pelerinage du Moine Augustin Jacques de Verone, publié par Ruhricht, R.O.L., T. III, Année 1895, P. 180.

عبد اللطيف عبد الوهاب السيد ، السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد بلدوين الثالث (١١٤٣ — ١١٦٣ م) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب — جامعة سين شمس عام ١٩٩٠ م ، ص ١٣٨ — ص ١٤١ .

Saewulf, P. 27.

(٢٥)

أما أرسوف فتقع على بعد عشرة أميال إلى الشمال من يافا على ساحل فلسطين ، وبها وبين قيسارية نحو ثمانية عشر ميلاً ، وبينها وبين الرملة اثني عشر ميلاً ، ومن المحتمل أن اسم أرسوف Arsuf مشتق من اسم الإله السامي رسيف Reseph وفي القرون الأولى من عهد الخلافة عدت أرسوف واحدة من المدن الحصينة الرئيسية في فلسطين ، وقد احتلها الصليبيون في عهد الملك بلدوين الأول وذلك في عام ١١٠١ م ، وفيما بعد استردها المسلمون في عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٧ م ، ولكن أخضعها الصليبيون لسيادتهم فيما بعد ، وسقطت بصورة نهائية في قبضة المسلمين في عهد السلطان الظاهر بيبرس عام ١٢٧٨ م .

عن أرسوف أنظر :

المقدس ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق دى جويه ، ط ١ ليدن ١٩٠٩ م ، ص ٥٤ ، ياقوت ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٣ ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ، تحقيق رينو ودى سلان ط ١ باريس ١٨٤٠ م ، ص ٥٣٨ — ٥٣٩ ، شافع بن على حسن المناقب السرية المنقذة من السيرة الظاهرية ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، ط ١ الرياض ١٩٧٦ م ، ص ٨٩ — ٩٠ .

Fulcher of Chartres, P. 12 P. 29.

William of Tyre, Vol. I, P. 434.

كتشاف البلدان الفلسطينية ، ط ١ القاهرة ١٩٧٩ م ، ص ٩٦ .

صابر دياب ، سياسة الدولة الإسلامية في حوض البحر المتوسط ، ط ١ القاهرة ١٩٧١ م ، ص ٢٩١ — ص ٢٩٢ .

عبد الهادي شعيرة ، « الرملة ورباطاتها السبعة » ، المجلة التاريخية المصرية ، م (١٥) ، عام ١٩٦٩ م ، ص ٤٣ .

عبد الحفيظ محمد على ، الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين في الشرق الأدنى في القرنين ١٢ ، ١٣ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب — جامعة القاهرة عام ١٩٧٥ م ، ص ٢١ .

وبالنسبة لقيسارية ، فإنها تكتب قيسرية أو قيسارية وتقع على الساحل الفلسطيني ، وتبعد عن يافا من الناحية الشمالية بنحو ثلاثين ميلا ، وهي على بعد اثنين وستين ميلا شمال غرب بيت المقدس ، ويعدت عنها عكا بنحو ستة وثلاثين ميلا ، وقد استولى عليها الصليبيون في عام ١١٠١ م . عنها أنظر :

Anonpmous, 'The deeds of The Franks and other pilgrims, Trans. by Hill, New York 1962, P. 87, Fulcher of Chartres, Hist. of the expedition to Jerusalem, P. 153 —154, William of Tyre, Hist. of deeds, Vol. I, P. 435—436.

أبو الفداء ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨ ، حسن عبد الوهاب ، تاريخ قيسارية الشام في العصر الاسلامي ، ط : الاسكندرية ١٩٩٠ م ، أسامة زكي زيد ، صيدا ودورها في الصراع الصليبي - الاسلامي ، ط : الاسكندرية ١٩٨١ م ، ص ١٠٠ ، حاشية (٥) .

Saewulf, P. 27.

(٢٦) حيفا ، مدينة على الساحل الفلسطيني تقع الى الجنوب من عكا ، والى الشمال من قيسارية ، ويلاحظ أن اسم حيفا اختلف في أصله ، واعتقد البعض انه يرجع الى اسم رئيس الكهنة قيافا (راجع انجيل لوقا ، الاصحاح الثالث ، فقرة ٢) أو الى اسم بطرس وهو كفا ، وقد استمر العرب يطلقون عليها حيفا ، ووجدت عدة اشكال لكتابة اسم المدينة في اللغات الاجنبية مثل Caipha, Cufa, Chopha

Heiffa, Kheifa, Haipha, Caiffa

وقد وقعت حيفا على الجزء الجنوبي من أكبر خليج على شاطئ فلسطين ، وتعد منفذا الى البحر لمرج بن عامر ، وهو المرج الوحيد الذي يشق جبال فلسطين الغربية ، وهذا المرج يمثل انحدارا تدريجيا الى غور الأردن ، فهو يشكل بالتالي نقطة اتصال سهلة وميسرة الى سهل البقاع في لبنان ومناطق دمشق وحوران ، وتعتبر حيفا مركزا لشبكة طرق تتجه شمالا وشرقا وجنوبا ، وقاع البحر عندها آمن ، ويخلو من أية معوقات طبيعية أمام حركة السفن . وقد استولى الصليبيون على حيفا في عام ١١٠٠ م ، ونعرف أنه في شهر يوليو من ذلك العام طوق المدينة من جهة البحر أسطول من البندقية ، وكان تانكرد على رأس المحاصرين لها من الجهة البرية ، وقد حارب سكانها باستبسال خلال شهر تقريبا ، وعندما دخلها الصليبيون قاموا بذبح سكانها ، وخلال الأحداث التي تلت اخضاع المسلمين لمدينة بيت المقدس عام ١١٨٧ م تم تحطيم المدينة ، وأخيرا سقطت حيفا في قبضة المسلمين في عهد السلطان الظاهر بيبرس وذلك في عام ١٢٦٥ م .

عن حيفا أنظر : ياقوت ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٠٠٣ .

ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق الخويطر ، ط : الرياض ١٩٧٦ م ، ص ٢٣٤ .

Fulcher of Chartres, P. 142.

William of Tyre, Vol. I, P. 399, Runciman, A History of The Crusades, Vol. II, P. 87—88, Stevenson, The Crusades in the east, P. 33, P. 40, P. 150, Press, Palestina und Sidsyrien reisehandbuch, Berlin 1921, P. 249—250.

الكس كرميل ، تاريخ حيفا فى عهد الأتراك العثمانيين ، ت . تيسير الياس ، جامعة حيفا ، المركز اليهودى العربى ، معهد دراسات الشرق الأوسط ، ط . حيفا ١٩٧٩ م ، ص ٢١ - ص ٢٧ ، زابوروف ، الصليبيون فى الشرق ، ص ١٢٩ ، زكى نقاش ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنج خلال الحروب الصليبية ، ط . بيروت ١٩٥٨ م . ص ٥٥ - ص ٥٦ .

أما عكا ، فهى تكتب عكا أو عكة أو عكا ، وهى من مدن الساحل الفلسطينى ، وبعدت عن قيسارية مسافة ستة وثلاثين ميلا ، ولم تكن هذه المدينة محصنة حتى عهد ابن طولون حاكم مصر ، وأراد أن تكون لها نفس حصانة صور ، وقد جلب إليها العمال والصناع ، وأقام بها التحصينات اللازمة ، واستولى عليها الصليبيون وعلى رأسهم الملك بلدوين الأول Baldwin I . علم ١١٠٤ م ، وحدثنا عنها الادريس فى حوالى منتصف القرن الثانى عشر م بأنها مدينة كبيرة السكان ولها ميناء مأمون الملاحة ، وزارها ابن جبير عام ١١٨٥ م ، وأشار إليها على أنها من مدن الفرنج الرئيسية وزاخرة بالسكان والنشاط الاقتصادى لا سيما التجارى ، عنها أنظر :

المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ط . ليدن ١٩٦٧ م ، ص ١٦٢ - ص ١٦٣ ، ناصر خسرو ، سفرنامه ، تحقيق الخشاب ، ط . القاهرة ١٩٤٥ م ، ص ١٥ ، الادريسى ، نزهة المشتاق الى اختراق الآفاق ، تحقيق جابريلى وديلافيل وآخرون ، ج ٤ ، ط . نابولى ، ص ٣٦٥ ، ابن جبير ، الرحلة ، ط . بيروت ١٩٨٠ م ، ص ٢٧٦ ، ابن بطوطة ، الرحلة ، ط . بيروت ١٩٦٢ م ، ص ٣٥ .

Fulcher of Chartres, P. 176, William of Tyre, Vol. I, P. 454—456, Le Strange, Op Cit., P. 334.

مكسيموس مونروند ، تاريخ الحرب المقدسة المدعوة بحرب الصليب ، ت . مكسيموس مظلوم ، ج ١ ، ط . اورشليم ١٨٦٥ م ، ص ٢٢١ - ص ٢٢٢ ، سيد الحريرى ، الأخبار الستية فى الحروب الصليبية ، ط . القاهرة ١٩١١ م ، ص ٤٩ .

Saewulf, P. 27.

(٢٧)

وجيلة مدينة بساحل الشام من أعمال اللاذقية ، ووقعت بالقرب من حلب . وقد سقطت فى قبضة الصليبيين وذلك بعد سقوط طرابلس فى ١٢ يوليو ١١٠٩ م ، إذ اتجه الصليبيون الى الاستيلاء على مدينتين ساحليتين مجاورتين ، وكانتا بلنياس Balanya والتى سقطت دون مقاومة ثم جيلة ، وتم حصارها والاستيلاء عليها فى ٢٣ يوليو من نفس العام ، وقد تمكنت قوات تانكرد من الاستيلاء عليها خلال حصار طرابلس الحديث ، وقد تعرضت جيلة لعدة هزات زلزالية كبيرة خلال القرن الثانى عشر م ، مثل زلزالى عام ١١٢٤ م ، ١١٥٣ م ، عن جيلة أنظر :

ابن عبد الحق البغدادى ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٢ .

William of Tyre, Vol. II, P. 370.

Sato Tsugitako, 'The Syrian coastal Town of Jubala, its History and present situation, Tokyo 1988, P.P. 45—71.

Rey, «Les Seigneurs de Gible», R.O.L., T. III, Paris 1895, P.P. 398—422.

Saewulf, P. 27.

(٢٨)

جبيل ، من المعروف أنها وقعت فيما بين بيروت وطرابلس ، وبعدت عن بيروت بنحو ثمانية فراسخ ، وقد سقطت بفضل المساعدة التي قدمها الجنوية للصليبيين ، واشتمل الأسطول الجنوبي، على أربعين سفينة وحصل الجنوية على ثلث المدينة كمكافأة لهم ، ويلاحظ أن جبيل كانت من المناطق اللوتبطة بتوزيع الموازنة في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، ومن المؤكد أنها مثلت معقلا تقليديا للوجود الماروني في لبنان على نحو خاص خلال ذلك العصر عن موقعها واستيلاء الصليبيين عليها أنظر :

الادريسي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٢ ، ياقوت ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، ابن عبد الحق البغدادي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣١٤ .

William of Tyre, Vol. I, P. 330, P. 476, Stevenson, The Crusaders in The east, P. 55, Jpejian, Byblos Through ages, Beirut 1968.

ساحية محمد أحمد ، جبيل قعت حكم اللاتين وعلاقاتها السياسية بالمسلمين في الشرق الأدنى في عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٣م ، ص ٤٣ ، أنيس فريحة ، أسماء المدن والقرى اللبنانية ، ط ١ بيروت ١٩٥٦م ، ص ٨٩ ، محمد الشيخ ، الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الزها ، ط الاسكندرية ١٩٧٢م ، ص ٢٠٣ .

Saewulf, P. 27.

(٢٩)

ويشير ابن القلانسي الى مواجهات بحرية بين الفاطميين والصليبيين من خلال مهاجمة الأسطول الفاطمي المواقع الصليبية على الساحل الشامي ، عن ذلك أنظر :

ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق سهيل زكار ، ط دمشق ١٩٨٣م ، ص ٢٦٠ .

وأنظر أيضا ما ذكره فوشيه الشارترى .

Fulcher of Chartres, P.P. 187, P. 2262, P. 296.

Saewulf, P. 28.

(٣٠)

Ibid, P. 28.

(٣١)

Ibid, P. 28.

(٣٢)

Ibid, P. 28.

(٣٣)

ونجد الإشارة الى أن مترجم الرحلة يوضح أن هناك ارتباطا بين محاولات الفاطميين مهاجمة الصليبيين في الشام ، من خلال نشاط أسطولهم البحري ، وبين المواجهات الحربية بين السلاجقة والصليبيين في الجزيرة الفراتية مثل معركة حران الى جرت عام ١١٠٤م ، والتي اشترك فيها سقمان بن أرفق صاحب ماراين ، وجكرمنس النبكت الموصل وقد واجها بلدوين دى بوجر Baliwin de Bourg أمير الرها ، وجوسلين Joselin صاحب تل باشر وبوهيمند Bohemond أمير أنطاكية وقد انتصر فيها المسلمون انتصارا كبيرا وتم أسر كبار الأمراء الصليبيين مثل بلدوين دى بوجر وجوسلين بينما تمكن بوهيمند من الفرار ، ويقرر أن في الوقت الذي وقعت فيه المصادمات البحرية الفاطمية - الصليبية - والتي أورد سايولف ذكرا لها في رحلته - جرت في الجزيرة الفراتية معركة حران ١١٠٤م ، غير أنني لا أميل الى تأكيد ذلك الاتجاه ، على اعتبار أن رحلة ذلك الرحالة جرت قبل عام ١١٠٤م على الأرجح ، وبالتالي فإن المعركة قد جرت بعد الرحلة ، وهكذا فمن الصعب تصور أن الحادثتين قد وقعتا في وقت واحد ، خاصة أن المعركة البحرية التي أورد الرحالة المذكور أمرها في رحلته لا نعرف تحديدها الزمني بدقة بينما نعرف أمر معركة حران وعام حدوثها وهو ١١٠٤م ، عن رأي المترجم أنظر :

Saewulf, P. 27, note (11).

وعن معركة حران وآثارها السياسية والحربية على الصراع الاسلامي - الصليبي أنظر :

William of Tyre, Vol. I. P. 458.

ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، ج ٢ ، ط ١ ، دمشق ١٩٥٤م ، ص ٤٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٣١ ، حلية الجنزوري ، إمارة الرها الصليبية ، ط ١ القاهرة ١٩٨٦م ، ص ٩٧ - ص ١٠٠ ، عصام عبد الرؤوف ، بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي ، ط ١ القاهرة ب - ت ، ص ١٣٨ - ص ١٣٩ ، عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٤٥ .

Cahen, La Syrie du nord à L'époque des Croisades, Paris 1940, P. 236.

Basrker, The Crusades, London 1949, P. 27, Stevenson, The Crusades in Runciman, A History of The Crusades, Vol. II, P. 41.

The east, Beirut 1968, P. 77.

Saewulf. P. 9.

(٣٤)

Pernoud, The Crusades, P. 16.

Saewulf. P. 9.

(٣٥)

وعن كنيسة الضريح المقدس أنظر :

Theoderich, Description of The Holy Places, Trans. by A. Stewart, P.P.T.S. Vol. V, London 1984, P.P. 7—21.

Fulcher of Chartres, P. 117, P. 131—132.

Schlumberger, Chalandon, Blanchert, Sigillographie de l'Orient Latin, Paris 1943, P.P. 134—135.

Elsten, The Traveller's Handbook for Palestine and Syria, London 1929, P.P. 102- 119.

Saewulf, P. 11. (٣٦)

Ibid. P. 11. note (1). (٣٧)

Ibid. P. 14. (٣٨)

Ibid, P. 14. (٣٩)

Ibid ,P. 17. (٤٠)

Ibid, P. 14. (٤١)

(٤٢) القديس لازاروس St. Lazarus ، يظهره العهد الجديد على أن السيد المسيح قد أعاد إليه الحياة - بإذن الله تبارك وتعالى - بعد أن مات ، وعاش لازاروس مع أخته مريم ومرتا في قرية بيتاني بالقرب من بيت المقدس ، ويقال أن قبره في قرية العازرية (بيت عنا) على قارعة الطريق المؤدية إلى أريما .

عنه أنظر :

يوحنا ، الاصحاح (١١) من ١ الى ٥٢ ، الاصحاح (١٢) من ١ الى ١١ .

الادريسي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٦١ .

Bernard The Wise, P. 9.

Attwater, Penguin dictionary of Saints, P. 216, P. 238.

كامل العسلي ، تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص ، ط٠ عمان ١٩٨٧ م .
ص ١٩٢ - ص ١٩٤ .

(٤٣) نقولا زيادة ، المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٤٤) وقع دير مار سابا على بعد خمسة عشر كم إلى الجنوب الشرقى من بيت المقدس ، وقد تم بناؤه عام ٤٨٤م وأضيفت إليه إضافات معمارية فى عهد الامبراطور جستنيان .

نعولا زيادة ، المرجع السابق ، ص ٨٢ ، حاشية (٦) ، عبد الحميد زايد
القدس الخالدة ، ط٠ القاهرة ١٩٧٤م ، ص ٢٥٨ ،

Drake, «Mr. Tyrwitt Drake's Reports», P.E.F., London 1874, P. 28.

القديس ساباس St. Sabas • ولد هذا القديس فى مدينة قيصرية Caesarea فى كبادوكيا Cappadocia وذلك فى عام ٤٣٩م ، ويعد أحد البارزين من الجيل الأول من الرهبان ، وقد صار قدوة لغيره على نحو صارت معه تعاليمه تؤثر تأثيرا كبيرا على الحركة الديرانية الشرقية ، وعندما كان شابا صغيرا لازم القديس ايوثيميوس الكبير Euthymius The Great ، وفى عام ٤٧٨م أسس جماعة ديرانية فى منطقة مقفرة فيما بين بيت المقدس Jerusalem والبحر الميت Dead Sea ، وقد ازدهر أمرها من بعد ذلك بصورة كبيرة ، وفى عام ٤٩٣م كانت له زعامة على كافة الرهبان فى فلسطين الذين عاشوا حياة مشابهة لحياته التقشفية ، وقد لعب القديس ساباس دورا نشطا فى التاريخ الكنسى العام لتلك المرحلة ، وأرسل مرتين من قبل بطريرك بيت المقدس الى القسطنطينية ، ووصلتنا سير حياته عن طريق كيريل الديرسانى Cyril of Scythopolis وقد قابل القديس ساباس وتأثر بتعاليمه ، ويسمى دير ذلك القديس باسم مارسابا Mar Saba ويعد أحد أقدم الأديرة المعمورة فى العالم ، ويشغله رهبان تلبعين للكنيسة الأرثوذكسية الشرقية ، وأدرجت المنية القديس ساباس فى عام ٥٣٢م ، ويلاحظ أن عيد الاحتفال به هو الخامس من ديسمبر، عنه أنظر :

Attwater, The Penguin Distionarp of Saints, P. 301.

وعن انتشار الحركة الديرانية فى فلسطين خلال تلك المرحلة أنظر :
رأفت عبد الحميد ، « كنيسة بيت المقدس فى العصر البيزنطى » ، المجلة التاريخية المصرية ، م (٢٥) عام ١٩٧٨م ، ص ٩٩ .

Saewulf, P. 21.

(٤٥)

(٤٦) جبل طابور Tabor ، هو جبل الطور ، وقع فى اقليم الجليل وطل على مرج بن عامر ، وارتفع عن سطح البحر بنحو خمسمائة وثمانية وثمانين مترا • واحتل موقعا استراتيجيا هاما وكان موضع اهتمام واعجاب الصليبيين ، ولدينا وصف هام لذلك الجبل من جانب الرحالة الروسى دانيال Daniel ويقرر أن ذلك الجبل من عجيب صنع الله • على نحو يعجز المرء عن أن يصفه ، وهو بالغ الجمال والروعة ، ومنعزل عما سواه من الجبال ، وهناك نهر يجرى فى الوادى الذى يقع أسفل الجبل ، وتنمو فوق الجبل كافة أنواع الأشجار المثمرة مثل الزيتون والتين ، وغيرها من أشجار الفاكهة ، ويقرر نفس الرحالة أنه من الصعوبة بمكان

تسلق ذلك الجبل نظرا لتكويناته الصخرية الوعرة ، وقام بنفسه بتسلقه ويقول انه بدأ في ذلك في الساعة الثالثة من اليوم (؟) وبلغ قمته في الساعة التاسعة .

عن جبل الطور أنظر :

Anonymous, The deeds of the Franks, P. 100, Abbot Daniel, The Pilgrimage of Abbot Daniel in The Holy Land, Trans. by Wilson, P.P.T.S., Vol. IV, London 1895, P. 66—67, Fulcher of Chartres P. 272.

النسابشتي ، الديارات ، تحقيق كوركيس عواد ، ط ٠ بغداد ١٩٥١م ، ص ١٢٣ ، ابن عبد الحيق البغدادي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨٩٦ ، مصطفى الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ج ٧/ق ٢ ، ص ١٣ ، طه ثلجي الطراونة ، المرجع السابق ، ص ٧٥ — ص ٧٦ ، أحمد رمضان ، المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، ط ٠ القاهرة ١٩٧٧م ، ص ١٦ ، سعيد عبد الله البيشاوي ، الممتلكات الكنسية مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ — ١٢٩١م) ط ٠ الاسكندرية عام ١٩٩٠م ، ص ٦٩ ، حاشية (٢) .

Saewulf, P. 24.

(٤٧)

والأديرة الثلاثة هي دير التجلي ودير الياسر ودير موسى . وقد احتلت أهمية كبيرة في إقليم الجليل خلال تلك الرحلة ، وقد أشار الشايشتي وابن فضل الله العمري الى دير التجلي ، وتذكر الأول أن للناس يقصدونه من كافة المواضع وأن موقعه حسن وهو من المواضع الطيبة ، ووصف الدير بالاتساع والمناعة في البناء واحتوى على موضع مخصص لاستقبال الحجاج واستضافتهم ، واحتوى على كنيسة عرفت بكنيسة المخلص ، أما دير القديس الياسر فوصف بصغر الحجم ، وقد حظى الصليبيون ، واستمر في ازدهاره حتى أواخر القرن الثاني عشر ، ويلاحظ أنه يعرف أيضا بالدير البيزنطي ويشير المؤرخ الصليبي وليم الصوري الى أن القوات الأيوبية هاجمت ذلك الدير وأن الرهبان عملوا على الدفاع عنه ، عن ذلك أنظر :

الشايشتي ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ ، العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ج ١ ، تحقيق أحمد زكي ، ط ٠ القاهرة ١٩٢٤م ، ص ٣٣٧ ،

Abbot Daniel, P. 66- 67, William of Tyre, Vol. II, P. 495.

ليلي طرشوبى ، إقليم الجليل فترة الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي ، رسالة دكتوراه غير منشورة — كلية الآداب — جامعة القاهرة عام ١٩٨٧م ، ص ١٩٧ — ص ٢٠٦ حيث تتناول تلك الأديرة بصورة مفصلة .

(٤٨) عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، ط ٠ بيروت ١٩٦٩م ، ص ٨٠ — ٨١ .

(٤٩) عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٨٤ - ص ٤٨٥ ، ملامح المجتمع الصليبي في بلاد الشام ، مجلة المستقبل العربي ، عدد (٨) ، عام ١٩٨٧ م ، ص ٢٦ .
(٥٠) زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص ١٥٣ .

(٥١) Kohler, «Chartres de l'Abbaye de Notre Dame de la Vallée, de Josaphat en Terre Sainte (1102-1291)», R.O.L., T. VII, P. 112.

وقد وقع وادي يوسفات شرق بيت المقدس بين جبل الزيتون شرقا ، وجبل صهيون غربا ، وبخلال العصور الوسطى أطلق عليه المؤرخون أسماء متعددة مثل وادي جهنم ، أو وادي مريم ، أو وادي النار أو وادي سلوان ، وقد وردت الإشارة إلى ذلك الوادي لدى مؤلفات العديد من الرحالة الأوروبيين الذين زاروا المنطقة خلال عهد السيادة الصليبية في فلسطين وحتى بعد ذلك ، ويلاحظ أن ذلك الوادي احتوى - خلال مرحلة دراستنا هذه - على العديد من النساك الذين أقاموا فيه ، واحتوى كذلك على أحد الأديرة الهامة ، وقد أشار إلى ذلك الرحالة الألماني يوحنا الوردبرجي في ثانيا رحلته .

عن ذلك أنظر :

الاندريسى ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٦٢ ، ابن شداد ، الإغلاقات الخطيرة ، ص ٢٨٨ .
Saewulf, P. 18.

William of Tyre, Vol. I, 341.

John of Wurzburg, Description of the Holy Land. Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. V, London 1896, P. 50, P. 51.

Burchard of Mont Sion, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. XII, London 1896, P. 69, P. 71, P. 72.

Ludolph Von Suchem, Description of The Holy Land, Trans. by Aubrey Stewart, Vol. XII, London 1895, P. 97, P. 110.

Felix Fabri, The Wanderings of Felix Fabri, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S. Vol. VII, part II, London 1893, P. 458.

سعيد البيشاوى ، المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

Kohler, P. 118 119.

(٥٢)

(٥٣)

Hume, Medical Work of The Knights Hospitallars of Saint John of Jerusalem, Institute of The History of Medicine of The John's Hopkins University, Baltimore 1940, P. 3.

القديس يوحنا المعمدان ، هو أحد رجال الدين من يهودا ، عاش في خلال المرحلة التي سبقت ظهور السيد المسيح عليه السلام مباشرة ، وكان والده يدعى زكريا ، وهو كاهن يهودي ، وأخذ يوحنا المعمدان يقوم بدوره في التبشير بالسيد المسيح ، وقام بتعميده ، ويرى البعض أن تعاليم يوحنا كان لها أثرها الهام على المعاصرين ، وقد لقي مصرعه على يد هيرودس ، ويلاحظ أن العهد الجديد - لا سيما انجيلي متى ومرقص - يحتوى على اشارات هامة عن دوره التبشيري ، عنه انظر : متى الاصحاح (١) من ١ الى ٦ ، الاصحاح (٣) ، من ١٣ : ١٧ ، مرقص ، الاصحاح (٦) من ١٤ الى ٢٩ ، لوقا ، الاصحاح (٩) من ٧ الى ٩ .

Hastings, Dictionary of The Bible, New York 1952, P. 509—510, Grant, Historical introduction to the new testament, New York 1963, P.P. 309—312, Unger, Unger's Bible dictionary, Chicago 1944, P. 599—600.

سامي سعد الأحمد ، تاريخ فلسطين القديم ، ط٠ بغداد ١٩٧٩م ، ص ٣٧١ - ٣٧٢ .

(٥٥) أمالفي Amalfi ، مدينة وقعت في كامبانيا Campania بإيطاليا في مقاطعة سالرنو Salerno ، على بعد سبعة عشر ميلا الى الجنوب الغربى من مدينة سالرنو على الساحل الشمالى من الخليج الذى يحمل اسم المدينة Gulf of Salerno ، وكانت أمالفي مستعمرة بيزنطية ، وعلى الرغم من أنها كانت موجودة من القرن الرابع الميلادى ، إلا أنها لم تكن لها أهمية تجارية كبيرة حتى أواسط القرن السادس ، وشاركت مع المدن الإيطالية التجارية الأخرى مثل البندقية في التجارة مع الشرق ، وازدادت أهميتها في القرن التاسع م ، وذلك بعد انتهاء ارتباطها ب نابولي ، ويرجع بعض الباحثين تزايد نفوذ تلك المينة الى تلك الاعفاءات التى حصلت عليها من جانب الامبراطورية البيزنطية ، وحافظت أمالفي على تجارة مزدهرة مع صقلية والشام ومصر ، وجرت عملتها في التعامل التجارى في عالم البحر المتوسط ، وساعدت أساطيلها البابا ليو الرابع Leo IV ضد هجمات المسلمين عام ٨١٨م ، وحصلت على استقلالها منذ وقت مبكر من القرن الحادى عشر ، وفي حوالى عام ١٠٧٣م أرغمت على الاعتراف بالتبعية لروبرت جويسكارد Robert Guiscard زعيم النورمان الذى هاجمها على رأس جيشه ، واعتبر البعض هذا التاريخ بداية حقيقية لتدهور أمالفي كقوة تجارية حيث صارت موضعاً للمنافسة من جانب جنوة وبيزا .

عن أمالفي ودورها التجارى انظر :

Ency. Brit. «Amalfi», Vol. II, P. 703.

Encp. Amer., «Amalfi», Vol. I, P. 659.

Chamber's Ency., «Amalfi», Vol. I, P. 315.

Pirenne, Mohammed and Charlemagne, London 1954, P. 152.

Citarello, «The relations of Amalfi with the Arab World before the Crusades», Speculum, Vol. XVII, P.P. 299—312.

Krueger, «The Italian cities and the Arabs before 1095», in Setton, A History of the Crusades, Vol. I, Pennsylvania 1958, P. 52.

King, The Knights Hospitallers in The Holy Land, London 1930, P. 13.

أرشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ت ، أحمد عيسى ، ط . القاهرة ١٩٦٠م ، ص ٣٣٩ - ص ٣٤٠ ، عمر كمال توفيق . ، مملكة بيت المقدس الصليبية ، ط . الاسكندرية ١٩٥٨م ، ص ١٩٣ ، حسن إبراهيم ، الدولة الفاطمية ، ط . القاهرة ١٩٥٨م ، ص ٦١١ ، سرور ، الحضارة الإسلامية فى الشرق ، ط . القاهرة ١٩٦٢م ، ص ١٥٦ ، سياسة الفاطميين الخارجية ، ط . القاهرة ١٩٦٧م ، ص ٢٤٩ ، راشد البراوى ، حالة مصر الاقتصادية فى العصر الفاطمى ، ط . القاهرة ١٩٤٨م ، ص ١٢٨ ، هايد ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ت . أحمد رضا محمد رضا ، ط . القاهرة ١٩٩١م ، ص ٧٢ .

(٥٦) القديس يوحنا المتصدق ، ولدهذا القديس فى أماسوس Amathus فى جزيرة قبرص Cyprus ، وذلك فى عام ٥٦٠م ، ويلاحظ أن الشطر الأعظم من حياة ذلك القديس غير معروف ، وذلك باستثناء أنه عاش مع زوجته وأسرته فى قبرص أو مصر ، ومن المحتمل أنه شارك فى الحياة العامة عندما بلغ الخمسين من عمره تقريبا عندما كان لا يزال من العلمانيين ، ولم ينضم بعد الى السلك الكنسى ، وقد وقع الاختيار عليه ليكون بطريركا للاسكندرية ، وسعى ذلك القديس من أجل اعلاء شأن الأرثوذكسية الى حد بعيد ، وقام بدور خيرى كبير من أجل انشاء المستشفيات للمرضى ورعاية المحتاجين وقدم المساعدات للفقراء وكذلك الهيئات المنتظمة ، وعندما قام الفرس بمهاجمة بيت المقدس فى عام ٦١٤م ، قدم يوحنا المتصدق مبالغ كبيرة من المال وكذلك كميات من الاغذية لأهل المدينة ، وعاد أدراجه الى قبرص حيث أدركته منيته هناك فى عام ٦١٩م ، ويلاحظ أن يوم الاحتفال بعيدة يوافق يوم الحادى عشر من نوفمبر ، عنه أنظر :

William of Tyre, Vol. I, P. 80, note (1).

Attwater, Op. Cit., P. 190--191.

مؤنس عوض ، المرجع السابق ، ص ٢٦٥ ، حاشية (٢) .

Miller, «The Knights of St. John and The Hospitallers of The (٥٧) Latin West», Speculum, Vol. LIII, 1978, P.P. 709 718.

Deanesly, History of medieval church, London 1975, P. 209. (٥٨)

نبيلة مقامى ، فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام فى القرنين ١٢ ، ١٣ م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٥ م ، ص ٨ .

وعن نشأة وتطور المستشفيات فى الامبراطورية البيزنطية ، أنظر دراسة تيموثى ميلر الهامة :

Timothy Miller, The Birth of The Hospital in The Byzantine Empire, Baltimore 1985.

وقد قام ديمتريوس كونستانتيلوس Demetrius Constantelos بعرض الكتاب ونشر فى مجلة Speculum عدد أبريل من عام ١٩٨٧ م على مدى الصفحات من ٤٥٠ إلى ٤٥٥ .

Speculum, April 1987, P.P. 450—455.

(٥٩) عن ذلك أنظر :

ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٥٦ ، ابن الأثير ، الباهر ، ص ١٧٠ - ص ١٧١ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٨١ ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، تحقيق سرقيس ، ط . بيروت ١٩٠٩ م ، ص ٢٣٠ - ص ٢٣١ ، أحمد عيسى ، تاريخ اليمامستانات فى الاسلام ، ط . دمشق ١٩٣٩ م . وهو دراسة هامة متخصصة لا يمكن اغفالها ، كامل السامرائى ، مختصر تاريخ الطب العربى ، ج ٢ ، ط . بغداد ١٩٨٥ م ، ص ١٢٥ - ص ١٣٣ ، كامل حسين ، الموجز فى تاريخ الطب والصيدنة عند العرب ، ط . القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ٥٤ ، توفيق الطويل ، من تراثنا العربى الاسلامى ، سلسلة عالم المعرفة ، ط . الكويت ١٩٨٥ م ، ص ١٣٨ ، عاشور ، « المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية » ، المؤتمر الاول لتاريخ بلاد الشام ، ط . عمان ١٩٧٤ م ، ص ٢٢٤ ، مؤنس أحمد عوض ، تاريخ الطب العربى ومكانة عبد اللطيف البغدادى فيه (ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) ، بحث مقدم لأعمال مؤتمر تاريخ العلوم عند العرب ، الرقة - الجمهورية العربية السورية ، معهد التراث العلمى العربى بحلب ، أبريل ١٩٩١ م ، ص ١٦ ، مونتجومرى وات ، فضل الاسلام على الحضارة العربية ، ت . حسين أحمد أمين ، ط . القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ٥٤ ، نقولا زيادة ، دمشق فى عصر المماليك ط . بيروت ١٩٦٦ م ، ص ٨٤ .

(٦٠) عن تلك المذبحة أنظر :

Anonymous, The deeds of The Franks and other Pilgrims, Trans. by Hill, New York 1962, P. 51, Fulcher of Chartres, History of The Expedition to Jerusalem, P. 1222.

Raymond d'Aghilliers, in Peters, The First Crusade, Pennsylvania 1971 P. 209.

ابن القسطنس ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق اميدروز ، ط٠ بيروت ١٩٠٨م ،
ص ١٢٧ ، ابن ميسر ، منتخبات من تاريخ مصر R.H.C., Hist. Or. T. III ص ٤٦٣
ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ط٠ بيروت ، ص ١٩٧ ، الياقعي ، مرآة الجنان
وعبرة اليقظان ، ج٣ ، ط٠ حيدر اباد الدكن ١٣٤٨هـ ، ص ١٥٢ ، ابن الجوزي ،
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ج٩ ، ط٠ حيدر اباد الدكن ١٣٥٩هـ ، ص ١٠٨

Hagenmeyer, «Chronologie de la première Croisade», R.O.L., T. VII,
Année 1899, P.P. 477—478, Gottein, «Contemporary Letters on The Capture
of Jerusalem by The Crusades», J.J.S., Vol. X, 1952, P.P. 162—177.

عاشور ، أضواء جديدة على الحروب الصليبية ، ط٠ القاهرة ١٩٦٤م ،
ص ٥٧ ، ص ٥٨ ، قاسم عبده قاسم ، الحروب الصليبية ، نصوص ووثائق ،
ط٠ القاهرة ١٩٨٢م ، ص ٢٧٦ ، العروسي المطوي ، الحروب الصليبية في المشرق
والمغرب ، ط٠ بيروت ١٩٨٢م ، ص ٥٤ ، حسن حبش ، الحرب الصليبية الأولى ،
ط٠ القاهرة ١٩٥٨م ، ص ١٧٩ ، جوزيف نسيم يوسف ، الوحدة وحركات اليقظة
العربية ابان العدوان الصليبي ، ط٠ بيروت ١٩٨١م ، ص ١٥ .

William of Tyre, Vol. I, P. 312.

(٦١)

الفصل الثاني

دانيال

١١٠٦ - ١١٠٧ م

تعد رحلة دانيال الروسي^(١) واحدة من الرحلات الهامة التي قام بها الرحالة الأوروبيون إلى مملكة بيت المقدس الصليبية ، ومرجع تلك الأهمية يكمن في أن تلك الرحلة تمت في بدايات عهد الاستيطان الصليبي في بلاد الشام ، ومن ثم احتوت على عدة جوانب هامة على مستوى العلاقات السياسية والحربية بين مملكة بيت المقدس والقوى الإسلامية المجاورة ، فضلا عن الجوانب الاقتصادية والكنسية ، وكل ذلك من خلال أول تسجيل لرحلة روسي زار المنطقة .

وينطلب الأمر ، عرض ارتباط الروس بالمسيحية خاصة منذ القرن العاشر الميلادي ، والدور الذي لعبته الامبراطورية البيزنطية في هذا الشأن ، وأثر ذلك على قيام وتطور رحلات الروس إلى البقاع المسيحية المقدسة في فلسطين .

ومن الأهمية بمكان ملاحظة أن الكيان الروسي ظهر إلى الوجود من خلال تنظيم من القبائل السلافية شبه البدوية والتي وجدت في مناطق الغابات الممتدة على طول أنهار الدنيبر Dnieper ، وغرب أنهار دفينيا Dvina ، ولوفات Lovat وكذلك عناصر الفرنجيان Varangians . أو الروس ومجموعات صغيرة من المغامرين الاسكندنافيين ، وهم الذين عرفوا بصفة عامة في تلك المنطقة خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين - عرفوا باسم الروس Phos^(٢) ، وقد تدعمت الصلات بينهم وبين الامبراطورية البيزنطية ومن مظاهر ذلك أن التجار الروس كانوا من بين العناصر الأجنبية التي ترددت على القسطنطينية في القرن العاشر م ، وعاملتهم الامبراطورية معاملة خاصة ، وهذا يمكن ادراكه من خلال نصوص المعاهدات التجارية التي وقعت بين الطرفين^(٣) والتي حرص الروس من خلالها أن يحصلوا على العديد من الامتيازات التجارية ، ولا مراء في أن النشاط التجاري لهم قد ازدهر من خلال المرات المائية التي ربطت بين البحر الأسود والبحر البلطي ، وعلى نحو خاص حاربك كييف Kiev - نوفجورود Novogorod^(٤) .

وإذا نحينا جانبا الناحية الاقتصادية التجارية نجد أن عناصر من الروس قدمت للعمل كمرتزقة في الجيش البيزنطي ، وفي القرن العاشر نجدهم شكلوا قسما وفعالا من الحرس الامبراطوري ، وعرفوا باسم الورثك صاحب الصيت الذائع^(٥) .

والواقع أن القرن العاشر م لا يعد قرنا هاما في العلاقات الروسية - البيزنطية على المستوى الاقتصادي والعربي فقط ، بل أيضا من الناحية الدينية المذهبية ، وقد بذلت الامبراطورية البيزنطية جهدها الجهد من أجل التبشير بالمسيحية الأرثوذكسية

في صفوف العناصر الروسية تدعيما للنفوذ الديني لكنيسة القسطنطينية . وتوطدت العلاقات بين الجانبين بصورة كبيرة خاصة خلال النصف الثاني من ذلك القرن ، على نحو ساعد - ولا ريب - في تدعيم الصلات الدينية والمذهبية ، ومن مظاهر هذا التوطد ، قيام القيصرية الروسية أولجا Tsarina Olga بزيارة القسطنطينية في عام ٩٥٧م واعتناقها المسيحية الأرثوذكسية ، ولا ريب في أن ذلك مثل تطوراً هاماً ومهد لأحداث كبيرة حدثت فيما بعد ذات تأثيرات فعالة .

وقد حدث التطور الأكبر في عهد حفيدها الأمير فلاديمير Vladimir I (٩٨٠ - ١٠١٢م) والذي نمت في عهده الدولة الروسية نمواً كبيراً ، إلى الدرجة التي صارت تسيطر فيها على مناطق امبراطورية الخزر على نهر الفولجا ، واحتلت مكانة رفيعة كأكوى قوة سياسية واقتصادية في شمال أوروبا .

وقد عقد فلاديمير اتفاقية مع الامبراطور البيزنطي باسل الثاني Basil II (٩٧٦ - ١٠٢٥م) تقرر فيها أن يعتنق الأمير الروسى المسيحية وأن يتزوج الأميرة أنا Anna شقيقة الامبراطور^(٧) ، غير أن الأخير ماطل في تنفيذ ذلك الاتفاق الهام ، وأمام ذلك الموقف قام فلاديمير - على سبيل الضغط العسكرى والسياسى - بالاستيلاء على ميناء خرسون Cherson الحيوى الهام على البحر الأسود ، كذلك لعبت العلاقات الخارجية البيزنطية دورها في هذا المجال ، إذ أن حاكم انطاكية برداس فوكاس Bardas Phocus (٩٨٦ - ٩٨٧م) شق عصا الطاعة على الامبراطور البيزنطى ، واستولى على مناطق عديدة من أملاكه ، واضطر باسل الثانى أن يرأسل الروس . من أجل مساعدته في مواجهة حركة التمرد المتزايدة ، وبالفعل قام الأمير الروسى بتقديم مساعدة حربية للقسطنطينية^(٨) ، ويقرر شارل ديل أن الامبراطور طلب عون أمير كييف فأرسل الأخير اليه ستة آلاف من الجند المرتزقة^(٩) ، بفضلها تمكن من أن يلحق الهزيمة ببرداس فوكاس وحلفائه من الأيبيريين في معركة أيدوس في أبريل عام ٩٨٩م ، وفيما بعد وافق الامبراطور على أمر المصاهرة^(١٠) ، بعد أن أثنع فلاديمير باعتناق المسيحية وفرضها على رعاياه في كييف .

وهكذا تم الارتباط بين روسيا والامبراطورية البيزنطية من خلال المذهب الأرثوذكسى^(١١) ، ومما يذكر في هذا الصدد ، أنه خلال القرن العاشر م ، تأثر العديد من أفراد الفئات العليا في روسيا بالثقافة والعقيدة المسيحية في الامبراطورية البيزنطية ، وقد كان طبيعياً أن يتجه الأمراء الحاكمون إلى المذهب الأرثوذكسى^(١٢) .

ومن أجل القيام بتحويل روسيا الى المسيحية تم بناء العديد من الكنائس فى كافة أنحاء البلاد فى عهد فلاديمير ، وقد قرر الأخير أن يتم بناء الكنائس فى نفس الأماكن السابقة التى كانت تعبد فيها الآلهة الوثنية ، وتقام فيها الطقوس الدينية ، كذلك تم تشييد الأديرة ليس فقط فى كييف ، بل أيضا فى مناطق الغابات ، وتم تشييد المدارس التى حرصت الفئات العليا على أن تلحق أبناءها بها ، ومثلت تلك المدارس الأساس الذى قامت عليه المدارس الكنسية ، والتى هدفت الى تخريج عناصر تعمل بالسلك الكنسى فيما بعد (١٣) .

وبصفة عامة ، كان التحول الى المسيحية فى روسيا بصورة تدريجية ، فقد بدأ بالفئات العليا فى المجتمع ثم انتشر ببطء لدى العناصر الأدنى (١٤) ، وليس معنى ذلك أن العناصر الوثنية لم تظهر أية مقاومة ، فيلاحظ أن عناصر الوثنيين لاذت بالفرار الى الأدغال والغابات (١٥) وبقيت أشكال الوثنية قائمة لعدة قرون ، ولكن بفضل الكنائس والأديرة التى تم تشييدها ، فإن روسيا صارت تحتل مكانها اللائق بها ، ضمن المراكز الروحية للمسيحية فى ذلك العصر (١٦) .

وقد تدعمت ارتباطات روسيا بالمسيحية من خلال ابن فلاديمير ونعنى به ياروسلاف Yaroslaff (١٠١٥ - ١٠٥٤ م) الذى عمل على أن يدعم سياسة والده ، وبلغ بها آفاقا أرحب ، ويقرر شارل ديل أن فلاديمير صار كلوقس روسيا ، وصار ياروسلاف شيرلمانها (١٧) ، ولكن كلا منهما كان يدين لبيزنطة بعناصر عظمتها التاريخية ، ولأريب فى أن أهم أعمالهما ما اتصل بالعلاقات الروسية - البيزنطية .

ويبدو أنه فى أعقاب اعتناق الروس للمسيحية ، وجدت عناصر عديدة منهم تسعى الى القيام برحلات الى البقاع المقدسة فى فلسطين من أجل الحج ، ويرى البعض أنه منذ القرن الحادى عشر على نحو خاص ، تقاطروا الى فلسطين وبيت المقدس ، حتى صار حضورهم الى هناك من الأمور المعتادة المألوفة (١٨) .

أما عن الطرق التى سلكها الرحالة والحجاج الروس الى هناك ، فنعرف أنهم كانوا ينطلقون من مدينة كييف ثم تقلهم سفن خفيفة حيث يجتازون نهر الدنيبر Dnieper ، وذلك فى حالة نجاتهم من القبائل التى وجدت على ضفتى النهر ، ثم من هناك ساروا الى بلغاريا ومنها شقوا طريقهم الى العاصمة البيزنطية القسطنطينية (١٩) ، ويبدو أن أنه من هناك أقلتهم المراكب الى شرق البحر المتوسط

والساحل الشامي خاصة مدينة يافا ، وفي هذا القسم من الرحلة كان من الممكن أن يتعرضوا للعديد من الأخطار لا سيما خطر عواصف البحر الهائجة التي كان من الممكن أن تغرق سفنهم ومراكبهم ، ثم الهجمات المسلحة من جانب المسلمين (٢١) الذين كانوا يجاهدون أعداءهم في تلك البقاع .

ومع ذلك ، فيبدو أن مصاعب الطريق البحري السابقة الإشارة قد دفعت ببعض الآخر الى اتخاذ الطريق البري الأكثر أمنا ، والذي من خلاله اجتازوا مناطق آسيا الوسطى الى شمال بلاد الشام ومنها الى فلسطين (٢٢) .

ومع مقدم الحجاج الروس الى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين ، وجدت من بعد ذلك مؤلفات تتناول رحلة الحج الى تلك البقاع ، ويلاحظ هنا أن رحلة دانيال Daniel تعد وبحق - كما يلاحظ البعض - أول أثر من جنسها لكاتب روسي (٢٣) ، ومع ذلك فإن معلوماتنا منه قليلة وغير مؤكدة ، ونستمد بعضها منها من خلال رحلته نفسها ، ونعرف أنه من المحتمل أنه قدم من مقاطعة تكريتكوف Tchernigov الروسية في روسيا الصغرى Little Russia ، ومن المفترض أنه هو دانيال الذي عمل أسقفا لمنطقة سوريف Suriev في عام ١١١٥ م ، والذي أتركته مدينته في يوم التاسع من سبتمبر من عام ١١٢٢ م (٢٤) .

أما فيما يتصل بالرحلة الزمنية التي جرت خلالها رحلة دانيال ، فهناك عدة تصورات في هذا الشأن ، فالملاحظ أنه يذكر في ثانيا رحلته إشارة الى الدوق الروسي الكبير ميشيل سفياتوبولك اسيا سلافويتش Michet Sviatopolk Isiaslavowitsch (١٠٩٣ - ١١١٣ م) والملك بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠ - ١١١٨ م) ملك مملكة بيت المقدس الصليبية ، ويذكر أن مدينة عكا Acre قد سقطت في قبضة الصليبيين ، ولما كانت تلك المدينة قد سقطت في أيديهم في ٢٦ مايو عام ١١٠٤ م ، فإن البعض يرى أن الرحلة من الممكن تصوير أنها جرت خلال المرحلة من عام ١١٠٤ الى عام ١١١٣ م كذلك فإن الأب دانيال أشار الى أنه صاحب الملك الصليبي خلال حملة قام بها ضد دمشق ، ووفقا لتحديدات هاجنماير فإنه يرى أن تلك الحملة من جانب الصليبيين قد حدثت فيما بين عامي ١١٠٦ م - ١١٠٧ م ، وهناك تصور آخر يرى أن رحلة ذلك الرحالة الروسي ، لا نجد فيها أية إشارة عن البطريك اللاتيني وذلك خلال حديثه عن احتفال (الشعلة المقدسة) وأن أحد الأساقفة قد حل مكانه ، ويقرر البعض أنه لم يكن هناك بطريك لاتيني في بيت المقدس خلال عيد الفصح لعام ١١٠٧ م ، وقد غادر البطريك داجوبورت

Dagobert المدينة في عام ١١٠٣ م ، واتجه من كان بديلا له ونعنى به ابريمار Ebreimar الى روما في عام ١١٠٦ م ، وهكذا فان اسبوع عيد الفصح الذي أمضاه دانيال في المدينة من المرجح انه كان خلال عام ١١٠٧ وهكذا فان التصور الأقوي ، أن تكون تلك الرحلة قد تمت خلال المدة من عام ١١٠٦ الى عام ١١٠٧ م تقريبا (٢٥) .

ويلاحظ أن دانيال قد حرص في رحلته على أن يعرض للطريق الذي سلكه الى أن وصل المدينة المقدسة ووصف الطريق الى القسطنطينية وأهم المناطق التي مر بها مثل مدينة هيراكليوم Heracleum وأشار الى جزيرة كريت Crete ولم ينس الإشارة الى العديد من القديسين وأماكن قبورهم ، كذلك تناول مدينة افسس (٢٦) Ephesus وجزيرة بانتوس Pantos (٢٧) وكذلك جزيرة قبرص Cyprus ووجهنا في الواقع الإشارة الى تلك الجزيرة الأخيرة التي لعبت دورا هاما وحيويا في الحركة الصليبية كنقطة عبور الى بلاد الشام ، ومركز تقهقر بعد فشل المشروع الصليبي هناك في أخريات القرن الثالث عشر م - ظل يقوم بدوره الهجومى ضد المسلمين ، وقد وصفها بأنها ذات امتداد عظيم وأنها عامرة بالسكان بصورة كبيرة ، ومنتجة لكافة أنواع المنتجات ، كذلك أشار الى أنها - على المستوى الكنسى - تشتمل على عشرين أسقفية ، وأورد اشارات عن بعض القديسين الذين دفنوا فيها (٢٨) .

ويلاحظ أن ذكر دانيال لجزيرة قبرص جاء بصورة ضمنية ولم يتناولها بالتفصيل ، إذ أنه تناولها كنقطة عبور الى فلسطين ، ومن ثم انتقلت في رحلته أية اهتمامات سياسية ، أو اقتصادية ذات أهمية كبيرة بشأن تلك الجزيرة ذات الموقع الاستراتيجى الهام .

ومهما يكن من أمر ، فهناك ملاحظة عامة بشأن رحلة الأب دانيال ، إذ أنه يستعمل المقاييس الروسية عندما يذكر الأبعاد والمسافات التي بين المدن التي أوردتها في رحلته ، وفي هذا الصدد يستعمل تعبير Verses ، والفرس ، وحدة قياس روسية تساوى ٣٥٠٠ قدم (٢٩) .

وقد أوضح ذلك الرحالة في ثنايا رحلته ، أنه بفضل من الله وتوفيقه ، وجد لدى لورا ساباس Laura of St. Sabas (٣٠) ، أحد الرجال الاتقياء الوريثين الطاعنين في السن ، وقد اتخذ مرشدا ودليلا من أجل معاونته في رحلته في البقاع

المقدسة سواء فى بيت المقدس Jerusalem أو فى غيرها من المناطق مثل طبرية Tiberia ، وجبل الطور Tabor ، والناصرة Nazareth وغيرها ، وقد مكث الأب دانيال مدة وجيزة فى لورا القديس ساباس St. Sabas (٣١) ، ومن هناك تمكن من زيارة كافة المناطق التى تاقى نفسه الى زيارتها ، ويقرر استحالة زيارة تلك الأماكن والتعرف عليها ، دون أن يكون فى رفقة الزائر دليل وترجمان .

والجدير بالذكر أن اشارة ذلك الرحالة الى الدليل الذى عاونه فى رحلته لها قدرها من الأهمية ، إذ أن أولئك الحجاج وخاصة أولئك الذين وطأت أقدامهم تلك البقاع لأول مرة ، أتوا من كافة البقاع المسيحية واحتاجوا أشد الاحتياج الى من يرشدتهم أثناء رحلتهم فى أنحاء فلسطين المختلفة ، ومن الطبيعى أن من عمل فى مجال الارشاد كان عارفا بجغرافية المنطقة ، وأهم المعالم المقدسة بالنسبة للمسيحيين فيها ، أما الترجمان - والذى أشار اليه الأب دانيال فى موضوع آخر - فكان عليه أن يكون عارفا بلغات الشعوب التى يقوم أبثاؤها بالحج الى المنطقة ، ولا ريب فى أن ذلك كان من عوامل اتجاه العديدين الى العمل فى مثل تلك الانشطة خاصة خلال مناسبات الأعياد الدينية المسيحية المتصلة بمناسبات تتعلق بالسيد المسيح والسيدة مريم العذراء والقديسين ، إذ من المتوقع ازدياد أعداد الحجاج القادمين ازيادة تلك المواضع المقدسة على نحو ضمن للمشغلين بالارشاد أرباحا مجزية على ما يبدو .

وقد احتوت رحلة دانيال على اشارات سياسية وحربية لها جانبها من الأهمية ، ومن امثلة ذلك أنه عندما تناول بالاشارة مدينة يافا ذكر أنها لا تبعد كثيرا عن بيت المقدس ، وتقع على ساحل البحر ، حيث يتم الارتحال الى بيت المقدس برا ، وتبلغ المسافة بينهما ٣٠ فرسز (٣٢) وهناك فى منطقة مسطحة تؤدى الى كنيسة كبيرة كرسى للقديس جورج St. George (٣٣) ، وهى تضم الى جانب المذبح ، قبة القديس التى استشهد ، وقد ذكر أن هناك عدة بنابيع فى ذلك المكان حيث يقدم اليه الحجاج من أجل أن ينالوا قسطنطا من الراحة فى المساء ، ، ويكمل الاشارة الهامة فيقول أن أولئك الحجاج فى رعب بالغ ، ذلك لأن المكان تم هجره و يبعد كثيرا عن عسقلان (٣٤) ، حيث يذبح العرب الحجاج فى ذلك الطريق ويرتبط الرعب والفزع بذلك المكان حتى المنطقة التى يدخل منها المرء الى الجبال ، ويقرر أن الطريق الواقع من يافا الى بيت المقدس ، يمتد فى منطقة ذات جبال صخرية ، وهو مخيف للغاية (٣٥) .

إن أهمية النص السابق الذى ذكره ذلك الرحالة يتمثل فى أنه يوضح صورة صادقة لطريق يافا - بيت المقدس ، وهو طريق على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للمملكة الصليبية حينذاك ، إذ أنه الممر الحيوى والرئيسى الذى سلكه الحجاج القادمون من أوربا لزيارة الأماكن المقدسة لدى المسيحيين ، ويلاحظ أنه خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الاستقرار الصليبيى فى المنطقة ، لم يكن الصليبيون قد دعموا سيطرتهم على مناطق متعددة ، ومن ثم قامت حركة مقاومة من جانب المسلمين ضد عناصر الحجاج ، ولا شك من أنهم كانوا يقومون بدورهم فى الجهاد ضد أعداء دينهم ، خاصة أن من أولئك الحجاج من قدم عونهم الحربي لخدمة الصليبيين فى بلاد الشام .

والواقع أن أهمية الطريق الممتد من يافا الى بيت المقدس ترجع أيضا الى أنه الطريق الذى سوف تعهد مملكة بيت المقدس الصليبية ، فيما بعد ، بأمر الدفاع عنه الى عناصر فرسان الداوية Templars ، ما يدل على أن الصليبيين تلقوا هجمات مؤثرة عبره ، ومن المرجح أن عناصر البدو ساهموا بنصيب هام فى هذا المجال .

ومع ذلك ، ينبغى أن نقرر أنه خلال رحلة دانيال وتنقله فى أنحاء المملكة لم يكن الخيلر الاسلامى من خلال ذلك الطريق فحسب ، بل أن هجمات المسلمين تزايدت فى صورة حامية عسقلان Ascalon وقامت تلك الحامية بثلاث غزوات رئيسية ضد أملاك الصليبيين فى أعوام ١١٠١ م ، ١١٠٢ ، ١١٠٥ م ، وثلاث غزوات صغيرة خلال أعوام ١١٠٧ م ، ١١١٣ م ، ١١١٥ م ويقرر فوشيه الشارترى Fulcher de Chartres أنه على الرغم من قلة عدد رجال حامية عسقلان إلا أنهم أحيانا تفوقوا على القوات الصليبية ووصلوا الى أسوار بيت المقدس وأشعلوا بعض الحرائق هناك^(٣٦) ، وشكلت تلك المدينة آخر قاعدة للأسطول الفاطمى فى بلاد الشام^(٣٧) ، ولا ريب فى أن الصليبيين سعموا ما وسعهم السعى نحو استقاطها واخضاعها لسيطرتهم السياسية على نحو فصله مؤرخهم وليم الصورى William of Tyre فى تاريخه^(٣٨) .

وهكذا ، فقد افادت تلك الرحلة فى توضيح طبيعة الأخطار الحربية والاضاع الأمنية القلة التى عانى منها الصليبيون خلال الرحلة المبكرة من تاريخهم فى المنطقة .

ومن جهة أخرى ، فإن ذلك الرحالة الروسى عندما وصف بحيرة طبرية ، أشار الى أن الملك الصليبي بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠ - ١١١٨ م) - ويسميه خطأ أمير بيت المقدس Prince of Jerusalem على الرغم من أنه كان ملكا متوجا - كان يعتزم شن حملة حربية ضد الأعمال الدمشقية وقد اتخذ طريقه بالقرب من بحيرة طبرية ، وقد رآه دانيال خلال سيره الى هناك ، وحياء وطلب منه أن يكون مرافقا له ، من أجل أن يرى بقية الأماكن المسيحية المقدسة ، فوافق الملك الصليبي على مطلب دانيال وجعله في صحبته (٣٩) .

وعلى الرغم من أهمية تلك الإشارة في القاء الضوء على الصراع القائم بين مملكة بيت المقدس الصليبية وأتابكية دمشق ، إلا أن ذلك الرحالة لا يذكر تاريخا محددا لتلك الغزوة الصليبية الموجهة صوب الأعمال الدمشقية ، ومع ذلك فإنه وفقا لتحقيقات هاجنماير Hagenmeyer ، فإنه يذكر أن تلك الحملة من المرجح أنها وقعت فيما بين عامي ١١٠٦ م ، ١١٠٨ م (٤٠) .

والجدير بالذكر أن المصدر التاريخي العربي المعاصر لتلك المرحلة المبكرة من تاريخ الوجود الصليبي في بلاد الشام يتمثل في ما ألفه ابن القلانسي في صورة كتابه ذيل تاريخ دمشق ، وقد أورد ضمن حوادث عام ٥٠٠ هـ / ١١٠٦ م إشارة الى تزايد فساد الصليبيين في أعمال السواد وقيامهم بالتخريب والنهب والسلب هناك وأن ظهير الدين طفتكين قام بجمع قواته ونهض لملاقاة الأعداء ، وأن الأخبار بلغت الملك الصليبي بلدوين - ويسميه بفسدوين - فنهض اليه من طبرية ، وحدث صدام حربي بين الجانبين ، واستولى طفتكين وقواته على حصن صليبي هام بالقرب من طبرية ، وأن الطرفين وضعوا في حالة استنفار واستعداد للنزال ، غير أن الصليبيين عادوا أدراجهم الى طبرية ثم منها الى عكا (٤١) .

والواقع أن هناك بعض العوامل التي تدفعنا الى تصور أن الحملة التي وجهها الملك بلدوين الأول صوب المناطق التابعة لآتابكية دمشق والتي رافق دانيال قسما منها هي التي جرت في عام ١١٠٦ م ، والتي أشار اليها ابن القلانسي في تاريخه ، ويمكن اجمال ذلك في النقاط التالية :

١- اتفق كل من ابن القلانسي ودانيال على أن طبرية كانت بمثابة القاعدة الحربية الصليبية لشن تلك الغزوة .

— أوضح ابن القلانسي أن الصليبيين لم يحققوا أية مكاسب حربية على اتابكية دمشق ، وهذا ما أوضحته رحلة الأب دانيال — بصورة ضمنية — إذ خلت من أية إشارة إلى إنجازات حربية تمكن الصليبيون من تحقيقها وفي حالة افتراض تمكنهم من تحقيق ذلك لما تردد ذلك الرحالة في أن يشير إلى تلك الإنجازات الحربية ، ولكن ذلك لم يحدث .

— ان الرحالة دانيال ذكر في رحلته ما يفيد بأن حملة بلدوين استغرقت عشرة أيام فقط ، وفي نفس الحين فإن نصوص المؤرخ الدمشقي السالف الذكر تعطينا انطبعا بلذك الأمد القصير للصدام بين الطرفين ، ويدعم ذلك التفسير ، بقلة ما أورده بشأن الصدام بين اتابكية دمشق والمملكة الصليبية حينذاك مما يعكس أن الصراع لم يتسع نطاقه ولم يدم أمدا طويلا ، ثم أن المناطق التي ذكرها مثل جوران ، وطيرية ، وعكا ، لا تحتاج إلى مدة زمنية طويلة في إدارة حملة حربية محدودة الهدف .

وهكذا ، فإن أوجه التشابه بين ما ورد لدى الرحالة الرومسي ، والمؤرخ الدمشقي تدفعنا إلى أن نرجح الاحتمال سالف الذكر .

ومهما يكن من أمر ، فإن دانيال يوصف بأنه شاهد عيان معاصر لتلك الحملة ، غير أنه أشار إليها بصورة موجزة نظرا لعدم مشاركته الفعلية فيها .

وامتدادا للجانب السياسي والحربي ، نجد أن ذلك الرحالة عندما أشار إلى جبل لبنان ، ذكر أنه لم يصعد إليه خوفا من الكفار^(٢٢) (يقصد العرب) وأشار إلى أن الأتراك الذين هناحبوه في رحلته طلبوا منه ألا يصعد إليه حرصا على حياته من الهلاك .

وتفيد تلك الناحية في توضيح أن جبل لبنان حينذاك سكنته عناصر معادية للوجود الصليبي في المنطقة ، وربما كانت تلك العناصر من الدروز الذين سكنوا البقاع الجبلية الوعرة المنعزلة والذين استقروا هناك من قبل مقدم الصليبيين إلى بلاد الشام ، وهذا يعني أنه بالإضافة إلى الموازنة التي أشار اليهم ولهم الصوري والذين غاضوا الصليبيين^(٢٣) ، وجدت عناصر أخرى تسكن ذلك الجبل تنأصب الصليبيين العداء ومن المعروف أن الأخباريين دخلوا قم صراعات دموية مع الدروز الذين حلت بهم مذابح كبيرة من جراء العدوان الصليبي على المنطقة .

وفضلا عن ذلك ، احتوت رحلة ذلك الرحالة الروسى على جوانب هامة ذات طبيعية اقتصادية ، ويتمثل ذلك فى تناوله لمصادر المياه والعيون وكذلك ذكره لاشتهار بعض المدن الفلسطينية بانتاج بعض المحاصيل والمنتجات الزراعية ، ونجده عند تناوله مدينة بيت المقدس يذكر أنها محاطة بالعديد من الوديان والجبال ولا تتوافر بها على الإطلاق المياه ، ولا يجد المرء بالقرب منها نهرا ، أو عيونا ، أو ينابيع باستثناء عين سلوان Pool of Siloe ، ولذلك فإن سكانها لا يجدون الماء الا فى صورة مياه الأمطار^(٤٥) .

وقد تناول دانيال نهر الأردن ، والأنهار التى تجرى فى جبل لبنان وذكر أنها بلغت اثنى عشر نهرا ، ومن الملاحظ أنه عندما أشار الى نهر الأردن مثلاً ذكر أن مياهه تجرى متدفقة ، وأنها صالحة للشرب ولا تؤذى المعدة ، ويعتبره مثل نهر سنوف^(٤٦) فى روسيا ، ويبدو أن تجمد عدد من الأنهار فى بلاده من جراء الانخفاض الحاد فى درجة الحرارة فى فصل الشتاء ، جعله يلاحظ أنها بار بلاد الشام ويتحدث عنها بهذه الصورة ، ويعقد مقارنة بين أوجه الاتفاق والاختلاف بين أنهار روسيا وبلاد الشام .

وبالإضافة الى ذلك ، نجده يشير الى مدينة نابلس على أن بها كافة أنواع المنتجات ووقعت بين جبلين شاهقين فى الارتفاع وتحتوى عددا من ينابيع المياه العذبة ، وبها العديد من الأشجار المثمرة بشتى أنواع الفاكهة^(٤٧) ، وتجلب بيت المقدس كثيرا من احتياجاتها من نابلس ، كذلك ذكر أن الأخيرة تنتج الزيت بكميات وفيرة^(٤٨) ، وتعد اشارته عن تلك المدينة الأخيرة ذات أهمية اقتصادية ، وهى توضح إشتهار نابلس بانتاج الزيت على نحو خاص ، ثم أنه أوضح الصلات التجارية بين المدينتين من ناحية أخرى ، ويلاحظ أن كل مدينة من مدن الشام التى اشتهرت بانتاج سلعة معينة كانت مجالا لتصديرها الى المناطق الأخرى التى احتاجتها .

ومن جهة أخرى ، نجده عندما يتناول بحيرة طبرية ، يشير الى مياهها العذبة ، وأنها عامرة بمختلف أنواع الأسماك^(٤٩) ، وبها نوع معين يقال أن السيد المسيح عليه السلام كان مغرما به ، وقد حرص الرحالة دانيال على أن يتناوله تيمنا به^(٥٠) ، ومن خلال تناوله لتلك الناحية ، من الممكن تصور أن تجارة الأسماك ازدهرت من خلال الحجاج المسيحيين الذين توافدوا بالآلاف على تلك المنطقة . مع ملاحظة أن أعدادهم تزايدت بصورة مستمرة ، وأنهم زاروا إقليم الجليل ، وبحيرة طبرية ،

وخاضعة بعد خضوع المنطقة للسيادة الصايبية ، فمن المنطقي أن نعتقد أن صيد الأسماك من تلك البحيرة ، والمتاجرة فيها مثل أحد عوامل ازدهار المنطقة تجساريا^(٥١) .

وعلى الرغم من أهمية الساحل الفلسطيني في حركة التجارة العالمية خلال تلك الرحلة ، إلا أن الملاحظ أن الرحالة دانيال لا يقدم اشارات ذات دلالات اقتصادية تجارية هامة بشأن تلك المنطقة الحيوية ، ونجده اكتفى بإيراد أسماء بعض المدن الساحلية دون أن يوضح دورها على الصعيد التجاري ، ومن ذلك قوله أن أرسوف وهي التي يذكرها على أنها Tarsuf^(٥٢) بعدت عن قيسارية وبسميها Caesaria Philippi مسافة ٢٤ فرسز عبر طريق بامتداد الساحل^(٥٣) ، أما حيفا ويذكرها Caipha ، فيشير إلى أن المسافة بينها وبين جبل الكرمل تبلغ فرس واحد^(٥٤) . وعندما ذكر مدينة عكا أشار إلى أنها مدينة كبيرة ، صلبة البناء ، ذات ميناء حسن وكانت تابعة من قبل للعرب والآن - وقت قيامه برحلته - خاضعة لسيطرة الفرنج^(٥٥) ، ومن المعروف أن تلك المدينة سقطت في قبضة الصليبيين في عام ١١٠٤ م .

ومن الملاحظ أن أهمية منطقة الساحل الشامي بصفة عامة ، والفلسطيني على نحو خاص ، والتي لم تحظ باهتمام ذلك الرحالة الروسي ، لا سيما من الزاوية الاقتصادية التجارية سنحدها تتضح لدى رحالة آخرين زاروا مملكة بيت المقدس ، الصليبية خلال الرحلة التالية على قيام دانيال برحلته .

ما الجانب الديني في الرحلة ، فبعد أن ذكر الرحالة قدم لنا وصفا تفبدا عليه المسحة الدينية عند حديثه عن مدينة بات المقدس ، ويقرر أنها وقعت وسط جبال صخرية ، وعند الاقتراب منها يجد المرء أولا برج داود^(٥٦) Tower of David ومن بعد ذلك عندما يتقدم قليلا يجد جبل الزيتون Mountain of Olives وقُدس الأقداس Holy of Holies ، وكنيسة القيامة Church of Resurrection^(٥٧) ، ويقرر أن كل مسيحي دغمز قلبه فرح بالغ ، وحبور عظيم ، عند رؤية المدينة المقدسة ، وتذرف العبرات من عيون المؤمنين ، ولا يستطيع أحد أن يملك مشاعره ، بل انهم يجهبشون باليكاء عندما يرون اواضع التي ارتبطت بالسيد المسيح^(٥٨) ، ويقرر أن جبل صهيون Mountain of Sion يواجه مدينة بيت المقدس من جهة الجنوب ، وعلى شيدت المدينة القديمة ، التي دمرت على يد نبوخذ نصر ، ملك بابل في عهد النبي جرميا^(٥٩) Jeremiah .

وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ ، تُحْتَوِي الرِّحْلَةُ عَلَى جَوَائِبَ مُخْتَلِفَةٍ تَتَّصِلُ بِالسَّيِّدِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَدْ أَشَارَ مُؤَلَّفُهَا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي اسْتَطَاعَ فِيهِ - يَعْشُرُونَ اللَّهَ تَسَارَكَ وَتَعَالَى - أَنْ يَطْعَمَ خَمْسَةَ آلَافٍ رَجُلٍ فَضْلًا عَنِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ بِخَمْسَةِ أَرْغِفَةٍ مِنْ الْخُبْزِ (٦٠) ، كَذَلِكَ الْمَوْضِعُ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ لِلْحَوَارِيِّينَ بَعْدَ الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنْ دَفْنِهِ - كَمَا يَتَصَوَّرُ الْمَسِيحِيُّونَ - وَحَدَّدَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ بِأَنَّهُ بِالقَرَبِ مِنْ سَاحِلِ بَحْرِ الْجَلِيلِ عِنْدَ اسْفَلِ جَبَلِ هَنَّاكَ (٦١) ، كَذَلِكَ تَنَاوَلَ الْكَهْفَ الَّذِي أَقَامَتْ فِيهِ السَّيِّدَةُ مَرْيَمُ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَالْأَدَّةَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ (٦٢) ، وَأَشَارَ إِلَى مَدِينَةِ السَّامَرَةِ Samaria وَمَا حَدَّثَ بَيْنَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَالسَّيِّدَةِ السَّامَرِيَّةِ (٦٣) ، وَعِنْدَ كُنَّا الْجَلِيلِيَّةِ تَمَّ - بِفَضْلِ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ - تَحْوِيلُ الْمَاءِ إِلَى خَمَرٍ (٦٤) عَلَى يَدَيْهِ ، وَهِيَ أُمُورٌ يَكْثُرُ تَرَدُّدُهَا فِي مُؤَلَّفَاتِ الرِّحَالَةِ الْأُورِيتِيِّينَ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ .

وَعِنْدَمَا تَحْدِثُ عَنْ جَبَلِ الطُّورِ Tabor ، أَشَارَ إِلَى ارْتِبَاطِهِ بِذِكْرِيَّاتِ الْمَسِيحِيَّةِ فِي عَهْدِهَا الْمُبَكِّرِ ، وَقَدْ تَسَلَّقَ الْجَبَلَ بَعْدَ جَهْدٍ جَهِيدٍ أَمْتَدَّ إِلَى عِدَّةِ سَاعَاتٍ مِنْ أَجْلِ الْوَصُولِ إِلَى قِمَّتِهِ ، وَهَنَّاكَ وَجَدَ الْمَوْضِعَ الَّذِي تَجَلَّى فِيهِ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ (٦٥) ، كَمَا يَعْتَقِدُ الْمَسِيحِيُّونَ ، وَقَدْ قَرَّرَ أَنَّ هَنَّاكَ كَنِيسَةً مَكْرَسَةً لِلتَّجَلَّى ، وَآخَرَى مَكْرَسَةً لِلنَّبِيِّ مُوسَى وَالْيَاسَى (٦٦) .

وَنُخَلِّصُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الرِّحَالَةَ الرَّؤُسِيَّ دَانْيَالُ سَعْنَى تَمَّ وَشَعْنَةُ السَّعْنَى - فِي ثَلَاثِيَا رِحْلَتِهِ - إِلَى الرِّبْطِ بَيْنَ كَافَّةِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي زَارَهَا بِذِكْرِيَّاتِ الْمَسِيحِيَّةِ فِي عَهْدِهَا الْمُبَكِّرِ فِي فِلَسْطِينَ ، حَقِيقَةً أَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ الْإِتِّجَاهَ نَجَدَهُ لَدَى غَيْرِهِ مِنَ الرِّحَالَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ لَدَانْيَالُ نَجَدَ أَنَّ الْأَمْرَ يَتَزَايِدُ لَدَيْهِ بِصُورَةٍ وَأَصْحَةً عَلَى أَمْتِدَادِ رِحْلَتِهِ .

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ ، هَنَّاكَ بَعْضُ أَوَّجِهَةِ الْخُصُوصِ الَّتِي تُؤَخِّدُ عَلَى مُؤَلَّفِ الرِّحْلَةِ ، وَيُمْكِنُ أَجْمَالُهَا فِي الْآتِي :

أَوَّلًا : أَحْيَانًا اتَّجَهَ دَانْيَالُ إِلَى تَكَرُّارِ بَعْضِ الْأَفْكَارِ الَّتِي أَوْرَدَهَا فِي رِحْلَتِهِ ، وَقَدْ تَمَثَّلَ ذَلِكَ بِوَضُوحٍ عِنْدَ تَنَاوُلِهِ لِنَهْرِ الْأَرْدَنِ ، إِذْ ذَكَرَ أَنَّهُ يَبْقَيْنِيهِ نَهْرٌ سَمُوْفٌ - Snov (٦٧) فِي رُوسِيَا ، ثُمَّ أَتَصَرَّفُ إِلَى حَدِيثِ الْخَرِّ ، وَنَمَّنْ بَعْدَ ذَلِكَ عَادَ مَقَرَّةَ آخَرَى لِيَكْرُرَ نَفْسَ الْأَمْرِ (٦٨) ، وَيَلَاحِظُ هَنَّا ، أَنَّهُ كَانَ يَعْقِدُ مَقَارَنَةً بَيْنَ مُوْطَنِهِ ، وَتِلْكَ الْمَنَاطِقِ الْآجِدِيدَةِ الَّتِي يُقَوِّمُ بَزِيَارَتِهَا وَالتَّرَحُّالَ فِي رُبُوعِهَا ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا لَا يَتَبَيَّرُ لَهُ تَكَرُّارُ الْأَمْرِ بِمِثْلِ هَذِهِ الصُّورَةِ .

ثانيا : هناك بعض الأخطاء الجغرافية التي وقع فيها خاصة فيما يتعلق
بأبعاد وأطوال المسافات الفاصلة بين المدن التي ورد ذكرها في ثانيا رحلته ، ومن
أمثلة ذلك تحديداته لمواقع كفر ناحوم واللد والرملة^(٦١) الى غير ذلك ، ويبدو أنه
أخذ أقوال بعض معاصريه من سكان البلاد المحليين كحقيقة واقعة فأوردها دون أن
يتثبت منها ، ومن مدى صحتها ، ويلاحظ في هذا المجال أن بلاد الشام بصفة عامة ،
لم تكن معروفة بمعرفة كاملة من جانب الصليبيين في أول عهد احتلالهم لاجزاء منها ،
في اخريات القرن الحادى عشر م وأوائل القرن الثانى عشر م ، ولذلك احتاجوا الى
الادلاء من السكان المحليين من أجل ارشادهم عن طوبوغرافية البلاد ، وبين أن مثل تلك
الأخطاء في تحديدات المدن الفلسطينية قد وجد في رحلة دانيال ، وبصفة عامة نتوقعه
في الرحلات المبكرة لفلسطين في أول عهد الصليبيين ، غير أن الأمر تغير بعد ذلك ،
خاصة بعد تزايد المعرفة الجغرافية لدى الصليبيين وتزايد خبرتهم بطبيعة المنطقة .

ثالثا : من الملاحظ غلبة التكوين الدينى على عقلية دانيال ، على نحو أدى
الى قلة الاهتمام بالجوانب الاقتصادية لاسيما التجارية ، ويمكن أدراك سبب ذلك من
خلال غلبة الظاهرة الدينية لذلك العصر ، فضلا عن أن عمل ذلك الرحالة في السلك
الكنسى قد املى عليه أن تكون له تلك الاهتمامات الدينية .

ومع ذلك ينبغي ألا نغفل حقيقة هامة ، ألا وهى أن تناول الجوانب غير الدينية
سنعده بتزايد لدى الرحالة الآخرين الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية ، في
المرحلة التالية على قيام دانيال الروسى برحلته .

مجلد القول ، أن رحلة الرحالة دانيال ، انبثقت في القاء الضوء على جوانب
مختلفة من أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية خلال تلك المرحلة المبكرة من
تاريخها .

الهوامش

(١) صدرت عدة ترجمات لرحلة دانيال الروسي ، وهي باللغات الفرنسية ، واليونانية ، والألمانية ، والانجليزية ، فهناك ترجمة الى الفرنسية قام بها دي نوروف De Noroff وصدرت في سان بطرسبرج في عام ١٨٦٤ م ، عنها انظر :

Peierinage en Terre Sainte de L'igouméne Russe Daniel au commencement du XIIème Siècle, Traduit par A. de Noroff, St. Petersbourg 1864.

وعنها تجد النص الروسي مصحوبا بالترجمة الفرنسية .

أما الترجمة الى اليونانية فقام بها الراهب ايفغانيوس Epiphanius وصدرت في سان بطرسبرج عام ١٨٦٧ م .

وهناك ترجمه الى الألمانية قام بها الهر ليسكين A. Leskien في مجله الجمعيه الألمانية الفلسطينية والتي اصدرتها الجمعيه الألمانية لأبحاث فلسطين في الجزء الخامس الصادر في عام ١٨٨٤م على مدى الصفحات من ١٧ الى ٦٤ .

عنها انظر :

Die Pilgerfahrt des Russischen Abtes Daniel in Heiligen Land, Aus dem Russischen Übersetzt Von A. Leskien, in Z.D.P.V., Vol. VII, Leipzig 1884, 1.2. 17-64.

ثم صدرت طبعة جديدة للنص الروسي ونشرت من جانب جمعية فلسطين الروسية Russian Palestine Society وذلك على يد م . أ . فينيقيتينوف M. A. Venevnikov ، اعتمادا على المخطوط رقم ١٤٦٦ في المكتبة الامبراطورية في سان بطرسبرج ، والذي تمت مقارنته باننى عشر من أعمل النسخ الحظية لرحلة دانيال الروسي .

ويلاحظ أن ولسون في تقديم الترجمة الانجليزية للرحلة والمنشورة في مجموعة P.P.T.S. ، لا نجده يوضح تاريخ الطبعة السابقة ، ولكن بفضل دراسة هانز ماير Hans Mayer عن بيليوغرافيا تاريخ الحروب الصليبية ، أمكن معرفة الأمر بصورة أكثر دقة ، إذ أن فينيقيتينوف نشر عمله في P.P.S. وهي اختصار لـ Pravoslavniǐ Palestinskij Sbornik في الرحلة من ١٨٨٢ الى ١٨٨٥ م .

عن هذه الاشارة الأخيرة انظر :

Hans Mayer, Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzuge, Hannover 1965, P. 64.

وفصلاً عن ذلك ، هناك ترجمة فرنسية لجهد م . ١٠ هينيفيتينوف قامت به مدام
سوفيا خيترو Sophia Khitrowa وصدرت من جانب جمعية الشرق اللاتينية
Société de l'Orient Latin

وتجدر الإشارة الى أن ولسون فى نفس المقدمة السابق الإشارة اليها لا يذكر
عنوان الكتاب الذى احتوى على جهد سوفيا خيترو ، والواقع أن عملها صدر فى كتاب
عن رحلات روسية فى الشرق ، المجلد الأول ، ط جنيف ١٨٨٩ م .

De Khitrowo, Itinéraires Russes en Orient, Geneva 1889.

وبالإضافة الى ما سبق ، هناك ترجمة الى الانجليزية قام بها ولسون Wilson
ونشرت ضمن مجموعة P.P.T.S. ، الجزء الرابع ، والصادر فى لندن عام ١٨٩٥ م ،
عنها انظر :

Pilgrimage of The Russian Abbot Daniel in The Holy Land. Trans. by
Wilson, P.P.T.S., Vol. IV, London 1895.

ومن المهم أن نقرر هنا أن ولسون لم يترجم الرحلة عن النص الروسى الأصل .
ولكن من خلال الترجمة الفرنسية التى قامت بها سوفيا خيترو .

عن طبعات رحلة دانيال وترجماتها الى عدة لغات عالمية وأهم الدراسات
بشأنها ، انظر .

Wilson, Introduction, P. XIV.

Tobler, Bibliographica Geographica Palaestinae, P. 14.

Hans Mayer, Bibliographia Zur geschichte der Kreuzzuge, P. 64.

Ruhricht, Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Heil-
ligen Landes Bezuglichen Literatur Von 333 Bis 1878, Berlin 1890, P.P.30—32

Seemann, Daniel Wallfuhrsbericht mit einer Einleitung und bibllogra-
phischen Hinweisen, München 1970.

والدراسة الأخيرة عبارة عن تقرير اخبارى عن رحلة دانيال المطولة مع
تمهيد وبيان بيلىو جرافى . وقد اشار اليها فريونيس ضمن دراسته الهامة عن الرحالة
كمصدر لمجتمعات الشرق الأوسط فيما بين عامى ٩٠٠ — ١٦٠٠ م . وصدر عمله
ضمن مجموعة أبحاث مقدمة لشرف البوفيسير خرائيس المتخصص فى الدراسات
البيزنطية .

عن ذلك انظر :

Vryonis, «Travelers as a source for the societies of the middle east,
900—1600», in Charanis Studies, Essays in Honour of Peter Charanis, ed. A.E.
Liaou — Thomadokis, New York 1980, P. 310.

وأيضاً :

Atiya, The Crusades, Historiography and Bibliography, London 1962, P. 49.

(٢) Cole and German, A Geography of The U.S.S.R., London 1961, P. 7.

هسي ، العالم البيزنطي ، ت . رافت عبد الحميد ، ط . القاهرة ١٩٨٢ م ، ص ٥٢ ، حاشية (١٥) .

وعن نهر الدنيبر انظر :

ابن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق العربي ، ط . بيروت ١٩٧٠ م ، ص ٢٠٣ - ص ٢٠٤ ، بسط الأرض في الطول والعرض ، تحقيق خوان خنيس ، ط . نطوان ١٩٥٨ م ، ص ١٢٦ ، ص ١٣٧ .

(٣) وسام عبد العزيز فرج ، « الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأوسط » ، حوايات كلية الآداب - جامعة الكويت : الحولية (٩) ، الرسالة (٥٣) ، هام ١٩٨٨ م ، ص ٤٢ .

وقد تركزت تجارة كييف مع القسطنطينية على الرقيق والفراء ، وفي المقابل كان التجار الروس يقومون بالحصول على المنسوجات والحبوب والتوابل .

عن ذلك انظر :

ابن رسته ، الأعلام النفسية ، ط . ليدن ١٨٩١ م ، ص ١٤٥ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ضمن كتاب الكسندر سيبل ، أخبار أمم المجوس من الأرمن وورنك والروس ، نصوص عربية ، ط . أوسلو ١٩٢٨ م ، ص ٧ ، ابن فضلان ، الرحلة ، تحقيق سامي الدهان ، ط . بيروت ١٩٨٧ م ، ص ١٢٣ .

أيضاً هاتين الدراستين :

شاكر خصباك ، « معطيات الفكر الجغرافي العربي في بلدان شمال أوروبا » ، مجلة وأراق ، المعهد الأسباني العربي للثقافة ، العدد (٤) ، هام ١٩٨١ م ، ص ٧ .

نقولا زيادة ، « الطرق التجارية في العصور الوسطى » ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، السنة (٥) ، العددان (٥٩) ، (٦٠) ، ١٩٨٣ م ، ص ١٨ .

(٤) نوفجورود Novogorod ، الواقع أن هناك مدينتين روسيتين تحملان هذا الاسم ، أحدهما نوفجورود سنيغيرسكي الواقعة على نهر ديسنا في إمارة نكرينكوف ، أما الثانية فهي الواقعة إلى الجنوب من ليننجراد ، والمقصود هنا

الأولى ، وتعد بحق من أعرق المدن الروسية ، إذ يقرر البعض أن العناصر السلافية قامت بتأسيسها في القرن الخامس م ، وتمتعت بمكانة اقتصادية هامة لا سيما على المستوى التجارى ، بفضل موقعها المتميز ، ومن جهة أخرى ، مثلت منطقة تركيز سكانى على نحو دعم نشاطها الاقتصادى التجارى .

عنها وعن نشاطها الاقتصادى ، انظر :

مجهول ، قصة حملة الأمير ايفور ، ث . خميس حرج ، ط . موسكو ١٩٨٩ م ، ص ١٤٧ .

Bulkin, Novgorod, Trans. by Yori Pamfilov, Leningrad 1984.

Morfill, Russia, London 1907. P. 19.

Smitu, An Historical Geography of Western Europe before 1800, London 1969, P. 131, P. 174.

Sharaf, A Short History of geographical discovery, Alexanrria 1963, P. 159

فايز نجيب اسكندر مصر فى كتابات الحجاج الروس فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، ط . الاسكندرية ١٩٨٨ م ، ص ٣٢ ، حاشية (٣٩) .

ليلى عبد الجواد ، تاريخ الروس من خلال المصادر العربية ، ط . القاهرة ١٩٩٠ م ، ص ٢١ .

(٥)

Oman, A Hist. of The art of War in The misdle ages, Vol. 1, London 1924, P. 208.

هسى ، المرجع السابق ، ص ٥٢ ، حاشية (١٩) ، وتجدر الإشارة الى أن البيرونى كان أول جغرافى عربى أورد ذكر بحر البلطيق واسماء بحر ورنك ، وسبى الشعوب الاسكندنافية باسم أمة ورنك ويقرر البيرونى أن بحر البلطيق يخرج من المحيط الى الشمال الى جهة الجنوب وله طول وعرض صالحيان ، وورنك أمة على ساحله .

عن ذلك انظر :

البيرونى ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق سخاو ، ط . لبيزج ١٩٢٣ م ، ص ٣٥ ، نفيس أحمد ، جهود المسلمين فى الجغرافية ، ت . فتحي عثمان ، ط . القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ٢٣ ، أنور عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، ط . الكويت ١٩٧٩ م ، ص ٦٦ .

وعن بحر البلطيق انظر :

Christiansen, The Northern Crusades, The Baltic and The Catholic Frontier (1100—1525', Minnesota 1980, PP 6—41.

(٦) أولجا ، هي القديسة أولجا St. Olga ، وقد كانت من أوائل الحكام الاسكندنافيين الذين حكموا كييف Kiev وتحولوا الى المسيحية ، وقد اعتبرت أرملة الامبراطور ايجور Igor ، وتقدم بها العمر عندما تم تعميدها في كنيسة القسطنطينية وذلك في عام ٩٥٧م ، وبذلت مجهودات كبيرة من أجل اقناع الروس بضرورة الانضمام الى صفوف معتنقي المسيحية ، وقد أدركتها منيتها في عام ٩٦٩م ، وتم اعتبارها قديسة ويتم الاحتفال بعيدها في اليوم الحادي عشر من يوليو ، عن القديسة أولجا ، ودورها في العلاقات الروسية - البيزنطية انظر :

Attwater, Penguins dictionary of Saints, P. 338.

Wren, The Course of Russian History, New York 1953, P.P. 65—66.

Morfill, Russia. London 1904, PP. 24—25.

Florinsky, Russia, A Short History, New York 1964, P. 10, P. 18.

Beazley, Forbes and Birkett, Russia from the Varangians to the Bolsheviks, Oxford 1918, P. 52.

رنسيما ، الحضارة البيزنطية ، ت . عبد العزيز توفيق جاويد ، ط . القاهرة ١٩٦١ م ، ص ٣٤٧ ، عمر كمال توفيق ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ط . الاسكندرية ١٩٦٧ م ، ص ١٢٣ .

أما فلاديمير أو القديس فلاديمير St. Vladimir ، فهو فلاديمير الأول بن سفيا توسلاف ، ولد في عام ٩٥٥ م ، وتولى إمارة كييف عام ٩٨٠ م تفرييا ، وهو ابن سفيا توسلاف بن ايفور من جاريته مالوشا لوبييتسانكا ، وفي عام ٩٦٩م أصبح فلاديمير اميرا على نوفجورود وذلك بمساعدة خاله دوبرينيا ، وعزز أركان دوله روسيا القديمة بفضل حملاته المتوالية والنشطة ضد القبائل والشعوب المعادية ، وفي هذا المجال الحربي نجده قد قام بعمل خط دفاعي لمواجهة قبائل البجناك وذلك على نهري ديستا وسوليو وغيرهما ، وهذه كانت المرة الأولى في تاريخ روسيا التي صارت لهما حدود معينة - كما يقرر بعض العلماء السوفييت المتخصصين - وهناك من يقرر أن إمارة فلاديمير مثلت مرحلة نهوض دولة كييف وارتبطت بتقوية الحكم الاقطاعي في الداخل وحملات الغزو الموفقة وتطور الثقافة والزراعة والحرف اليدوية ، ويلاحظ أنه بالنسبة لفلاديمير نفسه ، فقد توفي في عام ١٠١٥ م ، ومنح لقب قديس مثل جدته القديسة أولجا وصار يوم عيده هو الموافق الخامس عشر من يوليو ، ويقرر ول ديورانت أن فلاديمير لقب بفلاديمير الخامس Vladimir V والواقع أن هذا القول جانبه الصواب على ما يبدو إذ أن فلاديمير صاحب كافة الانجازات السابقة هو الأول وليس الخامس ، عن ذلك انظر :

مجهول ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

Attwater, Penguin dictionary of Saints, P. 338—339.

وعن رأى ول ديورانت انظر :

قصة الحضارة ، عصر الايمان ، ت . محمد بدران ، ح (١٤) ، ط . القاهرة ١٩٧٥ م ، ص ١٩٩ .

(٧) عن اعتناق فلاديمير المسيحية انظر :

Meyendorff and Paynes, «The Pyzantine inheritance in Russia», in paynes and Moss, Pyzantium, an introduction to east Roman civilization, Oxford 1952, P. 371—372, Vasiliev, History of The Pyzantine Empire, Vol. I, Madison 1958, P. 323. Ostrogorsky, History of The Pyzantine State, Trans. by Hussey, Oxford 1960, P. 304, Browning, The Pyzantine Empire, New York 1980, P. 90, Franzius, Hist. of The Pyzantine Empire, New York 1967, P. 254—256, Brehier, Vie et mort de Pyzance, Paris 1946, P. 222, Wren, The course, PP. 59—60. Diehl, Hist. of The Pyzantine Empire, Princeton 1929, P. 89, Hancave, Russia A History, London 1954, P. 14, Pares, A History of Russia, London 1960, P. 27, Rybarov, Early Centuries of Russia History, Moscow 1965, P. 51.

بوريس راوشنباخ ، « تعميد كييف » ، مجلة رسالة اليونسكو ، العدد التذكاري بمناسبة مرور الف عام على دخول المسيحية فى روسيا القديمة ، عدد رقم (١٣٢٥) ، يونيو ١٩٨٨ م ، ص ٤ - ص ٨ ، ليلى عبد الجواد ، المرجع السابق ، ص ٥٥ ، وما بعدها ، أسد رستم ، الروم ، ح ٢ ، ط . بيروت ١٩٥٦ م ، ص ٥٣ ، أومان ، الامبراطورية البيزنطية ، ت . مصطفى طه بدر ، ط . القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ١٨٦ ، رتسيمان ، المرجع السابق ، ص ١٢٣ ، دوسن ، تكوين أوروبا ، ت . مصطفى زيادة وعاشور ، ط . القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ٢١٦ .

(٨) ليلى عبد الجواد ، المرجع السابق ، ص ٥٥ .

Diehl, Op. Cit., P. 89. (٩)

Ostrogorsky, Op. Cit., P. 304.

وعن المساعدة التى قدمها فلاديمير للامبراطور باسيل الثانى انظر :

وسام عبد العزيز فرج ، « الامبراطور باسيل الثانى سفاح البلغار ٩٧٦ - ١٠٢٥ م ، العوامل التى اثرت على السياسة فى عصره » ، ندوة التاريخ الاسلامى

والوسيط ، م (١) ، عام ١٩٨٥ م ، ص ١٨٨ ، دراسات في تاريخ وجغرافية
الامبراطورية البيزنطية ، ج ١ ، ط ٠ الاسكندرية ١٩٨٢ م ، ص ٣٢٠ ، عليه
الجنزورى ، العلاقات البيزنطية الروسية فى عهد الأسرة المقدونية ٨٦٧ - ١٠٥٦ م ،
ط ٠ القاهرة ١٩٨٩ م ، ص ١٢٦ .

(١٠) ولا نغفل أن المصاهرات السياسية بين الروس والبيزنطيين لم تكن
مقبهورة على مبرجة فيلاديمير فقط ، بل انها استمرت فيما بعد ، ومن أمثلة المصاهرات
السياسية التالية ، أن فزيفولد ابن ياروسلاف قد تزوج من ماريا ابنة الامبراطور
قسطنطين التاسع Constantine IX Monomachus وذلك فى عام ١٠٤٦ م ،
ومن الأمثلة الأخرى المتأخرة أن دوق روسيا ايفان الثالث فاسيليفيتش Ivan III
Vasilievitch (١٤٦٢ - ١٥٠٥ م) تزوج صوفى باليولوغوس Sophie
Poleologue ابنة شقيق آخر الأباطرة البيزنطيين قسطنطين الجادى عشر
Constantine XI (١٤٢٨ - ١٤٥٣ م) ، عن ذلك انظر :

عليه الجنزورى ، المرجع السابق ، ص ١٧٥ ، فايز نجيب اسكندر ، المرجع
السابق ، ص ٥ - ص ٦ .

Diehl, Op. Cit., P. 89. (١١)

Harcave, Op. Cit., P. 14. (١٢)

Wren, Op. Cit., P. 52. (١٣)

Harcave, Op. Cit., P. 14. (١٤)

Pares, Op. Cit., P. 52. (١٥)

Harcave, Op. Cit., P. 14. (١٦)

Diehl, Op. Cit., P. 89. (١٧)

ياروسلاف ، هو ياروسلاف الحكيم بن فلاديمير ولد عام ٩٧٨ م ، بدأ نشاطه
السياسى فى روستوف عندما قام بتولى أمور الامارة فيها ، ثم صار أميراً على
نوفجورود وذلك منذ عام ١٠١٥ م ، وفى أعقاب وفاة فلاديمير ، خاض ياروسلاف
صراعاً دموياً عنيفاً ضد أخيه سفيا توبولك حول عرش كييف ، ولم يتول ذلك العرش
الا فى عام ١٠١٩ م ، وذلك بعد أن تمكن من إلحاق الهزيمة بالنكراء بأخيه ، ومن
الأعمال التى تنسب اليه ، قيامه ببناء بوابة ذهبية لكيف ، وشيد فيها كنيسة للقديسة
صوفيا ، على شاكله تلك التى كانت لدى الإمبراطورية البيزنطية ، كذلك قام بتشيد
العديد من القلاع والحصون فى المناطق المتطرفة ، مثل مدينة يوريف وكذلك ياروسلاف
على نهر الفولجا . وفى الجانب الكنسى نجد أنه أوفد أسقفاً بيزنطياً فى عام ١٠٣٧ م

الى كييف ، وصارت الأخيرة مقراً للأسقفية الروسية المرتبطة بالبطريركية في القسطنطينية ، ويقال ان الأسقفية الروسية ذكرت للمرة الأولى في الملخص الاسقفى المدون فى فترة حكم الامبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين (١٠٨١ - ١١١٨ م) ، وقد توفى ياروسلاف عام ١٠٥٤ م ، عنه انظر :

مجهول ، المصدر السابق ، ص ١٣٥ ، علية الجنزورى ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ - ص ١٦٣ .

Wren, Op. Cit., P. 63.

Kochan, The making of modern Russia, London 1962, P. 19.

(١٨) تيوغوليوبسكى ، « رحلة السائح الروسى دانيال الى الاراضى المقدسة فى أول عهد الصليبيين » ، مجلة الشرق ، السنة (٢٤) ، العدد (٩) ، أبريل ١٩٢٦ . ص ٦٤١ .

(١٩) نفسه ، نفس المرجع ، ص ٦٤٢ .

(٢٠) نفسه ، نفس المرجع والصفحة .

والجدير بالذكر ان يوغوليوبسكى يذكر هجمات المسلمين على عناصر الحجاج على انها من قبيل اعمال القرصنة ، ولكن من المؤكد الرد على ذلك على اعتبار ان هجماتهم كانت من قبيل اعمال الجهاد - فى جانب منها - ضد كل من هو غير مسلم فى مرحلة الحروب الصليبية وكذلك فى المرحلة السابقة عليها ، ويبدو انه شارك اتجاه بعض المستشرقين الذين نظروا الى المجاهدين من المسلمين فى البحر على انهم مجرد قرصنة هدفوا الى القيام باعمال سلب ونهب السفن .

(٢١) نفسه ، نفس المرجع ، ص ٦٤٣ .

(٢٢) نفسه ، نفس المرجع ، ص ٦٤٨ .

Daniel, F.V.

(٢٣) .

وهناك رحلة روس قدموا الى الاراضى المقدسة فى فلسطين مثل القديس فارلام من كييف St. Varlaam وذلك فى عام ١٠٦٢ م ، نظير اننا لا نملك تسجيلا مكتوباً لتلك الرحلة ، من ذلك انظر :

Béazley, Vol. II, P. 155.

Daniel, P.V.

(٢٤)

ibid, P. VIII.

(٢٥)

Beazlep, Vol. II, P.. 156, P. 127.

Ruhricht, P. 30.

Daniel, P. 3.

(٢٦)

Ibid, P. 3.

(٢٧)

Ibid, P. 7.

(٢٨)

Ibir, P. 4, note (e).

(٢٩)

(٣٠) فيما يتعلق بكلمة لورا Laura ، من الملاحظ أن الجماعات الديرانية الصغيرة في مصر وفلسطين وبلاد الشام عموما أطلق عليها هذا التعبير ، ومثلت مرحلة هامة من مراحل تطور الحركة الديرانية ، واللورا كانت تمثل تجميعا لعدد من الصوامع المنفصلة تحت رعاية ليست محددة بصورة قوية من جانب أحد الرؤساء ، وكان أعضاؤها يلتقون في أيام الآحاد من كل أسبوع خلال تناول الوجبة الرئيسية في الحجرة المخصصة لتناول الطعام ، وخلال إقامة القداسات في الكنائس الملحقة بها ، وهناك من يقرر أنه على الرغم من أن كل صومعة كانت منفصلة عن الأخرى ، إلا أنها كانت متقاربة ، ويبدو أن ذلك الوضع المتمثل في اللورا كان منتصف الطريق بين الناسك المتروحد والراهب المرتبط بحياة مشتركة ، أما مدلول كلمة لورا Laura ذاتها ، فهو غير محدد بصورة قاطعة ، ويرى البعض أنها ربما تكون من كلمة لونيك Lonic ، أو أنها معبرة عن ربح في طريق ضيقة بين الصوامع أو ربما مثلت شكلا آخر من Labra وهي التي تعني الزقاق الصغير ، ويرى البعض أن ذلك التعبير نجده في المخطوطات القديمة على اعتبار أنه السبق وجمعها أسياق ، والواقع أن أقدم اللورات وجدت في فلسطين وذلك في القرن الرابع م ، وازدهرت من بعد ذلك لأمد بعيد . ولعل أكثرها شهرة هي تلك التي أقامها عدد من القديسين مثل القديس ساباس St. Sabas والقديس جيراسيموس St. Gerasimus والقديس ايوثيميوس St. Euthymius والامبراطورة ايو دوكيا Eudocia وهي في غالبها الأعم تقع بالقرب من مدينة بيت المقدس ، وعلى الرغم من كثافة الجوانب السابقة ، إلا أن هناك عدة مخاطر تعرض لها الرهبان الذين ارتبطوا بتلك اللورات وذلك من خلال عدم خضوعهم لقواعد صارمة ، وبدون أية قيود من أي نوع فضلا عن تعرضهم لاغراءات متعددة ، عن اللورات وأنظمتها وأنواعها انظر :

Ibid, P. 3, note (2).

Smith and Cheetham, The Dictionary of Christian Antiquity, Vol. II, London 1880, P. 934.

Cross, The Oxford Dictionary of Christian Church. London 1958, P. 790.

Attwater, Op. Cit., P. 301.

متى المسكين ، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار ، ط٠ القاهرة ١١٧٢ م ، ص ٤٥ .

هسي ، المرجع السابق ، ص ٢٧٦ ، حاشية (٢) .

رأفت عبد الحميد ، كنيسة بيت المقدس في العصر البيزنطي ، ص ١٤٠ ،
حاشية (٧٠) .

Daniel, P. 3. (٣١)

Ibid, P. 9. (٣٢)

Ibid, P. 9. (٣٣)

القديس جورج St. George هو جورج الشهيد ، عاش بين القرنين الثالث والرابع الميلاديين ، واعتبر القديس الحامي لانجلترا ، ويعتد أحد أكبر الشهداء المسيحيين شهرة في عهد المسيحية المبكر ، ولا زال صيته قائما وعلى نحو خاص في الشرق ، ومع ذلك لا توجد مادة تاريخية محددة المعالم عن حياته ، ولكن هناك أسطورة نسبت حوله ، ومن المحتمل أن القديس جورج قد قتل في اللد Lydda في أخرى القرن الثالث وبدايات القرن الرابع الميلاديين وفي القرن السادس كان ينظر إليه على اعتبار أنه (رجل تقى صالح ، يعلم الرب وحده أفعاله وأعماله) ، ويلاحظ أن أسطورة القديس جورج توجد بصور متعددة ومختلفة ، على نحو مثل صعوبة أمام الدارسين الذين هدفوا إلى الحصول على تفاصيل محددة عن حياته ، ويظهره كتاب سمي الأسطورة الذهبية The Golden Legend في العصور الوسطى المتأخرة على أنه فارس قدم من كبادوكيا Cappadocia . وقد راح جورج ضحية اضطهاد دقلديونس Diocletian ، ويقال أنه قتل تنينا ، وهناك من يرى أن قصة التنين وارتباطها بذلك القديس قد أضيفت إلى أسطوريته في أخرى العصور الوسطى ، أما كيفية جعل القديس جورج بمثابة القديس الحامي لانجلترا فإن ذلك لا يتسم بالوضوح التام ، ويلاحظ أن اسمه كان معروفا في انجلترا وأيرلندا منذ أمد بعيد سابق على الغزو النورماني ، ومن المحتمل أن الصليبيين العائدين من بلاد الشام قد ساهموا في دعم شعبيته ، وربما كن لقب القديس الحامي القومي قد حدث عندما أسس الملك إدوارد الثاني Edward II ما عرف بنظام The Order of The Garter وجعله تحت حمايته ، وتجدر الإشارة إلى أنه في عام ١٤١٥م صار يوم الاحتفال بالقديس جورج من أكثر الأيام المحتفل بها أهمية من جانب الإنجليز . واختير يوم ٢٣ أبريل يوم الاحتفال بذكراه .

عنه انظر :

Ency. Brit., «St. George», Vol. V, London 1958, P. 198.

Ency. Amer., «St. George», Vol. XII, U.S.A., 1980, P. 508.

Chamber's Ency. «St. George», Vol. VI, London 1973, P. 238.

ATTwater, Op. Cit., P. 148.

أنظر أيضا الترجمة الانجليزية للمخطوط الاثيوبي عن القديس جورج :

George of Lydda, The Patron Saint of England, A study of the cultus of St. George in Ethiopia, Translation of The Ethiopic Text as Found in The Manuscripts from Mardala by Sir Wallis Budge, London 1930.

صباح محمود محمد ، « التنين في المصادر العربية » ، ضمن كتاب دراسات في التراث الجغرافي العربي ، ط٠ بغداد ، ١٩٨١م ، ص ٩٠ .

Daniel, P. 9.

(٣٤)

Ibid, P. 9.

(٣٥)

أنظر أيضا :

مؤنس أحمد عوض ، التنظيمات الدينية الاسلامية والمسيحية في بلاد الشام ، ص ١٧٥ ، سيد فرج ، « القدس عربية اسلامية » ، الدارة ، العدد (٣) ، السنة (٨) ، يناير ١٩٨٤م ، ص ١٢ .

ويلاحظ أن طريق القدس - يافا سر بمناطق ذات طبيعة جبلية ، الى أن يصل الى السهل الساحلى وبلغ امتداده سبعة وستين كم ، ويبدأ من غرب بيت المقدس من الباب العربى لها والمسمى بباب يافا ويستمر فى الامتداد على هضبة القدس نفسها ثم يعبر دير ياسين وأبو غوش ثم الرملة ، وتجدر الإشارة الى أن من منطقة أبى غوش ينحدر الطريق الى الرملة ويطلق على الامتداد الواقع من جهة الرملة الى السهل الساخلى اسم باب الوادى ، وقد قام الصليبيون بتشييد ستة حصون فيما بين يافا والقدس وذلك من أجل تأمين الطريق ، عن ذلك أنظر :

سيد فرج ، المرجع السابق ، ص ١٢ ، عبد الرحمن زكى ، « القلاع فى الحروب الصليبية » ، المجلة التاريخية المصرية ، م (١٥) ، عام ١٩٦٩م . ص ٦٢ ، فتحى عبد العزيز عبد الله ، دوز الكنيسة فى مملكة بيت المقدس اللاتينية حتى عام ١١٨٧م ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة الزقازيق عام ١٩٨٨م ، ص ١٢٢ ، محمود الحويرى ، الأوضاع الحضارية ، ص ١٨٦ ، على السيد على ، القدس فى العصر المملوكى ، ط٠ القاهرة ١٩٨٦م ، ص ٢١٣ .

ويذكر الحويرى فى دراسته الهامة عن الأوضاع الحضارية أن الصليبيين شيّدوا سبعة معاقل بين يافا والقدس أهمها قلعة شقيف أرنون ، وقد اعتمد فى قوله هذا على فيدن Fedden ودراسته عن القلاع الصليبية Crusader Castles ، وأخذ عن الحويرى ، فتحى عبد العزيز فى رسالته السالفة الذكر ، أنظر : الحويرى ، المرجع السابق ، ص ١٨٦ ، فتحى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص ١٢١ .

والواقع أن ذلك ينطوى على معالطة واضحة ، إذا أن شقيف أرنون لم تقع في هذا النطاق . وإنما وقعت في جنوب لبنان واشرفت على نهر الليطاني والغريب أن الحويرى يقرر ذلك إذ يقول « وتقوم هذه القلعة وكأنها عش نسر على شاهق يشرف على نهر الليطاني على ارتفاع ٢١٩٩ قدما فوق سطح البحر وهي بمثابة حارس يقوم على حراسة الممر الجنوبي الذي يربط صيدا أو صور بالبقاع قدمشق » ، وهكذا فإنه بنفسه يؤكد أن موقعها لم يكن مطلقاً في نطاق طريق يافا - القدس فاختلف حديثه في المتن عنه في الحاشية ، عن قلعة شقيف أرنون أنظر : ابن شداد ، الأعلام ، الخطيرة ، ص ١٥٤ ، ابن عبد الحق ، المغناني ، مرصدة ، ج ٢ ، ص ٨٠٧ ، ابن الفرات ، تاريخ الدول والملوك ، م ٥/١ ، تحقيق الشماخ ، ط ١٩٧٠ م ، ص ٢٢١ ، حاشية (٩٠١) ، العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ط ١٣١٢ هـ ، ص ١٨٢ ، سليمان مظهر ، « قلعة شقيف أرنون » ، مجلة المجتمع العلمي بدمشق ، عدد عام ١٩٤٤ م ، ص ٤٢٤ ، مزمل حسنين ، نيايات الشام في عهد دولة المماليك البحرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٥٣ م ، ص ٥٠ ، عاشور ، صلاح الدين الأيوبي ، ط ١٩٦٥ م ، ص ٢١٤ ، أحمد الحفناوي ، « الصراع من أجل صيدا في العصر الوسيط » ، مجلة المنهل ، م (٤٦) ، عام ١٩٨٣ م ، ص ٦٧ .

Le Strange, Palestine, P. 524, Runciman, The Crusades, Vol. II, P. 469, Riley-Smith, The Feudal Nobility in The Latin Kingdom of Jerusalem, London 1973. P. 25, Hitti, Lebanon in History, New York 1967, P. 293—294.

Deschamps, Les chateaux des croisés en Terre Sainte, La défense du Royaume de Jerusalem, Paris 1939, PP. 177 -208.

Fulcher of Chartres, P. 29, P. 250. (٣٦)

Stevenson, The Crusades in the east, P. 172. (٣٧)

Lanc-Poole, A History of Egypt in the middle ages, London 1901, P. 173.

William of Tyre, Vol. II, P. 184, P. 233. (٣٨)

Daniel, P. 55. (٣٩)

Hagenmeyer, Ekkhardi Hierosolymita, Tübingen 1876, PP. 360--362. (٤٠)

Beazley, Vol. II, P. 156.

(٤١) ابن القلائسي ، دليل تاريخ دمشق ، تحقيق منسحق زكار ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

Daniel, P. 66.

(٤٢)

William of Tyre, Vol. II, P. 458.

(٤٣)

وقد عمل الموارنة على دعم الحركة الصليبية منذ عهدها المبكر في بلاد الشام ، اذ عملوا كأدلاء ومرشدين للغزاه وكذلك كأطباء وتراجمة ، واشتركوا في بعض المعارك الحربية لدعم الصليبيين ضد المسلمين ، وهناك من الباحثين من رأى أن من عوامل تأخر سقوط امارة طرابلس الصليبية على أيدي المسلمين بقيادة المنصور قلاوون ربما كان يرجع - جزئيا - الى الدعم الماروني المتواصل للوجود الصليبي في تلك الامارة مع عدم اغفال تأثير العوامل الأخرى بطبيعة الحال .

عن دعم الموارنة للصليبيين انظر :

William of Tyre, Vol. II, P. 458.

Salibi, «The Maronites of Lebanon under The Frankish rule», R.E.A., T. IV, Année 1957, P. 289.

Mayor, The Crusades, Trans. by Gillingham, Oxford 1972, P. 276.

Smail, The Crusaders in Syria and The Holy Land, London 1974, P. 161.

Churchill, The Druzes and Maronites, London 1862, P. 18.

سالم ، طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ، ص ٢٧٢ ، احمد رمضان ، « حول وسائل الصراع المسلح الاسلامي - الصليبي في العصور الوسطى » ، المستقبل العربي ، عدد (٨) ، عام ١٩٨٧ ، ص ٧٥ - ص ٧٦ ، لامنس ، « الحياة في بيروت في عهد الصليبيين » ، المشرق ، السنة (٣١) ، العدد (١) ، عام ١٩٣٣ م ، ص ٧٢٥ ، يوسف ضو ، تاريخ الموارنة ، ج ٣ ، ط٠ بيروت ١٩٧٧ م ، ص ٤٣٨ م - ص ٤٣٩ ، والكتاب الفه ماريوني يغلب عليه الطابع التعصبي الشديد ، وتلخص قيمته في انه دراسة متخصصة عن الموارنة ، اسد رستم ، كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ، ط٠ بيروت ١٩٨٨ م ، ص ٢٩٥ .

(٤٤) عن ذلك انظر :

مؤنس احمد عوض ، المرجع السابق ، ص ٣١٨ - ص ٣١٩

Daniel, P. 25—26.

(٤٥)

وعين ساوان ، وقعت في وادي قدرون ، وهو جزء من الوادي الممتد شرق بيت المقدس ، وتعرف بالبركة الحمراء ، وموقعها على بعد ٤٥٠ ياردة من الحرم ، وتكتسب

قداسه خاضعة من خلال ما يقال من ان السيد المسيح عليه السلام قد أرسل رجلا كفيفا اليها ، وأمره بأن يغتسل من مائها ، فعاد اليه بصره باذن الله تبارك وتعالى ، وقد قدم رايموند اجيل تناولا هاما لعين سلوان وذكر أنها عبارة عن نبع كبير يتدفق مرة كل ثلاثة أيام ، ويقرر السكان المحليين أنها تتدفق يوم السبت فقط ، أما باقى الأيام فهي عبارة عن مستنقع ، وأشار الى أن التدافع الجنونى العنيف من أجل شرب الماء جعل الكثيرين يلقون بأنفسهم فى البركة وتسبب ذلك فى هلاك الكثير من الدواب ، كذلك نجد الرحالة الألمانى يوحنا الورزبرجى قد ذكر أن عين سلوان ليس لها مصدر للمياه سوى جوف الأرض ، وعندما زار الرحالة اليهودى الأسباني بنيامين التطيلي المدينة أشار الى تلك العين لا يوجد بها الا اقل القليل من المياه ، وتجدر الإشارة الى أن المنهاجى السيوطى قد ذكر العديد من الفضائل المتعلقة بها ، ومن جهة أخرى ، يقرر عزرا حداد فى تعليقاته على رحلة بنيامين التطيلي أنه تم اكتشاف كتابة عبرية عندها بالأحرف القديمة وذلك فى عام ١٨٨٠م . وكانت ترجع الى القرن الثامن ق م .

عن عين سلوان أنظر : ناصر خسرو ، سفر نامه ، ص ٥٥ ، رايموند اجيل ، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس ، ت . حسين عطية ، ط . الاسكندرية ١٩٩٠م ص ٢٣٧ ، الادريسي ، نزهة المشتاق الى اختراق الآفاق ، ج ٤ ، ص ٣٦٢ ، بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ت . عزرا حداد ، ط . بغداد ١٩٤٥م ، ص ١٠٢ ، حاشية (٢) ، القزوينى ، آثار البلاد واخبار العباد ، ص ١٦٣ ، المنهاجى السيوطى ، اتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى ، ق ١ ، تحقيق أحمد رمضان ، ط . القاهرة ١٩٨٢م ، ص ٢١١ - ص ٢٢٤ ، ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ٢٨٧ .

John of Wurzburg, Description of The Holy Land, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. V, London 1896, P. 51.

عبد الحميد زايد ، القدس الخالدة ، ص ١٧ .

Daniel, P. 28.

(٤٦)

وقد وقع نهر سنوف Snow . فى مقاطعة تكرينكوف Tchernigov الروسية .

Ibid, P. VII

(٤٧) نابلس Neapolis, Nablus ، مدينة فلسطين تبعد عن بيت المقدس - كما وصفها الجغرافيون المسلمون - بنحو عشرة فراسخ ، ووصفت بأنها مستطيلة، لها كورة واسعة ، وعمل جليل ، وقد استولى عليها الصليبيون بقيادة تانكرد Tancred وذلك بمساعدة يوستاس البويونى Eustace of Bouillon دون قتال فى عام ١٠٩٩م ، واستمرت فى قبضة الصليبيين الى أن تمكن المسلمون من استردادها ذلك فى عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي فى عام ١١٨٧م ، حيث خضعت الأمان على يد حسام الدين بن عمر بن لاجين ، عنها أنظر :

Fulcher of Chartres, P. 30, P. 78.

William of Tyre, Vol. II, P. 88, P. 206, P. 425.

ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧٢ ، ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ٢٤٣ -
ص ٢٤٩ . ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٧٢٣ ،

Beyer, «Neapolis (Nablus) und sein Gebiet in der Kreuz Fahrerzeit», in
Z.D.P.V., LXII, 1940, PP. 155—209.

سعيد البيشاوي ، نابلس ودورها في الصراع الاسلامي - الصليبي ، رسالة
ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٤م ، وهي
دراسة على جانب كبير من الأهمية عن نابلس ودورها خلال عصر الحروب
الصليبية ، أيضا ، زكي نقاش ، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ،
ص ١٨٣ :

Daniel. P. 58.

(٤٨)

وهناك أيضا اشارة هامة لدى لامونت :

La Monte, Feudal Monarchy in The Latin Kingdom of Jerusalem,
Cambridge, 1932, P. 144.

Daniel. P. 62.

(٤٩)

Ibid, P.62.

(٥٠)

وعن تناول السيد المسيح عليه السلام السمك من بحر الجليل أو بحيرة طبرية ،
انظر متى ، الاصحاح (١٤) ، يوحنا ، الاصحاح (٦) .

Pax, Sur les chemins des Jusus, Tell Aviv 1970, P. 107, with Jesus in The
Holy Land, Tell Aviv 1979, P. 56.

(٥١) عن توافر الأسماك في بحيرة طبرية وتعدد أنواعها والمتاجرة فيها ،
انظر :

ناصر خسرو ، المصدر السابق ، ص ٤٨

William of Tyre, Vol. II, P. 433.

ليلي طرشوبى ، اقليم الجليل فترة الحروب الصليبية ، ص ١٤٦ .

(٥٢) عنها انظر : الفصل الأول ، حاشية (٢٥) .

Daniel, P. 54. (٥٤)

Ibid, P. 55. (٥٥)

Ibid, P. 55. (٥٦)

Ibid, P. 10. (٥٧)

Ibid, P. 10. (٥٨)

Ibid, P. 10. (٥٩)

(٥٩) جرميا ، هو أحد أنبياء اليهود البارزين ، وقد ولد من أسرة كهنوتية في بلد عماثوث Amathuth الواقعة الى الشمال مباشرة من بيت المقدس ، ووفقا لما ورد في سفر أرميا ، فإن الأخير تلقى كلمة الرب في العام الثالث عشر من حكم يوشع Joshua ملك يهوذا ٦٤٠ - ٦٠٩ ق م ، ويرى البعض أن ذلك حدث عام ٦٢٧ ق م ، ومن الناحية التاريخية هناك من يقرر أن النبي أرميا يرتبط ارتباطا وثيقا بسقوط بيت المقدس عام ٥٨٧ ق م ، وبداية الأسر البابلي لليهود ، وقد سبق أرميا مجموعة من الأنبياء الذين عرفوا بأنبياء بني إسرائيل مثل عاموس وإشعيا وغيرهما ، عنه أنظر :

العهد القديم ، سفر أرميا ، الإصحاح الأول .

Smith, Jermiah, London 1924, PP. 31 --66.

Blank, Jermiah, man and prophet, New York 1961, PP. 3--24.

The Cambridge, Bible, Ch. 1- 25, Commentary by Nicholson. Cambridge 1973, PP. 1--10.

Grant, The History of ancient Israel, New York 1984, PP. 152 157.

Epstein, Judaism, Apelican Original, London 1974, P. 52, P. 53.

Dimont, The Indestructible Jews, New York 1973, P. 25, P. 36.

Daniel, P. 43. (٦٠)

Ibid, P. 65. (٦١)

Ibid, P. 70.	(٦٢)
Ibid, P. 72.	(٦٣)
Ibid, P. 72.	(٦٤)
Ibid, P. 66, P. 67.	(٦٥)
Ibid, P. 67.	(٦٦).
Ibid, P. 28.	(٦٧)
Ibid, P. 60.	(٦٨)
Ibid, P. X P. XI.	(٦٩).

• نقولا زيادة ، رواد الشرق العربي في العصور الوسطى ، ص ٨٧ .

الفصل الثالث

قتيلوس

١١١٨ - ١١٣٠ م

فتيلوس

(١١١٨ - ١١٣٠ م)

تمثل رحلة فتيلوس^(١) مكانة هامة من بين الرحلات التي قام بها الرحالة الأوروبيون في أنحاء مملكة بيت المقدس الصليبية خلال القرن الأول من تاريخ الوجود الصليبي في بلاد الشام ، وقد ساعدت على اللقاء الضوء على أوضاع مملكة بيت المقدس من الناحية السياسية والحربية ، وعلاقاتها بالقوى الإسلامية المجاورة ، ولا سيما أتابكية دمشق ، كذلك أشار صاحبها الى بعض القلاع الصليبية ، ومن جهة أخرى ، اهتم اهتماما خاصا بالساحل الشامى ، وكذلك بعض المناطق الداخلية من خلال تناوله للزوايا الاقتصادية ولا سيما التجارية ، وفضلا عن ذلك ، عمل على تناول أهم الكنائس والأديرة المتناثرة في أنحاء المملكة الصليبية ، شأنه في ذلك شأن غيره من الرحالة الأوروبيين .

.....

والواقع أن فتيلوس ورحلته أثارا جدلا واسعا حول شخصه وتوقيت كتابته لرحلته . ولذلك فمن الضروري أن نتناول تلك الجوانب ، وذلك قبل عرض ما قدمته تلك الرحلة من أضواء كاشفة على أوضاع مملكة بيت المقدس المختلفة وعلاقاتها بالقوى السياسية الإسلامية المجاورة لها .

وبداية ، من الضروري أن نقرر ، أن حجم ما نعرفه عن فتيلوس ضئيل ، وذلك نظرا لطبيعة رحلته التي كتبت لتكون مجرد دليل جغرافى للقادمين الى الأرض المقدسة أو حتى أولئك الذين لم يكن في مقدورهم القدوم اليها ، وأرادوا أن يعرفوا الكثير عن تلك البقاع من خلال أحد الأدلة^(٢) .

ومثل هذا النوع من المؤلفات لا يحتوى فى الغالب الأعم على أية اشارات عن المؤلف ، ومن ثم فإن حجم معرفتنا بفتيلوس ضئيل للغاية ، ويرى ماكفرسون - وهو الذى اهتم بترجمة الرحلة الى الانجليزية وكذلك ببزلى - أن فتيلوس كان يعمل رئيسا للشمامسة فى أنطاكية وذلك فى عام ١٢٠٠م^(٣) ، غير أن هذا القول لا ينطبق على الواقع فى شىء على الأرجح ، نظرا لاتساع المسافة الزمنية بين الرحلة ذاتها و

والتاريخ المذكور لقولية فتيولس ذلك المنصب ، والمرجح انه كان أحد الرحالة الأوربيين الذين زاروا مملكة بيت المقدس خلال القرن الثاني عشر م وكتب رحلته في صورة دليل جغرافي .

أما توقيت الرحلة ، فإن هناك اختلافا بين الباحثين بشأنه ، فنجد أن ماكفرسون Macpherson قد اعتقد أن الرحلة قد تمت في عام ١١٢٠م^(٤) ، بينما اعتبرها توبلر Tobler قد جرت حوالي عام ١١٥٥م^(٥) ، والواقع أن من الممكن الأخذ بتاريخ آخر مختلف عن التاريخين المذكورين ، إذ أن فتيولس نفسه يقرر في رحلته إشارة هامة عن الداوية Templars ويصفهم بأنهم « الفرسان المحدثون »^(٦) ، ولما كنا نعلم أن الداوية قد تأسس تنظيمهم في عام ١١١٨م^(٧) ، فإن من الممكن تصور أن رحلته تمت خلال العقد الثاني من القرن الثاني عشر م وبالتحديد خلال الرحلة الممتدة بين عامي ١١١٨ إلى ١١٣٠م وبالتحديد بعد عام ١١٢٤م حيث أنه يشير إلى صور Tyre على اعتبار أنها خاضعة للسيادة الصليبية وذلك من خلال ذكره لساحل شرق البحر المتوسط .

غير أن هناك قضية هامة تتعلق بتلك الرحلة تتمثل في أن فتيولس أشار فيها إلى نوارينخ متأخرة مثل الملك بلدوين الثالث Baldwin III (١١٤٤ - ١١٦٢م) وكذلك راييموند الثاني أمير طرابلس Raymond II of Tripolis (١١٥١ - ١١٨٧م) ، ويلاحظ هنا أن من الباحثين من يرى أن تعليل ذلك يكمن في أن تلك الأجزاء لم يكتبها فتيولس نفسه ، بل أضيفت إلى رحلته في مرحلة متأخرة وقالية على قيامه برحلته وتدوينه لها^(٨) .

وزد على ذلك ، أثارت تلك الرحلة جدلا فيما يتصل بأمر رحلة أخرى قام بها رجل يدعى افجيسيبيوس Evgesippus ، ونجد أن رحلة الأخير متطابقة مع رحلة فتيولس بصورة كبيرة ، وقد نشر ليون الاتيوس Leon Allatius رحلة افجيسيبيوس عام ١٦٥٣م^(٩) ، وربما يكون افجيسيبيوس قد نقل عن فتيولس الكثير من رحلته ونسب ذلك كله إلى نفسه دون أن يذكر مصدره الأصلي ، وهذا ولا ريب يعكس سهولة انتقال تلك الرحلات ونسبتها إلى عدة أشخاص في وقت واحد^(١٠) ، ومع ذلك فيفضل الدراسة المقارنة الدقيقة لنصوص الرحلتين ، اتضح أن رحلة فتيولس كانت هي الأصل ، أما الرحلة الأخرى فقد احتوت على بعض الأخطاء فضلا عن اعتمادها على فتيولس دون الإشارة إلى ذلك .

وبصفة عامة ، احتوت رحلة فتيلاوس على جوانب متعددة عن مملكة بيت المقدس الصليبية ، ففي المجال السياسي مثلا ، تناولت العلاقات بين المملكة وأتابكية دمشق وهي التي أسسها الأتابك ظهير الدين طفتكين^(١١) ، وذلك من خلال تناوله لمقتل الأمير الصليبي جيرفاس الجاسلي Gervase of Basil ، والذي وصفه بأنه الأمير الثالث من أمراء الجليل من أسرة تانكرد 'Tancred' ، وذكر عنه أنه انتمى الى بيت عريق في نبالته وأنه قد تم تسليمه لطفتكين المنتصر ملك الشام وأقنيد أسيرا الى دمشق^(١٢) .

وتعكس رواية فتيلاوس مرحلة هامة من مراحل الصراع العربي بين أتابكية دمشق وأمراء الجليل في صورة جيرفاس في حوالي عام ١١٠٧ م ، ويلاحظ أن المصادر التاريخية العربية المعاصرة وصفت ذلك الأمير الصليبي بأوصاف تدل على علو كعبه في مجال الفروسية ورباطة جأشه ، فابن القلانسي على سبيل المثال يذكر عنه أنه « من مقدمى الفرنج المشهورين بالفروسية والشجاعة والبسالة وشدة المراسى » ، يجرى مجرى الملك بفدوين في التقدم على الأفرنج^(١٣) ، ويبدو أن تلك الأوصاف مثلت حقيقة واقعة على نحو أن المصادر العربية المعاصرة اعترفت بذلك صراحة دون موارد .

وقد قام طفتكين بمهاجمة أملاك إقليم الجليل في عهد حكم جيرفاس ، وبلغت قوة جيش دمشق نحو أربعة آلاف رجل ، وصل الى نواح من طبرية ، ونصب المسلمون لأعدائهم عدة كمائن ، وقام طفتكين بمناورة مفادها أن جعل قسما من قواته يلوذ بالفرار^(١٤) ليخدع الصليبيين ، وقام جيرفاس وقواته بقتبع ذلك القسم ، ولم ينتظر وصول الامدادات اللازمة لذلك ، فكانت النتيجة الحتمية الحاق الهزيمة بقواته وسقوطها بين قتيل وجريح وأسير^(١٥) ، بل ان الأمير الصليبي جيرفاس سقط أسيرا يرسف في أصفاده - في أيدي المسلمين^(١٦) .

ونظرا لعلو شأن ذلك الأمير الصليبي ، فقد أرادت أتابكية دمشق أن تتخذ ورقة رابحة للمساومة السياسية مع مملكة بيت المقدس الصليبية ، وقد عرض طفتكين أن يسلم جيرفاس للصليبيين في مقابل انسحابهم من طبرية وعكا وحيفا ، ونظرا للأهمية الاستراتيجية لكافة تلك المناطق التي بذل الصليبيون جهودهم الجهد من أجل إخضاعها ضمن سياستهم حيال الساحل الشامى بصفة عامة ، فقد رفض الملك الصليبي بلدوين الأول Baldwin I (١١٠٠ - ١١١٨ م) ذلك العرض .

وقد جاء رفض مملكة بيت المقدس الصليبية ايدانا بفشل محاولة أتابكية دمشق استثمار ذلك الأسير النبيل لصالحها ، وعندما أيقن طفتكين أنه لن يربح من ورائه أية مكاسب سياسية تدعم مركزه أمام رعاياه وتقوى أتابكيته في خضم الصراع الاسلامى - الصليبي ، أمر بقتله رميا بالسهم^(١٧) ، وتم وضع رأسه على حربه تصدرت مقدمة الجيش الدمشقي الذي دخل دمشق مكللا بأكاليل النصر^(١٨) .

وقد اعتبر الصليبيون - بطبيعة الحال - ذلك الأمير شهيدا مات من أجل الرب ، وهذا ما قرره فتيلوس نفسه في رحلته ، والواقع أن ايراد ذلك الرحالة لحادثة قتل جيرفاس والتي جرت على الأرجح عام ١١٠٧م بينما زار فتيلوس المنطقة بعد أعوام عديدة يدل على أن تلك الأحداث ظلت ترددها الألسن على امتداد تلك السنوات بحيث ارتبطت ذكره بالمنطقة طبرية خاصة واقليم الجليل بصفة عامة ، وعندما قدم ذلك الرحالة الى المنطقة وجد سيرة ذلك الأمير الصليبي لا تزال حية في عقول الفوم فأورد ذكره بتلك الصورة التي أوردها في ثانيا رحلته .

ويلاحظ أن حجم اشارته في هذا الشأن تتفق في خطوطها الرئيسية مع ما أورده المؤرخ الدمشقي المعاصر ابن القلانسي ، ومع ذلك فإنه لم يقدم تفاصيل مسهبة عن جيرفاس ، ومرجع ذلك في تصورى يعود الى أنه قدمه من خلال اشاراته عن طبرية واقليم الجليل بصفة عامة ، ولم يكن هناك مجال أمامه ليقدم أية تفصيلات فضلا عن أن مرور سنوات عديدة على الحادثة نفسها جعل أمر ايرادها بصورة مقتضية وضع منطقي وطبيعي .

وبالاضافة الى ذلك ، احتوت الرحلة على تناول لبعض الجوانب الحربية الهامة، فقد اشارت الى هيئة الداوية Templars ، وذكر فتيلوس أنه عند معبد سليمان يوجد هناك سكن أولئك الجنود المحدثين^(١٩) ، ولعل هذه تعد حقا من أولى الاشارات عن تلك الهيئة التي لعبت دورا حريبا هاما في الصراع الصليبي - الاسلامى ، ولم يقدم لنا ذلك الرحالة مادة مفصلة عنها ، ويبدو أن تعليل ذلك أنها كانت لا تزال في طور النمو في المرحلة المبكرة لتأسيسها ، و لا نزاع في أن مرور عدة سنوات على قيامها لم يجعل لها دورا كبيرا بحيث لم يكن من الممكن أن يتم تناولها بصورة أكثر تفصيلا ، مع ملاحظة أنه من الآن فصاعدا سنجد أن الرحالة الأوروبيين سوف يشيرون اشارات متباينة الى تلك الهيئة ، والهيئة الأخرى المنافسة لها ونعنى الاسبتارية .

والى جانب ذلك ، وردت فى الرحلة بعض الاهتمامات بالعلاع الصليبية التى شيدها الصليبيون فى كافة أنحاء المملكة الصليبية لتعويضهم نقص العنصر البشرى وتدعم سيطرتهم على البلاد وتمكنهم من شن هجماتهم على الأعمال الاسلامية المجاورة ، وفى هذا المجال أشار فتيلوس الى وجود عدة قلاع مجاورة لمدينة طبرية Tyberias أو Cynereeth ، غير أنه لم يذكر أسماءها أو مواقعها بدقة فجاءت اشارته متسمة بطابع تعميمى ، ومع ذلك فتعرف أن تلك القلاع المجاورة لطبرية والتى وقعت فى اقليم الجليل هى قلاع الفولة ، وهونين ، وتبنين وحسبد ، وكوكب ، وجسر بعات يعقوب^(٢٠) ، ولا نزاع فى أن تلك المجموعة من القلاع شكلت خطا دفاعيا هاما ومؤثرا عن ذلك الاقليم ، فضلا عن كونها مراكز هجومية بالطبع .

وأضف الى ذلك أنه تناول بالحديث القلعة التى بناها راييموند الرابع كونت تولوز Raymond IV Count of Toulouse وهو الملقب برييموند الصنجيلى Raymond of St. Giles^(٢١) . وذلك عندما عمل على اسقاط طرابلس واقسم وصفه لها بالاقتضاب دون ذكر موقعها وأهمية دورها فى حسم الصراع حول طرابلس لصالح الصليبيين .

ويلاحظ أن ريموند الصنجيلى بعد أن تمكن من اخضاع جبيل عام ١١٠٤م ، زاد اصراره على الاستيلاء على طرابلس ، وقد اتجه الى تشييد قلعة حصينة تواجه المدينة ، واختار الضفة اليسرى من نهر قاديشا ، وهى المعروفة حاليا بقلعة أبى سمرة ، وعرفت بقلعة الحاج Mount Pilgrim^(٢٢) ، وهدف من وراء اقامتها مراقبة اوضاع طرابلس ، وتشديد حصاره لها ، وتمكن من الحصول على معونة الامبراطورية البيزنطية ، فقدمت له العمال المهرة والمساعدات اللازمة ، وفى عام ١١٠٤م صارت القلعة مكتملة البناء ، وغدت تمثل تهديدا حقيقيا لبنى عمار حكام طرابلس^(٢٣) ، وبالفعل كانت من العوامل التى اعانت الصليبيين على اخضاع طرابلس فى نهاية المطاف بعد أن دام حصارها نحو سبع سنوات .

أما اذا اتجهنا الى الاهتمامات الاقتصادية فى رحلة فتيلوس ، فنجد أن ذلك الرحالة اهتم بمصادر المياه خاصة الأنهار ، ويلاحظ هنا أن مثل هذا الاهتمام نجده لدى العديد من الرحالة الأوربيين الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية خلال تلك المرحلة ، وفى هذا الشأن على سبيل المثال اهتم بايراد ذكر أحد الأنهار فى بلاد الشام ونعنى به نهر العاصى Orontes ، وقد أسماه المسلمون

بالعاصى لأنه يخرج من ديار الاسلام ويعصى أمر المسلمين ويتجه الى ديار
الروم ، وقد أطلق ذلك الرحالة تسمية فارفار (Pharphar) ^(٢٤) ، Far Far ^(٢٥)
على ذلك النهر ، وذكر أنه نبع من أسفل جبل لبنان ، واخترق مجراه مناطق متعددة
من بلاد الشام مثل ربلاتا Reblata ^(٢٦) أو أنطاكية Antioch وامتد الى قرب
أسوار المدينة الأخيرة الى أن يصل الى البحر المتوسط ، حيث توجد مدينة سوليم
Solim ^(٢٧) ، أو القديس سيمون St. Symeon وقد بعدت عشرة أميال
عن أنطاكية ، ومثلت الميناء الحيوى الهام لتلك الامارة الصليبية ، مع عدم اغفال
دور ميناء اللاذقية Latakia بطبيعة الحال .

ومن الطبيعى أن نوضح أن نهر العاصى مثل أهمية كبرى لتلك الامارة
الصليبية وخاصة من الزاوية الاقتصادية ، ومن ثم حرص ذلك الرحالة على ايراد
ذكره فى رحلته مثل تلك الصورة .

وأضافة الى ذلك ، اهتم فتيلوس بالجانب التجارى ، ومن الممكن أن نلمس
اهتمامه بتلك الناحية من خلال اشارته الى النشاط التجارى فى المدن الصليبية
الساخية وكذلك نشاط بعض المراكز التجارية لا سيما فى اقليم الجليل .

وتجدر الإشارة الى أنه عندما تناول مدينة عكا Accon ، ذكر أنه يصل
اليها عدد ضخم من السفن يفوق أى ميناء آخر على ساحل البحر المتوسط ^(٢٨) ،
ويلاحظ أنه يصفه هنا على أنه بحر المسيحيين The sea coast of
the Christians ، على اعتبار أن الصليبيين على مدى الثلاثين عاما الأولى من القرن
الثانى عشر م عملوا على اخضاع ذلك الساحل لسيادتهم السياسية ، مع عدم اغفال
أن، عسقلان لم تكن قد سقطت بعد فى قبضتهم . ويبدو أن فتيلوس لم يفقه ذلك ،
لأنه يذكر أن عكا تفوق بالسفن التى تصل الى مينائها أى ميناء آخر على ساحل
البحر من عسقلان الى جبل طوروس Mount Taurus ^(٢٩) ، اذا أنه فى حالة
خضوع عسقلان لسيطرة الصليبيين حينذاك ، لذكر امتدادا جنوبيا أبعد من ذلك
الذى ذكره فى رحلته .

وقد تناول النشاط التجارى لميناء عكا على اعتبار أن الامدادات والسلع التجارية
الأساسية تصل اليه من افريقيا وأوربا ، وهنا نجد أن اشارته عن أهمية ذلك الميناء
لالصليبيين تشبه أوصاف رحلة يوحنا فوكاس Joannes Phocas ^(٣٠) الذى أوضح
تفوق عكا تجاريا وتزايد الكثافة السكانية بها ، ولاحظ أن رواية فتيلوس تتضح

أهميتها من خلال ملاحظة أنه لا يذكر أهمية ميناء عكا بالنسبة لحركة الصادرات التي تخرج من بلاد الشام الى المناطق الاستهلاكية في حوض البحر المتوسط ، بل من حيث أهمية ذلك الميناء الحيوى في استقبال السلع التجارية الأساسية التي احتاجها الصليبيون أنفسهم ، والتي استقدموها من أفريقيا وأوروبا^(٣١) ، وهكذا مثل ذلك الميناء نقطة بالغلة الأهمية بالنسبة لحركتى الصادرات والواردات في مملكة بيت المقدس الصليبية على نحو دعم اقتصادياتها .

وكامتداد لتناوله لازدهار النشاط التجارى في مدن الساحل الشامي ، ذكر فتيلس مدينة بيروت بما يفيد بأنها مدينة بالغة الثراء^(٣٢) ، ومن الطبيعى تصور أن ذلك الثراء جاء من خلال دورها في حركة التجارة ، ففيها استقر التجار البنادقة والجنوية وغيرهم من التجار الأوربيين من أجل عقد الصفقات التجارية وضمان وصول السلع التجارية من مصادرها الى المدن الاوربية التي استوردتها ، فضلا عن أن تلك المدينة عدت منفذا لتوزيع السلع التجارية من المناطق الداخلية في بلاد الشام والتي لم تقع على الساحل ، ومن أمثلة ذلك أنها عدت منفذا لتصدير منتجات دمشق

أما بالنسبة للمراكز التجارية في المناطق الداخلية ، فقد قدم اشارة قبمة الى احدى المراكز التجارية الهامة في اقليم الجليل ونعنى بذلك المسدان^(٣٣) أو السهل الفسيح المعروف باسم أرض السوق عند حوران ، ويظهر في تلك المنطقة مجرى نهر اليرموك بوضوح ، ويقع ذلك النهر في منتصف تلك البقعة ، ويقرر فتيلوس أن عددا كبيرا من الناس يقدمون الى ذلك الموقع في صيف كل عام ومعهم كافة السلع التجارية لبيعها^(٣٤) ، وهكذا فإنه قدم لذا اشارة هامة عن أحد الأسواق التجارية الموسمية الهامة الواقعة عند منطقة يلتقى فيها حدود مملكة بيت المقدس الصليبية مع أملاك المسلمين التابعة لأتابكة دمشق ، ويبدو أن حركة ذلك السوق كانت على درجة كبيرة من النشاط والازدهار ، بحيث أن فتيلوس عندما زار المنطقة حرص على إبراز ذلك الأمر بوصفه حقيقة واقعة ضمن النشاط الاقتصادي التجارى للمملكة بيت المقدس الصليبية خلال ذلك الحين .

ومن الممكن ملاحظة أهمية ذلك السوق من خلال توقيته وموقعه ، واغترض هايد Heyd ، أنه أقيم عند وصول القافلة القادمة من مكة ، وفي مستهل الصيف كان عدد كثير من المسلمين يهرع من كافة المناطق ، حتى من بلاد ما بين النهرين ، الى تلك المنطقة^(٣٥) ، والتي يسميها سهل موزرب Mauzarib ، ويقضى تحت الخيام

طوال مدة اقامة السوق فى فصل الصيف ، ويقرر أيضا أنه من المحتمل أن عناصر من التجار من الغرب الأوربي قد اشتركت فى السوق على اعتبار أن المنطقة كانت معروفة لدى الصليبيين باسم سويتا Sueta ، ومثلت قسما من مملكة بيت المقدس عند أقصى امتداد لها فى مواجهة دمشق^(٣٦) ، ويلاحظ أنها بعدت عن طبرية بنحو ستة عشر ميلا^(٣٧) ، ووصفت بأنها وقعت بالقرب من بحيرة الحولة ، ومن المرجح أنها عدت من أهم المراكز التجارية المجاورة لاقليم الجليل بصفة عامة .

وهكذا ، فمن الممكن أن نخلص من ذلك الى حقيقة هامة وهى أن ذلك السوق اشتركت فيه عناصر متعددة من التجار من بلاد العراق والشام وكذلك من القارة الأوربية مما يعكس اتساع نطاق التعاملات التجارية فيه ، ولا تغفل أيضا ناحية هامة، ألا وهى أن طول مدة انعقاده وهى التى شملت أشهر الصيف عكست - بلا ريب - مدى ازدهار المنطقة تجاريا بحيث أن ذلك السوق استغرق عقده طوال تلك المدة ومن المتصور أن وجوده فى منطقة حدودية وعند نقطة تلتقى فيها الحدود الإسلامية مع الصليبية قد ضمن له مكانة خاصة حيث تبادل كل جانب ما افتقر اليه ووجد لدى لطرف الآخر .

والجانب الهام الذى ينبغى أن نلاحظه هنا، أن العداء والصراع الإسلامى - الصليبي على المستوى الحربى لم يوقف التعاملات التجارية التى استمرت لأن كلا من الجانبين احتاج اليها لدعم ميزانيته واقتصاديه بصفة عامة ، ولم يكن فى امكان أى طرف من الجانبين أن يرفع سلاح المقاطعة التجارية حينذاك فى وجه الآخر .

ولا نزاع فى أن مثل تلك الأسواق الموسمية كانت ذات صفة دولية ، ولم تكن ات طابع محلى فقط ، وفيها عقدت صفقات البيع والشراء ، والمبادلة بالنقد والمقايضة، كذلك البيع المؤجل الدفع^(٣٨) الى نحو ذلك ، ويبدو أن مثل ذلك السوق الذى أشار اليه فتيلوس قد أدى الى الازدهار التجارى للمنطقة التى وجد فيها على نحو خاص ، من المحتمل أن ذلك استتبع نوعا من المظاهر العمرانية اللازمة والناجمة عن ذلك نشاط التجارى ، وهذا ما يمكن ن نخرج به من خلال اوصاف رحالة أوربيين آخرين أروا نفس المنطقة ووصفوا ذات السوق ، ومن أمثلتهم اثنين من الرحالة الألمان هما يوتشنا الورزبرجى John of Wurzburg وثودريش Theoderich لا حدال فى أنه بعد مرور نصف قرن من بعد وصف فتيلوس ازدهر ذلك السوق والمنطقة تحيط به بصورة واضحة .

وإذا نحينا الجوانب السياسية والاقتصادية ، وجدنا أن ذلك الرحالة اهتم - مثل غيره من الرحالة الأوروبيين - بالجانب الدينى الكنسى على نحو خاص ، وقد أشار إلى العديد من الكنائس مثل كنيسة القديس كاربثوس^(٣٩) St. Karithoth ، وكنيسة القديسة مريم St. Mary^(٤٠) ، وكنيسة القديسة آن St. Anne^(٤١) ، وكذلك كنيسة عند جبل صهيون للقديسة مريم^(٤٢) St. Mary of Mount Sion ، ويلاحظ أن الأخيرة بنيت على أيدي الصليبيين ، وهى تقع (حاليا) عند موقع متصل بالنبي داود David ، فضلا عن ذلك ، هناك كنيسة القديسة مريم المجدلية St. Mary Magdalene ، وكنيسة القديس يوحنا المعمدان St. John The Baptist^(٤٣) ، واحتوت الأخيرة على عشرين راهبا يونانيا .

ومن الواضح من خلال ما ذكره ، أن هناك بعض الكنائس وجدت من قبل مقدم الصليبيين والبعض الآخر شيدت بعد خضوع المدينة لسيطرتهم .

وهكذا ، أفادت رحلة فتيلوس فى القاء الضوء على الجوانب السياسية لمملكة بيت المقدس الصليبية ، وعلاقاتها الخارجية بالقوى الاسلامية المجاورة ، وكذلك الأنشطة الاقتصادية للمملكة ولا سيما التجارية على نحو خاص بالاضافة الى اهتمامها بالجانب الدينى الكنسى بطبيعة الحال .

الهوامش :

(١) اعتمدت في اعداد هذا الفصل على الترجمة الانجليزية لرحلة فتيلوس
Fetellus ، والعنوان الأصلي للرحلة هو :
Tractatus de distantus locorum terrae sanctae.

ويقرر جون رايت John Wright أن النص الأصلي للرحلة يوجد في
الباترولوجيا اللاتينية مجلد ٢٠٤ من ١٠٢٧ الى ١٠٥٤ .
Migne, P.L., Vol. CIV, Cols. 1937- 1054.

انظر اشارته :

John Wright, The Geographical Lore of the time of the Crusades, P. 514.

غير أن هذا القول - على ما يبدو - جانبه الصواب ، إذ لا توجد رحلة فتيلوس
في المجلد المشار اليه لدى جون رايت ، والأصح أن الرحلة توجد في نصها الأصلي
في الباترولوجيا اليونانية مجلد ٢٢٣ من ٩٩١ الى ١٠٠٤ ، انظر :
P.G. Vol. CVVVIII, Cols. 991 1004.

وقد أشار الى ذلك روهريشت Ruhricht في دراسته الهامة عن : قائمة
تقويمية لأدب الأرض المقدسة من خلال الجغرافيا ، انظر :

Ruhricht, Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Hei-
ligen Landes Bezuglichen Literatur, Von 333 Bis 1878, Berlin 1890, P. 34.

وهناك ترجمة فرنسية للرحلة قام بها م دي فيجويه M. de Végüé وقد ضمنها
كتابه كنائس الأرض المقدسة والذي صدر في باريس عام ١٨٦٠م على مدى الصفحات
من ٤١٢ الى ٤٣٣ :

M. de Végüé, Les Eglises de la Terre Sainte, Paris 1860. PP. 412 433.

أما الترجمة الانجليزية والتي اعتمدت عليها فقد قام بها ماكفرسون
Macpherson ضمن مجموعة P.P.T.S. الجزء الخامس وصدرت في لندن
عام ١٨٩٦م ، انظر :

Fetellus, Description of The Holy Land, Trans. by J.R. Macpherson,
P.P.T.S., Vol. V, London 1896.

وقد اعتمد ماكفرسون على الترجمة الفرنسية التي قام بها م دي فيجويه ،
عن الرحلة واهتمام الباحثين بها انظر :

Tobler, Bibliographie, P. 16.

Ruhricht, Chronologisches, PP. 33 35.

Fetellus, P. V.

(٢)

Ibid, P. VI VIII.

(٣)

وفي هذا المجال يقرر ماكفرسون ما نصه :

«The only fact ascertained about him being that he was Archdeacon of Antioch about 1200».

Beazley. Vol. II, P. 186. أنظر أيضا :

Fetellus, P. VI. (٤)

ويقول ماكفرسون ما نصه :

«Its date may thus be placed about 1130».

Tobler, Op. Cit., P. 16. (٥)

Fetellus, P. 39. (٦)

ويحاول بيذلي أن يجعل رحلة فتيلوس الى بيت المقدس قد جرت مباشرة بعد تأسيس الداوية ، غير أن هذا الرأي لا ينطوي على الحقيقة في شيء ، لأن تعبير الفرسان المحدثين لا يعنى أن الرحلة جرت بعد تأسيس الهيئة المذكورة مباشرة .

أنظر اشارته :

Beazley, Vol. II, P. 186.

(٧) عن ذلك أنظر :

William of Tyre, Vol. I, P. 81.

ابراهيم خميس ، العلاقات السياسية بين جماعة الفرسان الداوية والمسلمين في مصر والشام (١١٩٣ - ١٢٩١ م / ٥٨٩ - ٦٩٠ هـ) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٧ م ، ص ٤٧ .

Fetellus, P. VI. (٨)

وفى ذلك يقرر ماكفرسون ما نصه :

«The allusions to King Fulke and King Baldwin III being added by a later writer».

(٩) عنوان ما نشره ليو الاتيوس Leo Allatius هو :

Sive Opuscul. Grac. etc. Cologne 1653.

Tobler, Op. Cit., P. 16. أنظر :

Fetellus, P. VIII. وتقديم ماكفرسون

Ibid, P. VII. (١٠)

Fetellus, P. 27. (١١)

وعن الاسرة البورية ومؤسسها ظهير الدين طفتكين انظر :

ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق محمد محيي الدين د الحميد ، ج ٢ ، ط ٠ القاهرة ١٩٤٨م ، ص ٢٧١ ، الذهبي ، العبر في خير من غير ، ٤ ، ط ٠ الكويت ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ، وفاء محمد علي ، الدولة البورية ودورها في سر الحروب الصليبية ، ط ٠ القاهرة ١٩٨٤م ، شاكر مصطفى ، « طفتكين رأس سر البورية » ، مجلة كلية الآداب - جامعة الكويت ، العدد الأول ، عام ١٩٧٤م ، ن بول ، تاريخ دول الاسلام ، ت ٠ أحمد السعيد سليمان ، ج ٢ ، ط ٠ القاهرة ١٩٧٢م ، ٥٤ ، زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ٠ زكي حسن وحسن محمود وآخرون ، ج ١ ، ط ٠ القاهرة ١٩٥١م ، ص ٤٦ ، محمد مي محمد أحمد ، مصر والشام والصليبيون ، ط ٠ القاهرة ١٩٧٩م ، ص ٧٣ ، كرد ي ، خطط الشام ، ج ١ ، ط ٠ دمشق ١٩٢٥ ، ص ٣٠٥ .

Alptekin, Dimask Atabeglisi (Tog-Teginliler), Istanbul 1985, Omar Hist. of The art of war, Vol. I, P. 256, note (1).

Fetellus, P. 27. (١٢)

(١٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق زكار ، ص ٢٥٨ .

(١٤) ليلي طرشوبى ، اقليم الجليل فترة الحروب الصليبية ، ص ٦٦ - ص ٦٧ .

Ibid. P. 27. (١٥)

(١٦) ليلي طرشوبى ، المرجع السابق ، ص ٦٧ .

Ibid. P. 27. (١٧)

(١٨) وعن جيرفاس وأسرته وقتله ، انظر :

العظيمى ، تاريخه ، ص ٢٩ .

Archer, The Crusades, London 1894, P. 139.

Stevenson, The Crusaders in the east, P. 50.

Runciman, A History of the Crusades, Vol. II, P. 96.

Alptekin, Op. Cit., P. 33-35.

Fetellus, P. 39. (١٩)

Ibid, P. 29. (٢٠)

وقد وقعت قلعة الفولة الى الجنوب من الناصرة والى جانب اسم الفولة عرفت

باسم آخر ألا وهو الباقلا أو باسم فابا Faba وفى المصادر التاريخية الصليبية، عرفت باسم La Feve Afula ، ونعرف أن هيئة الداوية أخضعت لها تلك القلعة ، ويبدو أنها مثلت إحدى القلاع الهامة بالنسبة لهم فى إقليم الجليل ، ويقرر العماد الكاتب الأصفهاني أنها كانت بالنسبة للصليبيين والداوية على نحو خاص « ذخائر كنائسهم وأخاير نفائسهم وسبايك نضارهم وكرايم اعلاقهم » ، وقد تمكن المسلمون من اخضاعها لسيادتهم فى عام ١١٨٧م ، عنها أنظر :

ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٩٢٤ ، ابن العديم زبدة الحلب ، ج٣ ، ص ٧٣ ، الفتح البندارى ، سنا البرق الشامى ، تحقيق فتحية النبراوى ، ط٠ القاهرة ١٩٧٩م ، ص ٣٠٢ ، الحنبلى ، شفاء القلوب ، ورقة (٣٤) .

Le Strange, Palestine under Islam, P. 441.

Runciman, Op. Cit., P. 453.

Stevenson, Op. Cit., P. 250.

أما قلعة هونين Hunin فقد وقعت فى جبال عاملة قرب يانياس وبعثت عنها بمسافة تبلغ نحو ثلاثة فراسخ ومثلت مع قلعة جسر بنات يعقوب خطا دفاعيا تحكم فى روافد الأردن العليا ، وعمل المسلمون على شن العديد من الهجمات عليها بغية اسقاطها واخضاعها فى قبضتهم ، ومن أمثلة ذلك ما حدث فى عهد نور الدين محمود حيث هاجمها المسلمون فى عام ١١٦٧م ، غير أنها لم تسقط الا عام ١١٨٧م ويبدو أنها عادت الى السيادة الصليبية فيما بعد ولم يستردها المسلمون بصورة نهائية الا فى عهد الظاهر بيبرس فى عام ١٢٦٥م .

عنها أنظر :

ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٠٠ ، ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك ، ص ٤٨ ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢١١ ، القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج٤ ، ص ١٤٤ ، الخالدى ، المقصد الرفيع ، ورقة (٩٧) ، نبيلة مقامى ، فرق الرهبان الفرسان ص ٨٦ -

Le Strange, Op. Cit., P. 456.

Runciman, Op. Cit., P. 469.

Stevenson, Op. Cit., P. 309.

King, The Knights Hospitallers in The Holy Land, London 1930, P. 132.

أما فيما يتصل بقلعة تبنين Toron فقد وقعت على بعد سبعة عشر ميلا من يانياس الى الجنوب الشرقى منها فى مواجهة ساحل صور ، وهناك اختلاف حول تاريخ تشييدها ، فيقرر وليد الصورى أن ذلك تم فى عام ١١٠٤م بينما اعتقد البرت الاكسى أن عام ١١٠٧م هو التاريخ المحدد لذلك ، وهناك رأى آخر اعتقد به العلامة سعيد عاشور ، أن ذكر أن حصن تبنين ارتبط بحصن عال وهو الذى بناه الصليبيون فى المنطقة نفسها عام ١١٠٥م ، ويبدو - بصفة عامة - أن أوائل القرن الثانى عشر قد شهدت اقامة ذلك المعقل الصليبي الهام .

ويبدو أن القلعة اُردهرت من خلاا طبيعة المنطقة الواقعة فيها ، اذ انتعش فيها النشاط الاقتصادي لاسيما الزراعى والتجارى ، وعندها كانت تفرض المكوس على تجار العبور المسارة بملك المنطقة الحاضعة للسيادة الصليبية وقد أشار الى ذلك الرحالة ابن جبير ، وجدير بالاشارة ان هيئة الاسبتاريه اخضعت القلعة لسيطرتها فى عام ١١٥٧م وسقطت فى قبضة المسلمين فى عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٧م ، غير أنه عادت للسيطرة الصليبيين ولم تسقط فى قبضة المسلمين بصورة نهائية الا عام ١٢٦٦م فى عهد السلطان الظاهر بيبرس .

عنهما أنظر : William of Tyre, Vol. I, P. 469.

ياقوت ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٨٢٠ ، ابن جبير ، المصدر السابق ، ص ٢١٠ ، ابن شداد ، الاغلاق الخطيرة ، ج٢ ، ص ١٥٢ ، الحنبلى ، المصدر السابق ، ورقة (٣٤) ، الخالدي ، المصدر السابق ، ورقة (٩٧) ، عاشور ، الحركة الصليبية ، ج٢ ص ١١٤٦ .

Runciman, Op. Cit., P. 324—325:

Riley-Smith, The Feudal Nobility in the Latin Kingdom of Jerusalem, London 1973, P. 198.

أما قلعة صفد ، فقد وقعت على بعد ثمانية أميال من بحيرة طبرية ، فى الجهة الغربية منها ، على الطريق الرئيسى المتجه الى دمشق ، ومن ثم فقد اعتبرت مفتاح طريق دمشق ، وبصفة عامة اشرفت القلعة على اقليم الجليل وعدت من أقوى وأمنع القلاع الصليبية ، وعهد الصليبيون بأمر الدفاع عنها لهيئة الداوية ، وذكر عز الدين ابر شدداد أن ذلك تم فى عام ٤٩٥هـ وهو يوافق عام ١١٠٢م ، ونقل عنه العثمانى ذلك فى كتابه تاريخ صفد دون تمحيص ، وانتقل الأمر الى طه ثلجى الطراونة ، والواقع أن هذا الرأى يفتوى على مغالطة واضحة ، اذ أنه فى ذلك العام لم تكن هيئة الداوية قد ظهرت الى حيز الوجود بعد ، اذ أن تأسيسها قد حدث عام ١١١٨م اعتمادا على وليم الصورى نفسه ، ويلاحظ أن تلك القلعة سقطت فى قبضة المسلمين فى عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٨م بعد حصار طويل ، ويبدو أنها عادت فيما بعد للسيطرة الصليبية ، وبصفة عامة سقطت بصورة نهائية فى عهد السلطان الظاهر بيبرس عام ١٢٦٦م .

عن قلعة صفد أنظر :

ابن شداد ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٨٥ ، العثمانى ، تاريخ صفد ، ص ١٧٩

William of Tyre, Vol. I P. 524.

Ernoul, Ernoul's account of Palestine, Trans by Conder, P.P.T.S., Vol, VI, London 1896, P. 51.

طه ثلجى الطراونة ، مملكة صفد فى عهد المماليك ، ط٠ بيروت ١٩٨٢م ، ص ٨٥ ، عاشور ، العصر المماليكى فى مصر والشام ، ط٠ القاهرة ١٩٦٥م ، ص ٦١ ، قاسم عبد ، قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ص ١٥٩ ، ليلى طرشوبى ، المراجع السابق ، ص ٨٤ - ص ٨٧ .

• أما فيما يتصل بقلعة كوكب ، فنعرف أنها وقعت جنوب شرق إقليم الجليل ، وأشرفت على ضفتي نهر الأردن شمالي وادي بيسان ، وعرفت في المصادر الصليبية باسم Belvoir ، أما المصادر العربية فنجد الاسم كوكب الهواء ، ولا جدال في أنها عدت من أهم الفلاع الصليبية في إقليم الجليل . ويعود تشييدها إلى عهد الملك الصليبي فولك الانجوى Fulk of Anjou وذلك في عام ١١٤٠ م ، وعهد بها الملك عموري Amaury إلى هيئة الاستبارية في عام ١١٦٨ م ، وقد وصفت بأنها كانت صغيرة الحجم ومشيده على النمط المعماري البيزنطي ، واحاط بها سور خارجي مربع الشكل واحتوت على عدة أبراج ، وبصفة عامة سقطت قلعة كوكب الهواء عام ١١٨٧ م في أعقاب معركة خطين ، وعادت فيما بعد لسيطرة الصليبيين ، ثم استردها المسلمون في عهد السلطان الظاهر بيبرس عام ١٢٦٢ م .

عن قلعة كوكب الهواء ، انظر :

ابن شداد ، النواذر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق الشيال ، ط . القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ٧٨ - ص ٧٩ ، العماد الأصفهاني ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق صبيح ، ط . القاهرة ١٩٦٥ م ، ص ١٢٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢٢ ، ابن شاهنشاه الأيوبي ، مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق حسن حبشي ، ط . القاهرة ١٩٦٨ م ، ص ٦٥ - ص ٦٦ ، الحنبلي ، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، ج ٢ ، ص ٣٥٦ ، السلامي ، مختصر التواريخ ، ورقة (٦٠) ، عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٦٩٣ ، نبيلة مقامى ، المرجع السابق ، ص ٨٣ ، ماهر حمادة ، وثائق الحروب الصليبية ، ط . القاهرة ١٩٧٩ م ، ص ١٧٧ - ص ١٧٨ ، ليلي طرشوبى ، المرجع السابق ، ص ٩٠ - ص ٩٥ .

أما بالنسبة لقلعة جسر بنات يعقوب فتعرف بحصن يعقوب أو بيت الأحزان ، أما في المصادر الصليبية فتعرف باسم Jacobs Ford ، وقعت إلى الجنوب من مدينة دمشق ، على الطريق بين طبرية وصفد من ناحية ، ودمشق من ناحية أخرى . واحتلت بذلك موقعا استراتيجيا هاما وشكلت مركزا لتهديد مدينة دمشق وتحكمت في طريق القوافل التجارية المارة في المنطقة . أما تاريخ بنائها فهناك من يعتقد بأن ذلك يرجع إلى عهد الملك الصليبي بلدوين الرابع Baldwin IV (١١٧٣ - ١١٨٥ م) ، وخضعت لسيطرة عناصر فرسان الداوية ، وقد قام المسلمون بمهاجمتها وأسر عدد كبير من فرسان الهيئة المذكورة وذلك في عام ١١٧٩ م .

عن قلعة جسر بنات يعقوب انظر :

ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ ، الحنبلي ، المصدر السابق ، ورقة (٢٦) ، مصطفى الحيارى ، « حصن بيت الأحزان ، جانب من العلاقات بين المسلمين والفرنجة الصليبيين » ، مجلة دراسات ، م (١٣) ، العدد (٤) ، عمان ١٩٨٦ م ، ص ٣٩ - ص ٦٠ ، يوسف الدبس ، تاريخ سوريا ، ج ٦ ، ط . بيروت ١٩٠٠ م ، ص ٩٢ ، ج ٦ ، صلاح الدين الأيوبي ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ت . أبيش ، ط . بيروت ١٩٧٣ م ، ص ١٣١ ، حامد غنيم ، الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية ، ص ١٠٠ .

Stevenson, Op. Cit., P. 215, P. 221.

Fetellus, P. 33.

(٢١)

(٢٢) ولا تزال بقايا تلك الفلعة باقية الى الآن في طرابلس بشمال لبنان ، عنها
أنظر :

الادريسي ، نزهة المشتاق ، جزء ، ص ٣٧٣ .

William of Tyre, Vol. I, P. 454.

Fedden, Crusader Castles, Beirut 1957, P. 24.

Grousset, Histoire des Croisades, T. I, Paris 1934, PP. 341—343.

سمائل ، الحروب الصليبية ، ص ٢١٢ — ص ٢١٤ .
محمد محمد الشيخ ، الامارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر
والثاني عشر الميلاديين ، ط ١٠ الاسكندرية ١٩٨٠ م ، ص ٢٣٩ .

(٢٣) نفسه ، نفس المرجع ، ص ٢٤٠ .

Fetellus. P. 24.

(٢٤)

Ibid, P. 24.

(٢٥)

وعن ذلك النهر أنظر :

ناصر خسرو ، سفر نامه ، ص ٤٨ ، الخالدي ، المصدر السابق ، ورقة (٨٩) .

Ibid, P. 25.

(٢٦)

ويذكر ماكفرسون Macpherson ، أن كلمة Reblata هي Riblah ، ويذكر
أن الاحيرة قد وردت في العهد القديم في سفر الملوك الثاني ، وأنها وقعت على الضفة
الشرقية من نهر العاصي ، وعلى بعد خمسة وثلاثين ميلا شمال شرق بعليك ، ويقرر
أن نديانوس يكرر الخلط بين ربلاتا Reblata وأنطاكية Antioch ، ويأخذ عليه
ذلك ، غير أن الواقع عكس ذلك — على ما يبدو — إذ أن فوشيه الشارترى ووليم
الصورى ، يذكر كل منهما في تاريخه عند تناوله لأنطاكية أن اسمها السابق هو ربلاتا
Reblata وقد فات ماكفرسون ملاحظة أن كلمة ربلاتا قد وردت تالية لكلمة أنطاكية
في نص الرحلة مما يدل على الأرجح أنهما مترادفتان وتدلان على موقع واحد محدد
الآن وهو أنطاكية .

عن الاشارات التي وردت فيها ربلاتا في الرحلة :

Ibid, P. 25, P. 37.

Ibid, P. 37 note (6).

وأنظر تعليق ماكفرسون

وبشان ما ورد لدى فوشيه الشارترى ووليم الصورى أنظر :

Fulcher of Chartres, P. 92.

William of Tyre, Vol. I, P. 199.

وعلى الرغم من ذلك لا يورد داوونى فى كتابه المتخصص عن أنطاكية تلك التسمية فى الملحق الخاص باسم أنطاكية .

عن ذلك الملحق أنظر :

Downey, A History of Antioch in Syria, from Seleucus to the Arab conquest, Princeton 1961, P. 581—582.

Fetellus, P. 25.

(٢٧)

Ibid, P. 49.

(٢٨)

Ibid, P. 49.

(٢٩)

(٣٠) أنظر الفصل الخاص برحلة يوحنا فوكاس .

Ibid, P. 49.

(٣١)

Ibid, P. 51.

(٣٢)

Ibid, P. 26.

(٣٣)

وتجدر الإشارة الى أن قرية الميدان تقع على بعد ثلاثة عشر كم فى الشمال الغربى من درعا، ويحدها من الجهة الغربية قرية زيزون ومن الجهة الجنوبية الغربية قرية عمراوه ، ويقرر البيشاوى أن قرية الميدان تعرف حاليا بقرية موزرب .

عن نفس المنطقة أنظر إشارة وليم الصورى :

William of Tyre, Vol. II, P. 27.

وعن التحديد السابق أنظر :

البيشاوى ، الممتلكات الكنسية فى مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ - ١٢٩١ م / ٤٩٢ - ٦٩٠ هـ) ، ط٠ الاسكندرية ١٩٩٠ م ، ص ٢٠٠ - ص ٢٠١ ، حاشية (٦) .

Fetellus, P. 26.

(٣٤)

(٣٥) هايد ، تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى ، ص ١٨٣ .

(٣٦) نفسه ، نفس المرجع والصفحة ، وأيضا :

William of Tyre, Vol. II, P. 270, P. 272.

عبد الحافظ عبد الخالق يوسف ، الأسواق فى المناطق الصليبية فى بلاد الشام من ١٠٩٩ الى ١٢٩١م ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة الزقازيق ، عام ١٩٨٩م ، ص ٧٦ ، محمد مؤنس عوض ، « الأسواق التجارية فى عهد الدولة النورية » ، الدارة الستة (١٦) ، العدد (٣) ، ١٩٩١م ، ص ٧٣ .

(٣٧) من المقرر أن سويتا Suetha أو Suite قد ذكرت من جانب وليم الصورى وكذلك مؤرخى الحروب الصليبية الآخرين - كما يلاحظ أوبرى ستيوارت Aubrey Stewart - دون تحديد واضح لموقعها أو امتدادها ، ويبدو أنها امتدت من بركة الروم الى الجنوب من درعا وكان نهر اليرموك - والذى تسميه المصادر الصليبية باسم نهر الدان Dan - يجرى فى المنطقة ، ومن المحتمل أن اسم سويتا قد اشتق من السويدية بالقرب من جبل حوران ، وهى مقاطعة مجاورة لدرعا ، ولا تزال تحمل اسم زويت Souwet أو Zuweit وهناك من يقرر أن سويتا بعدت مسافة ستة عشر ميلا عن طبرية ، وتمتعت بخصوبة واضحة فى تربتها الزراعية ، واحتوت على بعض الآثار القديمة ، ويقرر فتيلوس نفسه أنها كانت مسرحا لاحتفال سنوى من جانب اليونانيين والسريان ، عن سويتا وآراء الباحثين حولها وخاصة رأى أوبرى ستيوارت الهام أنظر :

William of Tyre, Vol. II, P. 27.

Fetellus, P. 26, note (3), P. 27.

John of Wurzburg. Description of The Holy Land, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S, Vol. V, London 1896, P. 66, note (4).

ياقوت ، المصدر السزبى ، ج ٥ ، ص ٢٨٦ .

هايد ، المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

(٢٨) نعيم زكى ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب اواخر العصور الوسطى ، ط٠ القاهرة ١٩٧٣م ، ص ٢٨٤ .

Fetellus, P. 36.

(٣٩)

Ibid, P. 3.

(٤٠)

Ibid, P. 4.

(٤١)

Ibid, P. 4.

(٤٢)

Ibid, P. 6.

(٤٣)



الفصل الرابع

يوحنا الوردبرجى

١١٦٠ - ١١٧٠ م

يوحنا الورزبرجى

(١١٦٠ - ١١٧٠ م)

لحتل رحلة الرحالة الألماني يوحنا الورزبرجى^(١) ، مكانة متميزة من بين الرحلات التى قام بها الرحالة الأوروبيون الى مملكة بيت المقدس الصليبية خلال القرن الثانى عشر م ، ومرجع ذلك يكمن فى أنها احتوت على جوانب متعددة عن أوضاع الصليبيين على كافة الأصعدة والمستويات السياسية ، والحربية ، والاقتصادية ، والطبية ، والكنسية ، وقد قدم تقاولا هاما لعناصر الهيئات الحربية الصليبية خاصة الاسبتارية والداوية بصورة ميزته عن غيره من الرحالة الأوروبيين بصفة عامة ، والألمان منهم بصفة خاصة كذلك تعرض فى رحلته لأحد الأعياد الهامة التى احتفلت بها المملكة الصليبية ، ولا ريب فى أن كافة تلك الجوانب التى عرض لها فى ثنايا رحلته قد جعلتها تحظى بتلك المكانة الجديرة بها .

والواقع أن ظاهرة ندرة ما نعرفه عن أولئك الرحالة ، بالقياس لما عرفناه عن أوضاع المنطقة من خلال رحلاتهم نفسها هذه الظاهرة نجدها تنطبق بصورة واضحة المعالم عند تناول يوحنا الورزبرجى ، إذ أن معلوماتنا عنه ضئيلة ، ونستعدها فى الغالب من رحلته ذاتها ، ونعرف أنه كان راهبا فى كنيسة ورزبرج^(٢) ، ثم صار أسقفا لتلك الكنيسة .

وفيما يتصل بتوقيت الرحلة ، وتاريخ كتابتها ، يلاحظ أن يوحنا الورزبرجى قد زار بيت المقدس - على الأرجح - بين عامى ١١٦٠ ، ١١٧٠ م ، وكان موجودا فى يوم الاحتفال بالقدّيس جيمس St. James وهو يوافق الخامس والعشرين من يوليو ، وكان حاضرا خلال الاحتفال فى كنيسة القديسة آن St. Anne ، كما يتضح فى الفصل السادس عشر من الرحلة ، ويبدو أن ذلك الرحالة الألماني زار المنطقة قبل استرداد صلاح الدين لبيت المقدس فى عام ١١٨٧ م ، ومن المرجح أيضا أن رحلته الى هناك ، وقعت مباشرة قبل قيام البيزنطيين باصلاحاتهم فى كنيسة الضريح المقدس ، والتى شاهدها رحالة ألماني آخر ونعنى به ثيودريش Theoderich .

أما ما اتصل بتوقيف كتابة الرحلة ، فيلاحظ جى ٠ ١٠ فاير يكيوس J.A. Fabricius وهو أحد الذين اهتموا بدراساتها أن يوحنا الوردبرجى كتب رحلته بعد فترة ليست طويلة عن عام ١٢٠٠م ، ويرى باحث آخر ونعنى به بيرنارد بيز Bernard Pez أنه من المؤكد أن ذلك حدث فى القرن الثالث عشر ، عندما أقنع يوحنا نفسه بأن يكتب ما قد شاهده خلال ترحاله فى ربوع فلسطين^(٢) ، مع عدم اغفال أن مطالعة نصوص الرحلة لا تدع مجالا للشك فى أن يوحنا قام بها خلال عهد الاستقرار الصليبي فى بلاد الشام^(٣) . غير أننى لا أميل الى مثل هذا التصور خاصة أنه لا يوجد فى الرحلة ما يشير الى أن مؤلفها قد كتبها بعد ما يزيد على الأربعين أو الثلاثين عاما من وقوعها ، خاصة أن دقة أوصافها وملاحظاتها تعكسان أن صاحبها قد سجل كل ذلك بعد فترة ليست بعيدة عن توقيت القيام بها ، ثم أن رغبة يوحنا الوردبرجى فى أن يفيد معاصريه المسيحيين بما شاهده قد جعلته - على الأرجح - يسرع بكتابة رحلته .

وتجدر الإشارة الى أن هناك قسما من المناطق التى أوردها يوحنا فى رحلته قد رآه بنفسه كشاهد عيان ، بينما وجد قسم آخر أورد اشارات عنه من خلال روايات ومشاهدات الآخرين المعاصرون له ، وربما كان ذلك من خلال وصف جغرافى وتاريخى مختصر للأرض المقدسة والمناطق المجاورة لها ، كان متداولاً وشائعاً حينذاك ، وقد استعان به ذلك الرحالة الألماني على ما يبدو ، وشاركه فى نفس الاتجاه العديد من الرحالة الذين زاروا تلك المناطق خلال نفس المرحلة^(٤) .

ويبدو أن القسم الذى شاهده يوحنا الوردبرجى بنفسه تمثل فى عدد من الكنائس وخاصة كنيسة الضريح المقدس Church of The Holy Sepulchre وكذلك أماكن تتصل بهيئتي الاسبتارية والداوية . ويتسم وصفه لها بالاسهاب من خلال مشاهداته الشخصية ، وهو عندما يتحدث عن المستشفى الذى عمل على معالجة المرضى والجرحى وارتبط بتنظيم الاسبتارية ، نجده يذكر مثلاً عبارة تدل على أنه ذهب حقاً الى هناك^(٥) ، فهو شاهد عيان معاصر فى هذا المجال ، أما القسم الذى نقله عن الآخرين فالمرجح - فى تصورى - أن جانباً منه يتمثل فى ذكر المدن والقوى التى ارتبطت بالمسيحية فى عهدها المبكر فى فلسطين ، وكذلك الإشارة الى أبعادها وأطوالها ومواقعها ، وهو فى هذا القسم لا يختلف كثيراً عما أورده الرحالة السابقون عليه مثل سايولف ودانيال وغيرهما .

وقد احتوت رحلة ذلك الرحالة الألماني على العديد من الجوانب السياسية والاقتصادية والطبية والكنسية ، ومن الضروري تناول كل جانب على حدة ، على نحر يساعد في لقاء الضوء على أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية حينذاك .

فعلى المستوى السياسي والحربي ، أشار ذلك الرحالة الى عناصر الرهبان الفرسان مثل الاسبتارية والداوية . وفي هذا المجال أشار الى وجود اسطبل عجيب في الناحية الجنوبية من القصر الذي يقال ان الملك سليمان بن داود قد بناه ، وذلك الاسطبل اتسع لألفين من الخيول أو ألف وخمسمائة من الجمال^(٧) ، ويجاور هذا القصر فرسان الداوية ، ولهم مبان عديدة متصلة ، ولهذا التنظيم العديد من الفرسان الذين يقومون بالدفاع عن أرض المسيحيين - على حد تعبيره - ضد أعدائهم^(٨) .

وتجدر الإشارة ، الى أن الصليبيين حولوا قبة الصخرة الى كنيسة أسموها معبد السيد *Templum Domini* ، كذلك أطلقوا على المسجد الأقصى معبد سليمان *Templum Solomonis* ، وقسموه الى ثلاثة أقسام ، الأول كنيسة ، والثاني مسكنا للداوية ، والثالث مستودعا ل ذخائرهم ، كذلك جعلوا من السرايب التي أسفل المسجد اسطبلا لخيولهم وجمالهم^(٩) ، ويبدو أن يوحنا الوردبرجي قصد بهذا الاسطبل ، القسم الخاص بدواب الداوية ، وتعكس الأرقام التي قدمها لنا ذلك الرحالة ، مدى امكاناتهم الداوية الحربية ، وقدرتهم على امتلاك آلاف الخيول والجمال وهي لازمة لعمليات القتال ، والكر ، والفر ، وحمل الأمانة ومعدات الحرب .

أما فيما يتعلق بقيام الداوية بعملياتهم الحربية دفاعا عن أملاك الصليبيين - وفق قول ذلك الرحالة - في بلاد الشام ، فالواقع أنهم مثلوا أشد العناصر الصليبية فتكا بالمسلمين ، وذلك ما أقرته المصادر العربية ذاتها ، ونجد أن ابن واصل مثلا عندما امتدح الممالك ودورهم في الدفاع عن الاسلام من خلال جهادهم وصفهم بأنهم « داوية الاسلام »^(١٠) ، كذلك قرر العثماني أنهم « معدون للغارات على البلدان ، تصل غاراتهم من جهة دمشق الى داريا وما يليها ومن بيت المقدس الى كرك وما يليها »^(١١) ، وقد شاركوا في غالبية المعارك التي خاضها غمارها الصليبيون ضد المسلمين في بلاد الشام ومصر منذ تأسيس الهيئة وحتى الساعات الأخيرة خلال حصار الممالك عكا في عهد الأشرف خليل بن قلاوون عام ١٢٩١م ، حيث دافعوا عنها ببسالة^(١٢) ، اعترفت بها المصادر العربية .

ويقدم يوحنا الورزبرجى رواية تاريخية هامة بشأن الداوية ودورها خلال الحملة الصليبية الثانية ، ، فقد أورد أن صيت الداوية البطولى قد شهر به دورها الخيائى تجاه الصليبيين خلال أحداث الحملة المذكورة ، وفى ظروف حصار الصليبيين لدمشق^(١٣) ، وفى بداية روايته أوضح انه لا يعرف اذا كان ذلك صدقا أم كذبا ، ومع ذلك هان ايراده لتلك الرواية عن الداوية على الرغم من مرور سنوات عديدة على أحداث تلك الحملة . يدل بوضوح على أن ذلك التشهير بالداوية كان أمرا قائما فى صفوف الصليبيين ، حتى اذا ما جاء ذلك الرحالة الى المنطقة ، وجد تلك الروايات تتناقلها الألسن فأوردها فى رحلته وتجدر الإشارة الى أن وليم الصورى William of Tyre — وهو المؤرخ الرسمى للمملكة الصليبية — أشار باللوم على الداوية لمسئوليتها فى فشل حصار دمشق^(١٤) ، مما يدل على أن مثل تلك الاتهامات كانت تتردد فى الأوساط الصليبية الرسمية نفسها .

وزد على ذلك ، تدعمت الإشارة الى أن الداوية تآمرت على الصليبيين من خلال ما ذكره عدد من المؤرخين الأوربيين مثل يوحنا السالزبورى John of Salisbury ، وبيتر هاوزن Petrihausen ، وأوتو الفريزى Otto of Freising ، وجيرفاس الكانتربرى Gervase of Canterbury^(١٥) ، على نحو يؤكد أن الداوية بالفعل لم يحافظوا على الأقسام التى قطعوها على أنفسهم لدعم الصليبيين ، والعمل على الدفاع عن أملاكهم فى بلاد الشام ضد أعدائهم المسلمين .

مهما يكن من أمر ، فإن رواية ذلك الرحالة لها أهميتها فى القاء الضوء على أحداث الحملة الصليبية الثانية ، وتعيننا على ادراك صورة الحصار الصليبي لدمشق ، والذي تصوره المصادر التاريخية العربية المعاصرة — ولا سيما ابن القلانسى — دون تقديم صورة متكاملة عن حقيقة ما حدث خاصة فشل الحصار الصليبي للمدينة ، والأخطاء العسكرية التى وقع فيها الصليبيون ، والتى أدت الى انسحابهم بتلك الصورة المهيئة المذلة .

ويوجد جانب هام يمكن استنتاجه من تلك الرواية ، ويتعلق بيوحنا الورزبرجى نفسه ، فعلى الرغم من أنه لم يكن مؤرخا بل راهبا فى كنيسة ، الا أنه امتاز بنزعة عقلانية تجاه ما يروى أمامه ، فهو لم يقبل تلك الرواية ولم يرفضها ولم يسرع الى قبولها ، غير أنه بفضل المصادر التاريخية الأخرى أمكن ترجيح أن ذلك مثل جزءا من الواقع السياسى والحربى حينذاك .

ومن جهة أخرى ، تناول ذلك الرحالة اشارة الى الاسبتارية وما امتلكته الهيئة من العمائر الحربية وذكر أنها امتلكت القلاع العديدة التي أقام بها الفرسان الذين يتولون الدفاع عن « أرض المسيحيين » على حد قوله ، ضد هجمات وغزوات العرب^(١١) ، ويلاحظ أن اشارته الى تلك القلاع اتسم بالاقتراب وعدم تقديم صورة واضحة عنها وعن موقعها أو تواريخ سيطرة الهيئة عليها ، وقد تفوقت اشارته عن بعض الجوانب الأخرى المتعلقة بالرهبان الفرسان ، مثل الناحية الطبية والعلاجية . على تناوله لقلاع تلك الهيئات .

ومن الضروري هنا أن نحاول الاقتراب من أعداد القلاع التي سيطرت عليها الاسبتارية ، ويرى لامونت La Monte أن القلاع التي كانت لها تفوقت في العدد على ما كان لدى الداوية^(١٢) ، ويلاحظ أن المصادر التاريخية العربية التي أرخت للعصر الأيوبي عندما تناولت موجة اسقاط القلاع الصليبية في أعقاب أحداث عام ١١٨٧م ، كثيرا ما اشارت الى قلاع الاسبتارية ، بينما ذكرت قلاع الداوية بصورة أقل ، ويرى رايلي سميث Riley-Smith أن الاسبتارية امتلكت حوالي سبع أو ثمانى قلاع وذلك بالإضافة الى إحدى عشرة أو اثنتى عشرة قلعة فضلا عن حقوق معينة على ست قلاع أخرى ، وذلك حتى عام ١١٦٠م وفى عام ١١٨٠م صارت تسيطر على خمس وعشرين قلعة ، ووصل فى بعض الأحيان الى ست وخمسين قلعة فى مختلف أنحاء المناطق الخاضعة للسيادة الصليبية^(١٣) .

أضيف الى ذلك ، احتوت الرحلة على جانب هام ميزها عن غيرها من الرحلات التي قام بها الرحالة الأوروبيون الى مملكة بيت المقدس الصليبية خلال تلك المرحلة ، ونعنى به التنافس السياسى بين الأمم الأوروبية التي ساهمت فى المشروع الصليبنى ، وذلك من خلال تحمس يوحنا الوزيرجى لألمانيا والامان ، ويقرر أن القلة القليلة من الامان بقيت مع جود فرى البويونى Godfrey de Bouillon بعد سقوط بيت المقدس فى قبضة الصليبيين عام ١٠٩٩م ، بينما عادت غالبيتهم ادراجها الى موطنها ، وسقطت المناطق الداخلية من البلاد فى قبضة أمم أخرى مثل الفرنسيين ، واللوريين ، والبروفنساليين والايطاليين . والبرجنديين وغيرهم الذين شاركوا فى الحملة الصليبية الأولى ، وهنا يلاحظ أنه لا يوجد جزء من المدينة ، أو حتى أصغر شارع مخصص للامان^(١٤) ، الأمر الذى عكس حسرة ذلك الرحالة على وضع بنى جلدته .

كذلك يقرر أنه نظرا لان الألمان أنفسهم لا يعيرون الأمر اهتماما ، وليست لديهم النية للبقاء هناك ، فان أسماءهم لم تذكر قط ، وصار مجد اقتحام المدينة المقدسة للفرننج فحسب (٢٠) .

ومن جهة أخرى ، يقرر أن هذه المنطقة من عالم المسيحية سوف تمتد حدودها من وراء النيل جنوبا الى ما وراء دمشق شمالا ، اذا توفر عدد كبير من الألمان مثلما الامر بالنسبة للأمم الأخرى (٢١) . ودل ذلك بالطبع على مدى حمسه لبنى جلدته ، والجانب التنافسى بين الألمان والفرنسيين على نحو خاص ، كذلك أعطت روايته دليلا على أن من الرحالة الأوربيين من شارك الصليبيين المحليين التطلع الى توسيع حدود مملكة بيت المقدس الصليبي لكي تشمل ما وراء دمشق شمالا وما وراء النيل جنوبا وذلك على حساب المسلمين بطبيعة الحال ، وهذا بدوره يكشف عن أن الكيان الصليبي لم يكن ليكتفى بأن تكون حدوده ثابتة بل انه أراد توسيع حدوده الى أقصى امتداد ممكن . ومثل هذا القول لم يأت من أحد المؤرخين الرسميين ، بل جاء من أحد الرحالة الواقدين على المنطقة ، ولم يقم بها أمدا طويلا مما يعكس حمسه للمشروع الصليبي ورغبته المستمرة في أن تتسع المملكة الصليبية لتشمل مناطق أخرى ذات أهمية اقتصادية وحربية كبيرة ، وبدل أيضا على أن أولئك الرحالة كانوا جزءا لا يتجزأ من المشروع الصليبي الاستعماري .

وهكذا ، فان ذلك الرحالة الألماني - من خلال حمسه لألمانيته - رغب في أن يكون عدد الألمان مقاربا لأعداد العناصر الأوربية الأخرى ، وهو ما لم يتحقق على مدى تاريخ الوجود الصليبي في بلاد الشام ، إذ من الواضح أن العناصر الألمانية شكلت قلة قليلة اذا ما قرنت بالفرنسيين والاطاليين ، وهم الذين مثلوا قسما هاما من الصليبيين .

أما اذا انتقلنا بالحديث الى الجانب الاقتصادى في رحلة ذلك الرحالة الألماني ، نجد انه تناول في رحلته مدينة بيروت Berytus وأشار اليها بقوله انها مدينة بالغة الثراء (٢٢) ، وتعكس عبارته الدور الاقتصادى الذى قامت به تلك المدينة خاصة على المستوى التجارى والذى مثل جزءا من ظاهرة ازدهار الساحل الشامى بصفة عامة خلال ذلك الحين ، ويلاحظ أن وصفه هذا اتفق مع ذات الوصف الذى سبق وأن ذكره الرحالة فتيلوس Fetellus ، كذلك أشار الى مدينة صور Sors أو Tyro وذكر انها أكبر مدينة عظيمة في كل فينيقيا (٢٣) ، ومن الواضح أن ذلك ناتى اليها من خلال موقعها الفريد صاحب الأهمية التجارية والحربية الدفاعية .

ومن جهة أخرى ، قدم يوحنا الورزبرجى تناولا هاما للجانب الاقتصادى لدى فرق الرهبان الفرسان ومدى تراثهم وتميزهم فى المملكة الصليبية ، فيقرر على سبيل المثال ، أن للداوية ممتلكات ودخول لا تحصى سواء فى البلاد نفسها (٢٤) فى المناطق الصليبية فى بلاد الشام) أو فى خارجها وأن للاستبتارية اميالا يصعب حصرها (٢٥) ، ويقوم الداوية بتقديم الصدقات الوفيرة لفقراء السيد المسيح عليه السلام ، ولكن كل ذلك لا يصل الى عشر ما يقدمه الاستبتارية (٢٥) .

والواقع أن هيئة الداوية على مدى تاريخ المملكة الصليبية فى بلاد الشام ، عرفت بتراتها العريض ، وامتلاكها العديد من الاقطاعات فى المناطق الخاضعة للسيادة الصليبية بل ان هذا الثراء جعل التنظيم أحيانا يقرض الملوك الصليبيين ، ومن أمثلة ذلك ما حدث - فيما بعد - عندما أقرض فرسان الداوية الملك الفرنسى لويس التاسع Louis IX مبلغا كبيرا من المال (٢٦) ، من أجل اطلاق سراحه من قبضة المصريين فى المنصورة . وقد أورد الحادثة مؤرخ سيرته جان دى جوفانفيل على نحو عكس الأساس المادى للقوى للتنظيم . ومن جهة أخرى ، عمل الداوية فى عمليات البنوك والاقراض ، وصارت لهم مراكزهم فى كافة أنحاء أوروبا (٢٧) .

ويدل حديث يوحنا الورزبرجى عن أن صدقات الداوية لا تصل الى عشر ما يعطيه الاستبتارية للفقراء والمحتاجين - يدل بوضوح على حقيقة هامة ألا وهى الطابع التنافسى بين الهيئتين الذى أدى الى أوخم العواقب على الوجود الصليبي فى بلاد الشام ، وكان من العوامل المساعدة المؤدية الى انهياره فى النهاية ، ومن المنطقى تصور أن ذلك الرحالة وجد طابع المنافسة قائما بينهما ، ومن ثم اتجه الى عقد مثل تلك المقارنة ، ومع ذلك ينبغى أن نقرر أن ما ذكره عن تفوق الاستبتارية فى حجم صدقاتها على الفقراء والمحتاجين على الداوية بما يوازى عشرة أضعاف ، لا يجعلنا نتصور ضعف المركز المالى للهيئة الأخيرة ، إذ أن القرن التالى ، ونعنى به القرن الثالث عشر م ، شهد دلائل واضحة على انتعاش المركز المالى لها ، وحتى خلال القرن الثانى عشر م ، لم يكن هناك ما يدل على ضعف قدراتها المالية وتعليل زواية ذلك الرحالة يرجع الى أن دور الاستبتارية الخيرى والعلاجى قد هيا لها دورا أكبر فى توزيع الصدقات على نحو جعلها تتفوق على الداوية .

ولعل من إثري ما احتوته رحلته ، ما تناوله فى ثناياها عن الجانب الطبى والعلاجى فى مملكة بيت المقدس الصليبية حينذاك ، وخاصة من خلال ثناوله لهيئة

الاسبتارية ودورها العلاجى ، ويلاحظ هنا أن المؤرخ الصليبي وليم الصورى لا نجد فى تاريخه أية اشارات هامة عن ذلك الجانب .

وقد ذكر يوحنا الورزبرجى أن مستشفىهم فى بيت المقدس وهى التى اقيمت بالقرب من الكنيسة التى شيدت على شرف القديس يوحنا المعمدان - احتوت على حجرات عديدة ضمت عددا كبيرا ومتزايدا من المرضى سواء من الرجال أو النساء ، وهم يتمثلون للشفاء يوميا على نطاق متسع للغاية^(٢٨) ، وعندما كان يوحنا الورزبرجى فى تلك المستشفى علم بأن العدد الاجمالى لأولئك المرضى يقدر بألفين^(٢٩) ، ومنهم من تدركه منيته ، وهؤلاء يبلغ عددهم أكثر من خمسين شخصا يوميا ، بينما هناك الكثيرون الذين يواصلون الحياة من بعد شفائهم^(٣٠) .

ونقسم روايته بأهميتها من حيث أنه قدم لنا صورة عن مرحلة هامة من مراحل عمل التنظيم من الناحية العلاجية ، بل انه دعم روايته بأرقام محددة عن طاقة المستشفى وقدراتها على استيعاب أعداد كبيرة من المرضى - وذلك من خلال شاهد عيان معاصر - ولا ريب فى أن المئات من الحجاج المسيحيين قد قدموا اليها عندما وقعوا فريسة للمرض من عناء رحلة الحج الشاقة ، أو بسبب اصابتهم بالأمراض المختلفة وهم فى الأرض المقدسة ذاتها .

وتدل روايته فى هذا الشأن - من ناحية أخرى - على النزعة العقلية لدى ذلك الرحالة ، الذى أراد تدعيم أقواله بأرقام محددة عن واقم قدرات المستشفى ومن ثم أعطى قيمة كبيرة لاشارته عن دور تنظيم الاسبتارية العلاجى ، وكما هو واضح ، فإن الجانب الاحصائى الرقمى لم يقتصر على تناوله لأعداد من تستوعبهم المستشفى ، بل أيضا من يموتون كذلك ، مما عكس دقته بصفة عامة ، ورغبته فى تقديم صورة واضحة عن قدرات تلك المستشفى .

كذلك فإن روايته عن نسبة الوفيات ، وأنها بلغت أكثر من خمسين شخصا يوميا ، تدل على ارتفاعها النسبى ، وربما عكس ذلك عدم قدرة وسائل المعالجة لدى الصليبيين على تدارك حالات مرضية عديدة ، على نحو أدى الى وجود تلك الأعداد من الوفيات ، ويمثل ذلك المعدل الذى ذكره ذلك الرحالة ، الذى من الواضح أنه استقى معلوماته من أوثق المصادر ومن خلال زيارته المستشفى بنفسه للتأكد

من وضعها وقدراتها ، ومن الطبيعى ألا نغفل هذا ، ضعف المستوى العلاجى والخبرة الطبية عند الصليبيين بصفة عامة ، وهو ما أوضحه أسامة بن منقذ فى كتابه الاعتبار^(٣١) .

وهناك عامل آخر له أهميته ساعد على الوضع السابق ، إذ أن الحجاج المسيحيين الذين توافدوا على المدينة المقدسة كانوا من جنسيات مختلفة ومذاهب متعددة ، فمنهم اليونانيون والبلغاريون والانجليز ، والفرنجة ، والبوهيميون ، والأرمن واليعاقبة ، والسريان ، والنسطورية ، والهنود ، والمصريون ، والموارنة^(٣٢) ، ومثل ذلك الخليط البشرى ، وبالأعداد الكبيرة التى من المتوقع قدومها من أجل زيارة الأماكن المسيحية المقدسة من المنطقى تصور احتمال انتشار الأمراض فى صفوفهم ، خاصة مع عدم توافر وسائل فعالة للحجر الصحى ك تلك المعمول بها حاليا ، فضلا عن ضعفه ، ان لم يكن انعدام الوعى الصحى لدى قطاعات عديدة خلال ذلك العصر .

وبالإضافة الى ذلك ، احتوت رحلة يوحنا الوردىرجى على تناول عدد من الكنائس والأديرة ، فضلا عن الأعياد الدينية الهامة التى احتفلت بها مملكة بيت المقدس الصليبية .

ومن أمثلة تلك الكنائس ، كنيسة المخلص^(٣٣) ، وكنيسة القيامة^(٣٤) وكنيسة الصعود^(٣٥) ، وكنيسة القديسة مريم المجدلية St. Mary Magdelene^(٣٦) . ويلاحظ أن كافة الرحالة الأوربيين عملوا على وصف تلك الكنائس وذلك من خلال تناول ذكريات المسيحية فى عهدها المبكر فى فلسطين وما اتصل بالسيد المسيح عليه السلام والحواريين ، والقديسين .

أما بالنسبة للأديرة ، فقد ذكر ذلك الرحالة عددا منها ، ومن أمثلتها ، دير القديس ساباس St. Sabas^(٣٧) والذي حظى بتناول عدد من الرحالة الأوربيين الذين سبقوا مقدمه الى المنطقة ، ويأتى على رأسهم الأب دانيال الروسنى ، وفضلا على ذلك ، وجد دير للراهبات كرس للقديسة مريم St. Mary . وقصد اقيم بالقرب من كنيسة القديس يوحنا المعمدان St. John The Baptist^(٣٨) .

ومن الجوانب الهامة التى وردت فى ثنايا رحلة يوحنا الوردىرجى ، تناولها لأحد الأعياد الدينية التى احتفلت بها كنيسة مملكة بيت المقدس ، ومن الأهمية

يمكن ملاحظة أن تلك الأعياد كانت مجالا كبيرا لجذب الآلاف من الحجاج للقدوم إلى قيسطين للاحتفال بها ومن الطبيعي أن نتصور اهتمام مملكة بيت المقدس الصليبية بمثل تلك المناسبات الدينية ، لما فيها من تدفق الحجاج بأعداد كبيرة على نحو يؤدي إلى زيادة المكاسب المالية العائدة على ميزانية المملكة ، ثم ما ينتج عن ذلك من دعاية سياسية للمملكة في كافة أنحاء عالم المسيحية ، إذ أن الحجاج العائدين سوف يتحدثون بالضرورة مع مواطنيهم حول قوة تلك المملكة ورعايتها لشئون الحج ، وكذلك الحارم المسيحية المقدسة ، ويقرر براور أن تلك الاحتفالات كانت تتم في ذات المواقع التاريخية^(٣٩) ، وكما وردت في التأجيل على نحو يؤدي إلى إعطاء الحجاج شحنة نفسية قوية ، بصورة تركت أفضل الأثر في نفوسهم ، وهم الذين تأقت نفوسهم إلى رؤية تلك الأماكن المقدسة لديهم والتي أمضوا عشرات السنوات يأملون زيارتها إلى أن حققوا ذلك الحلم الشخصي لكل فرد منهم .

أما العيد الذي ذكره يوحنا الوردبرجي ، فهو العيد الذي تم الاحتفال به في الخامس عشر من يوليو ، وهو يوافق تاريخ سقوط مدينة بيت المقدس في قبضة الصليبيين ، وكذلك الاحتفال بتكريس كنيسة الضريح المقدس للخدمة الإلهية ، وكان قد تم ذلك في عام ١١٤٩م^(٤٠) أي بعد نصف قرن من خضوع المدينة المذكورة للسيادة الصليبية ، ومن مراسم ذلك الاحتفال أن يقام قداس في وقت مبكر من ذلك اليوم ، يرأسه بطريرك بيت المقدس ، وكذلك رجال الكليروس وكافة سكان المدينة من المسيحيين ، ومعهم الحجاج بطبيعة الحال ، وتقام صلاة الشكر^(٤١) ، ويقرر ذلك الرحالة أنه في نفس اليوم يتم تكريس المذابح الأربعة في تلك الكنيسة اثنان منها في موضع صلب المسيح - كما يتصور المسيحيون بطبيعة الحال - واثنان آخرون في الموضع المعاكس من الكنيسة ، وقد تم تخصيص أحد تلك المذابح لشرف القديس بطرس St. Peter^(٤٢) ، والآخر لشرف الشهيد الأول ، القديس ستيفن the Protomartyr St. Stephen^(٤٣) .

وتجدر الإشارة ، إلى أنه في اليوم التالي يتم إعطاء الصدقات للفقراء والمحتاجين ، وكذلك إقامة الصلوات من أجل أحياء ذكرى أولئك الصليبيين الذين سقطوا قتلى خاصة في مناسبة اقتحام بيت المقدس - وكان الصليبيون قد نظروا إليهم على اعتبار أنهم شهداء سقطوا فداء قضيتهم - ويحدد يوحنا الوردبرجي موضع دفنهم بأنه بالقرب من البوابة الذهبية The Golden Gate ، ويقرر أن

ذلك الموقع تمتع بشهرة واسعة النطاق^(٤٦) ، وفي أعقاب ذلك بثلاثة أيام ، يتم احياء ذكرى جودفرى البويونى الذى وصفه ذلك الرحالة بأنه قائد الحملة المقدسة التى استولت على بيت المقدس وخلصتها من قبضة المسلمين^(٤٧) ، ويلاحظ أن ذلك الأمير الصليبي بالذات نسجت حوله أسطورة لازمته ، واعتبره الصليبيون نموذجا ومثلا للفارس الصليبي ، ومن ثم فمن المتصور أنه تمتع بذيوع الصيت لدى صفوف الحجاج المسيحيين الوافدين الى المدينة المقدسة .

مهما يكن من أمر ، فالملاحظ أن مثل تلك الأعياد وفى تلك المواقع التى أشار اليها ذلك الرحالة الألمانى ، كان من شأنها إثارة الصليبيين وشجذهم نظرا لأنها كانت تذكرهم بانتصاراتهم المبكرة التى حققوها على حساب المسلمين فى بلاد الشام .

وهكذا ، ألقت رحلة ذلك الرحالة الألمانى - المتعدد الاهتمامات والقسوى الملاحظة - أضواء كاشفة لها قدرها من الأهمية على العديد من الجوانب المتعلقة بأوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية على المستويات السياسية والحربية والاقتصادية والكنسية .

ابن همام :

(١) اعتمدت في اعداد هذا الفصل على الترجمة الانجليزية لرحلة يوحنا الوردزبرجي Joannes Wirzburgensis وهي باللاتينية :

Descriptio Terrae Sanctae

ويوجد النص اللاتيني في الباترولوجيا اللاتينية ، مجلد ٢٥٥ ، من ١٠٥٤ الى ١٠٩٠ .

Migne. P.L., Vol. CLV, Cols, 1054—1090.

عن ذلك أنظر :

Rubricht, Chronologisches Verzeichniss der Auf die Geographie der Heiligen Landes Bezuglichen Literatur Von 333 Bis 1878, P. 38—39.

ويلاحظ أن تيتوس توبلر Titus Tobler قد قام بنشر الرحلة ضمن كتابه عن اوصاف الاراضي المقدسة الصادر في ليزج عام ١٨٧٤م ، صفحات من ١٠٨ الى ١٩٢ ، من ٤١٥ الى ٤٤٨ ، عن ذلك أنظر :

Tobler, Descriptiones Terrae Sanctae Ex Saecula VIII, IX, XII et XV, Leipzig 1874, PP. 108—192, PP. 415—448.

وقد صدرت طبعة جديدة لهذا الكتاب المتضمن رحلة يوحنا الوردزبرجي ، في نيويورك بالولايات المتحدة الامريكية وذلك في عام ١٩٧٤م .

عن ذلك أنظر :

John Wright, The geographical lore of the time of the Crusades, P. 523.

حسن عبد الوهاب ، تاريخ جماعة الفرسان التيونون في الاراضي المقدسة ، هوالى ١١٩٠ - ١٢٩١م ، ط٠ الاسكندرية ١٩٨٩م ، ص ٣٧٩

وقد صدرت ترجمة انجليزية للرحلة من جانب اوبري ستيوارت Aubrey Stewart ، ضمن مجموعة P.P.T.S. ، الجزء الخامس ، والذي صدر في لندن عام ١٨٩٦م .

John of Wurzburg, Description of The Holy Land, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. V, London 1896.

ومن جهة أخرى ، فوفقا لما يقرره توبلر ، فان المخطوط الاصل للرحلة يوجد في مكتبة مدينة ميونيخ ، وهناك نسخة محفوظة بصورة افضل في مكتبة الجامعة في برلين ، وهي تعود الى القرن الخامس عشر م .

عن ذلك أنظر :

Tobler, Bibliographia P. 17.

أما روهريشت فيقرر وجود نسخ محفوظة في المتحف البريطاني ومكتبة جامعة
ورزبرج ، أنظر
Ruhricht, Chronologisches, P. 38.

John of Wurzburg, P. IX. (٢)

وورزبرج مدينة ألمانية تقع الى الشمال من بافاريا Bavaria على نهر
المين Main ، وهي عاصمة فرنكونيا السفلى Lower Franconia ، وتبعد
حوالى ١٠٠ كم أو حوالى ٦٢ ميلا عن مدينة فرانكفورت ، ومعنى ذلك أنها وقعت
في جنوب غرب ألمانيا ، وهناك من يقرر أن أول ذكر لورزبرج في الوثائق يعود الى
عام ٧٠٤ م ، وكانت تحكم من جانب أساقفتها منذ عام ٧٤١ م ، ونمت كمدينة على
مدى القرنين العاشر والعاشر عشر م ، ويلاحظ أن امبراطور الهوهشتافن فردريك
الأول بارباروسا تزوج في مدينة ورزبرج في عام ١١٥٦ م .

عنها أنظر :

Michael Meisner & Halm, Wurzburg, Wurzburg 1975.
Academic Amer. Ency., «Wurzburg», Vol. XX, New Jersey 1981, P. 297.
Ency. Amer., «Wurzburg», Vol. XXIX, U.S.A., 1985, P. 568.
Ency. Brit., «Wurzburg», Vol. XXIV, U.S.A. 1958. P. 818—819.
Lexicon Universal Ency., «Wurzburg», Vol. XV, New York 1980, P. 297.

Stewart, Introduction, P. X. (٣)

Beazley, Vol. II, P. 190. وأيضا أنظر :

Stewart, P. X. (٤)

Ibid, P. X. (٥)

John of Wurzburg, P. 21. (٦)

Ibid. P. 21. (٧)

Ibid. P. 21. (٨)

(٩) عن ذلك أنظر : الأديسى ، نزهة المشتاق ، ج٤ ، ص ٣٦٠ ، جوزيف نسيم
يوسف ، العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية الأولى ، ط٠ بيروت ١٩٨١ م ،
ص ٢٦٢ ، محمد مؤنس عوض ، التنظيمات الدينية الإسلامية والمسيحية ، ص ٣٧٦

(١٠) نقلا عن : عاشور ، مصر في عصر دولة المماليك البحرية ، ط٠ القاهرة
١٩٥٩ م ، ص ٦٠ .

(١١) العثماني ، تاريخ صفد ، ص ٤٨٧ .

(١٣) عن ذلك انظر :

بييرس الدواداري ، زبدة الفكرة من تاريخ الهجرة ، تحقيق زبيدة محمد عطا ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ، عام ١٩٧٢م ، ص ٢٢٥ ، مفضل بن أبي الفضائل ، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ بن العميد ، تحقيق بلوشيه P.O.. T. XII ، ص ٥٤٧ ، مصطفى الكفاني ، العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامي ، ج ٢ ، ط ٠ الاسكندرية ، ص ٢٨٤ .

John de Villiers, A Letter of John de Villiers Master of Hospital describing The Fall of Acre, in King, The Knights Hospitallers in The Holy Land, PP 301—303.

John of Wurzburg, P. 21.

(١٢)

William of Tyre, Vol. II, P. 193—195.

(١٤)

أيضا :

Northup, The Knights Templars in The Holy Land (1118—1187), Thesis submitted in partial satisfaction of The requirements of Arts for The degree of Master of Arts in History, Univ. of California 1943, P. 37.

Ibid, P. 37.

(١٥) نقلا عن الرسالة السابقة انظر :

John of Wurzburg, P. 44.

(١٦)

(١٧)

La Monte, Feudal Monarchy in The Latin Kingdom of Jerusalem, Cambridge 1932, P. 220, note (2).

Archer, The Crusades, P. 179.

أيضا :

Riley-Smith, The History of The Order of The Hospital of St. John of Jerusalem, London 1967, P. 69.

Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, P. 265.

John of Wurzburg, P. 41.

(١٩)

Ibid, P. 41.

(٢٠)

Ibid, P. 41.

(٢١)

Ibid, P. 63.

(٢٢)

Ibid, P. 63.

(٢٣)

Ibid, P. 44.

(٢٤)

ومن أمثلة المراسيم والمناشير الخاصة بمنح هيئة الاسبتارية العديد من
الأملاك على نحو أدى الى ثرائها بالصورة التي ذكرها يوحنا الورزبرجى :

Delaville Le Roulx, «Trois chartres de XII siècle concernant l'Ordre de

St. Jean de Jerusalem», A.O.L., T.I., PP. 409—415, «Inventaire de pièces Terre
Sainte de l'Ordre de l'Hospitale», R.O.L., T. III, Année 1895, PP. 36—106.

Anastasius IV grants privileges to The Knights of St. John (1154). in
Thatcher, Source Book of Medieval History, London 1903, PP. 454—456.

Ruhricht, Regesta, P. 12, P. 13, P. 20—22.

John of Wurzburg, P. 21.

(٢٥)

(٢٦)

Jean de Joinville, The Life of Saint Louis, in chronicles of The Crusades,
Trans. by Show, London 1976, P. 259, King, The Knights of St. John in The
British Kingdom, London 1943, P. 29, Conder, The Latin Kingdom of
Jerusalem, London 1897, P. 355.

جوزيف نسيم يوسف ، هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل ، ط٠ القاهرة
ب - ت ، ص ١١٦ ، السدوان الصليبي على مصر ، ط٠ الاسكندرية ١٩٦٧م ،
ص ٢٨٥ ، حسن حبشى ، الشرق الأوسط بين شقى الرعى ، ط٠ القاهرة ١٩٤٩م .
ص ١٠٩ ، مصطفى زيادة ، حملة لويس التاسع وهزيمته فى المنصورة ، ط٠ القاهرة
١٩٦١م ، ص ١٠٩ ، عزيز سوريال عطيه ، العلاقات بين الشرق والغرب ،
ص ٧٧ ، عبد الرحمن زكى ، الجيش المصرى فى العصر الاسلامى ، ط٠ القاهرة
١٩٦٥م ، ص ٢١٦ .

(٢٧) عن ذلك أنظر :

Favier, «Les Templiers ou l'échec des basquiers de la croisade», L'His-
toire, T. XLVII, Année 1982, PP. 44—51.

John of Wurzburg, P. 44.

(٢٨)

Ibid, P. 44.

(٢٩)

Ann Woodings, «The Medical resources and practice of The Crusader
States in Syria and Palestine (1096--1193)», M.H., Vol. XV, No. 3, July 1971,

على السيد على ، المجتمع المسيحى فى بلاد الشام فى عصر الحروب
الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ،
عام ١٩٧٨م ، ص ١٣٨ .

John of Wurzburg, P. 44.

(٣٠)

(٣١) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٧٠ - ص ١٧١ ، كامل حسين ،
« في الطب والأقربائين » ، ضمن كتاب أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية ،
ط القاهرة ١٩٧٠م ، ص ٢٨٥ ، عاشور ، المدنية الإسلامية وأثرها في النهضة
الأوربية ، ط القاهرة ١٩٦٧م ، ص ١٤٧ ، ملامح المجتمع الصليبي ، ص ٣٤ ،
زكى نقاش ، العلاقات ، ص ٢٠٦ ، الحويرى ، الأوضاع الحضارية ، ص ٢٣١ ،
العروسي المطوى ، الحروب الصليبية ، ص ١٧٥ ، نقولا زيادة ، « سوريا زمن
الصليبيين » ، المقتطف ، يوليو ١٩٢٨م ، ص ٢٠٠ .

Ibid, P. 69.

(٣٣)

Prawer, «Social classes in The Crusader States, The Minorities», in Setton,
A History of The Crusades, Vol. V, New Jersey 1983, P. 60.

John of Wurzburg, P. 44.

(٣٣)

Ibid, P. 27.

(٣٤)

Ibid, P. 27.

(٣٥)

Ibid, P. 44.

(٣٦)

Ibid, P. 27—28.

(٣٧)

Ibid, P. 45.

(٣٨)

Prawer, Op. Cit., P. 170.

(٣٩)

Loc. Cit.

(٤٠)

John of Wurzburg, P. 39.

(٤١)

John of Wurzburg, P. 39.

(٤٢)

القديس بطرس ، رأس الحواريين ، كان في الأصل صيادا للسمك في بحيرة
طبرية ، ويعد أخا للقديس أندرو St. Andrew ، وفي الأصل دعى سمعان
بن يونا ، ولكن السيد المسيح عليه السلام أطلق عليه اللقب الأرامي Kapha
والذى يعنى الصخرة . Peter ، أى بيتر وهو الذى سيعرف به ، ويعطى العهد
الجديد للقديس بطرس مكانة فريدة من بين الحواريين ، ويتضح ذلك من خلال
مطالعة نصوص اتجيل متى ، إذ أن المسيح يقول مخاطبا بطرس : « أنا أقول لك
أيضا أنت بطرس ، وعلى هذه الصخرة ، أبني كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى

عليها ، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات » ، وقد استغل هذا الحديث كما يلاحظ شارل جنير الى أبعد الحدود فيما يتعلق بمكانة كنيسة روما وسيادتها على سائر الكنائس ، ويلاحظ نفس الباحث أن النصوص الانجيلية لم تنسب الى السيد المسيح تعبيراً مثل « كنيسة » أو « كنيسة الأب » ، الا في متاسبة واحدة ، هي تلك التي وردت في اتجيل متى ، ويوضح ابن هذا الحديث المشهور لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتم الاعتماد على ضخته ، وأن النصوص والأحداث في تسلسلها لتسدل دلالة مؤكدة على أن أسبقية بطرس الحواري لم يكن لها أي حظ من الواقع ولم توجد قط .

عن ذلك انظر :

الكنيسة ، الاصحاح (١٦) ، من ١٨ - ٢٠ .
اسحق عبيد ، الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ، ط . القاهرة ١٩٧٢ م ، ص ١٧٢ . ص ١٧٣ . شارل جنير ، المسيحية ، نشأتها وتطورها ، ت . عبد الحليم محمود ، ط . القاهرة ١٩٨٥ م ، ص ١٦٧ .

Allwater, Penguin Dictionary of Saints, P. 273--274.

John of Wurzburg, P. 39.

(٤٣)

القديس ستيفن St Stephen هو أول شهداء المسيحية ، ونستمد معلوماتنا عنه من خلال سفر أعمال الرسل ، وكان يونانيا يتحدث اليونانية ، وتم اختياره بين عدد من الأشخاص من أجل أن يتولى احتياجات الارامل اللاتي يتحدثن اليونانية من بين العناصر المسيحية في بيت المقدس ، وتنسب اليه مجموعة من الخوارق ، وقد توفي في بيت المقدس عام ٣٥ م ، عنه انظر :

سفر أعمال الرسل ، الاصحاحين ، (٧) ، (٨) .

Allwater, Op. Cit., P. 313.

John of Wurzburg, P. 40.

(٤٤)

منحى عبد العزيز ، دور الكنيسة في مملكة بيت المقدس ، ص ١٢٥ ومن المقرر أن البوابة الذهبية ، هي بوابة مدينة القدس عند الجزء الشرقي من المعبد ، ويعتقد أن مندها قنابل Juachim والد القديسة هريم القنابل قابل زوجته آن . Anno ومن نفس البوابة ، دخل السيد المسيح عليه السلام قداماً من بيت المقدس . وعندئذ أيضاً ، قدم الامبراطور البيزنطي هرقل Heraclius الى المدينة المقدسة مظفراً بعد أن حقق انتصاراته على الفرس ، ولم تكن تلك البوابة تفتح قط الا في مناسبة عيد رفع الصليب وهو يوافق ١٤ سبتمبر ويمثل ذكرى عشور القديسة هيلانة والدة الامبراطور قسطنطين على خشبة الصليب . كما يعتقد المسيحيون - وكذلك في مناسبة أحد السيف ، ويلاحظ أن تلك البوابة قد أشار اليها عدد من الرحالة

الأوربيين الذين زاروا المملكة الصليبية خلال ذلك القرن ، ومن أمثلتهم سايولف
وتيودريش ، وهناك من الرحالة المتأخرين فيلكس فابري •

عن ذلك أنظر :

Saewulf, P. 17.

Theoderich, P. 35

Felix Fabri, P. 448.

محمد محمد فياض ، التقاويم ، ط • القاهرة ١٩٥٨ م ، ص ٢١٣ •

John of Wurzburg, P. 40.

(٤٥)

وعن جودفري البويوني ودوره في الحملة الصليبية الأولى انظر :

Fulcher of Chartres, P. 72, P. 80, P. 85.

William of Tyre, Vol. II, P. 43, P. 57.

Parisee, «Godfrey de Bouillon, Le Croisade exemplaire», L'Histoire,
T. XLVII, Année 1982.

Hagenmeyer, «Études sur la chronique de zimmern renseignements qu'elle
fournit sur la première croisade», A.O.L., T. II, PP. 21—22.

Grousset, Histoire des croisades, T. I, PP. 11—13.

Oklenbourg, Les Croisades, T, I, P. 64, P. 65, P. 68.

Mayer, The Crusades, P. 45.

سعيد برجاوى ، الحروب الصليبية في المشرق ، ط • بيروت ١٩٨٤ م ، ص ١٧٦ —
ص ١٩٠ ، عمر كمال توفيق ، مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص ٦٢ — ص ٩٩ ،
عبد العنى عبد العاطى ، السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية في عهد الامبراطور
الكسيوس كومنين (١٠٨١ — ١١١٨ م) ، ط • القاهرة ١٩٨٣ م ، ص ٢٨٥ — ص ٢٨٧ •

الفصل الخامس

ایو فروزین

۱۱۶۲ - ۱۱۷۲ م

ايو فروزين

١١٦٢ - ١١٧٢ م

تحتل رحلة الرحالة الروسية أيوفروزين^(١) مكانها الهام بين الرحلات التي قام بها الرحالة الأوربيون في أنحاء مملكة بيت المقدس الصليبية على مدى القرن الثاني عشرم ، وهي تفيد فيلقاء الضوء على أوضاع المملكة من زوايا متعددة وبصور مختلفة ، ومع ذلك فلم يكن الأمر بنفس الصورة التي قدمتها الرحلات الأخرى التي جرت خلال تلك الرحلة ، ومن جانب آخر ، نجد أن رحلة أيوفروزين قد اختلفت عن باقي الرحلات الأوربية في مواضع متعددة ، كما أمكن عقد مقارنة بينها وبين رحلة رحلة روسي سبقت دراسته ونعنى به الأب دانيال ، وسوف نعرض في هذا الفصل لكافة تلك العناصر المذكورة .

والواقع أن حجم ما نعرفه عن ايوفروزين كبير ، خاصة بالنسبة للمرحلة التي سبقت قيامها بالارتحال الى بيت المقدس ، فمن المعروف ، أننا لا نعرف الا النزر اليسير عن الرحالة الذين قدموا الى المنطقة خلال ذلك العصر ، وأغلب ما نعرفه عنهم نستمدده أحيانا من رحلاتهم نفسها ، وتظل الرحلة الواقعة شاما قبل قيام الرحالة برحلاته محجوبة عن الباحثين ، الذين تناولوا أولئك الرحالة بالبحث والدراسة .

ومثل ذلك الوضع ينطبق على الغالبية الغالبة من الرحالة الذين تناولهم هذه الدراسة التي نحن بصدددها ، غير أنه بالنسبة لايوفروزين فالأمر يختلف ، إذ لدينا معلومات هامة عنها تكفى بصورة أو بأخرى لرسم صورة واضحة المعالم عنها ، فهي ايوفروزين Euphrosine ابنة أمير بولوتسك Polotsk - وهي من المدن الروسية - جورج فسيزلافيتش George Vseslavitch^(٢) ، ويرجع نسبها الى الأمير فلاديمير Vladimir أمير كييف Kiev ، صاحب الدور الهام في تحويل روسيا الى المسيحية^(٣) .

ويبدو - من خلال ما لدينا من دراسات عن تلك الرحالة الروسية - أنها نشأت نشأة دينية من خلال حياة الرهبنة ، إذ ارتبطت بسلك الرهبنة وهي في السنوات الأولى من شبابها ، في أحد الأديرة الروسية التي انتشرت في البلاد في أعقاب التحول الى المسيحية ، وقد كانت خالة ايوفروزين رئيسة لذلك الدير الذي أقامت به ، وفيما بعد قامت نفسها بإقامة دير ترأسته^(٤) ، الأمر الذي عكس أنها صارت ذات باع كبير.

فى عالم الرهبنة والديرية على نحو هيا لها تلك المكانة السامية ، وحيث أنها تعلمت القراءة والكتابة ، فقد قامت بنسخ عدة كتب^(٥) وأنفقت من ريعها على الأعمال الخيرية ورعاية المرضى والمحتاجين ، وبعد عمر مديد حافل بالحياة الديرية رأت أن من الضرورى القيام بالحج الى المحلرم المسيحية المقدسة فى فلسطين ، ومن ثم فقد عقدت العزيمة على ذلك ، وبالفعل قامت برحلتها فى الأعوام الأخيرة من حياتها .

أما توقيت القيام بالرحلة ، فهناك اختلاف بشأنه ، فنجد أن مدام دى خيترو De Khitrowo وهى التى قامت بترجمتها من الروسية الى الفرنسية - قد ذكرت أن أقدم المخطوطات المتعلقة بالرحلة والتى وصلت اينا ترجع الى النصف الثانى من القرن السادس عشر م ، وتقرر أنه على الرغم من ذلك ، فهناك بعض الاحتمالات فى أن تكون أحداثها ، قد جرت فى الأعوام الأخيرة من القرن الثانى عشر م^(٦) .

والواقع أننا نرى أن وجود أقدم النسخ الخطية للرحلة وقد رجعت الى النصف الثانى من القرن السادس عشر ، لا يعنى بالضرورة أن الرحلة جرت وقائعها خلال تلك المرحلة ، والمنطقى تصور أنها جرت خلال القرن الثانى عشر م ، إذ اختوت على اشارات ملوك وأباطرة حكموا خلال القرن المذكور ، وعلى الأرجح خلال النصف الثانى منه . ومع ذلك فليس فى الامكان الاتفاق مع المترجمة فى ترجيحها للأعوام الأخيرة من القرن الثانى عشر ، لتكون توقيت قيام ايو فروزين برحلتها الى بيت المقدس ، إذ أنها وضعت تاريخا لها خلال عام ١١٧٣م^(٧) فى مقدمة ترجمتها للنص ، وفى هذا تناقض بين ، ومن ناحية أخرى ، أشارت الى أن ايو فروزين قابلت خلال ثرحالها الامبراطور مانويل كومنين ١١٤٥ - ١١٨٠ م ، ثم أن اتووتر يرى أنها قابلت الملك عمورى ملك مملكة بيت المقدس الصليبية ١١٦٢ - ١١٧٢م^(٨) - وذلك اعتمادا على الحوليات الروسية على ما يبدو - الأمر الذى يدعونا الى تصور أن الرحلة جرت خلال سننى حكم ذلك الملك الصليبي أى خلال المدة من ١١٦٢ الى ١١٧٢م تقريبا .

وينبغى أن نقرر هنا ناحية هامة ، ألا وهى أن مدام دى خيترو ، قدمت رأيها فى تحديد تاريخ الرحلة بقولها أن ايو فروزين التقت بالامبراطور البيزنطى مانويل كومنين ، وكان فى طريقه لشن هجوم ضد أعداء الامبراطور من المجرين ، وتقرر أنه لا توجد لدينا اشارات تاريخية تدل على قيامه بهجمات ضدهم حينذاك^(٩) ، ونرى أن من المحتمل أن تلك الرواية قصد بها الحملة التى قام بها مانويل ضد الايطاليين فى المدة من ١١٧١ - ١١٧٣م وكان ذلك بالقرب من حدود المجرين ، ومع ذلك فليس فى

الامكان - فى تصويرى - الأخذ بذلك الرأى لعدم توافر ما يدعمه من الاسانيد ، ويبقى التحديد من ١١٦٢ الى ١١٧٢م تحديدا متوازنا وأقرب الى التصور المنطقى .

وتجدر الاشارة الى أن رحلة ايو فروزين قد تميزت بميزات متعددة على غيرها من الرحلات التى كتبها الرحالة الأوربيون الذين جابوا ربوع مملكة بيت المقدس الصليبية ويمكن اجمالها فى عدة نقاط :

أولا : اننا نعرف عن صاحبة الرحلة معلومات وافية ، عند مقارنتها بغيرها من الرحالة الذين يصعب معرفة الشئ الكثير عن جوانب حياتهم ، خاصة تلك المرحلة التى سبقت قيامهم برحلات الى المنطقة ، فالملاحظ أن بعض الرحالة لا نعرف الا مجرد أسمائهم فقط دون أية تفاصيل أخرى عن نسبهم وأعمالهم ، أما فى حالة ايو فروزين فالأمر مختلف ، حيث نعرف اسمها ، ونسبها ، ونشاطها الديرى ، فى مرحلة ما قبل القيام برحلتها .

ثانيا : ان ايو فروزين تكاد تكون الوحيدة - على ما نعلم - من بين الرحالة الأوربيين الذين وصلت اليها رحلاتهم الى المملكة الصليبية خلال القرن الثانى عشرم ، التى نعرف أنها انحدرت من أصول أرستقراطية نبيلة ، فهى أميرة روسية ، أما باقى الرحالة فلم تكن لهم تلك الوضعية الطبقيّة المتميزة .

ثالثا - تميزت صاحبة الرحلة بأنها تكاد تكون المرأة الوحيدة أيضا التى قامت برحلة الحج الى بيت المقدس خلال ذلك القرن ووصلت اليها رحلتها ، بينما كافة الرحلات الأخرى كتبها رحالة رجال ويمكن تعليل ذلك من خلال ملاحظة أن المشاق التى واجهت الحجاج خلال الطريق الطويل الى المدينة المقدسة كانت من التعدد بمكان بحيث أن الرجال كان بإمكانهم تحملها ، وقل عدد النساء اللائى استطعن خوض غمار تلك التجربة ، وبالتالي فإن ما وصلنا من رحلات ألفها رحالة رجال كان متزايدا فى العدد اذا ما قورن الأمر بما ألفته النساء ، وبعبكس الأمر - فى جانب آخر هام - ما تمتعت به ايو فروزين من قوة الشكيمة ومضاء العزيمة بحيث أنها تجشمت مصاعب الطريق الى أن حققت مبتغاهما فى بلوغ المحارم المسيحية المقدسة فى فلسطين .

رابعا : اختلفت رحلة ايو فروزين عن غيرها من الرحلات التى وصلت اليها من القرن الثانى عشر م ، من خلال أنها لم تكتب رحلتها بنفسها ، وإنما كتبت على يد أحد

المعاصرين ، بل المرافقين لها في رحلتها ، نظرا لأوصافه الدقيقة للقديسة ايو فروزين وما مر بها من أحداث ، ومن المرجح أنه عمل في السلك الكنسي ، أن أن ثقافته بصورة كاملة ذات بعد ديني كنسي واضح . ونبغى أن نلاحظ أن كتابة بعض الرحلات من جانب أحد المرافقين للرحالة الأصلي لم يكن بالأمر الفريد بالنسبة لرحلة ايو فروزين إذ أن لدينا رحلة قام بها بطرس الأديبري Peter The Iberian في القرن الخامس الميلادي ، كتبها مرافقه يوحنا روفيس John Rufus (١٠) ، على نحو يعكس أن مثل ذلك الأمر قديم وحدث من قبل قيام ايو فروزين برحلتها بنحو سبعة قرون كاملة .

خامسا : اختلفت ايو فروزين عن غيرها من الرحالة الأوربيين من حيث وضعيتها الدينية ، إذ وصفت بأنها « قديسة » ، ولا نعرف أن أحدا من الرحالة الذين قاموا بالترحال الى المنطقة خلال ذلك العصر ، قد وصف بأنه قدس ، ولعل تلك الناحية ، وطابع القداسة الذي ارتبط بها ، قد جعل رحلتها ذات طابع ديني واضح المعالم .

فهما يكن من أمر ، فإن رحلة الرحالة الروسية ايو فروزين أعانت على إلقاء الضوء على مملكة بيت المقدس الصليبية من خلال عدة جوانب .

فعلى المستوى السياسي ، وردت إشارات الى قيام الملك الصليبي عموري ناستقنال ايو فروزين (١١) استقبالا حسنا ، وبدو أن الملوك الصليبيين حرصوا حرصا كبيرا على مقابلة كبار الشخصيات السياسية والدينية التي تفقد على المملكة من أجل تبادل المصالح المشتركة وتدعيم روابط المملكة الصليبية مع جيرانها ، ومن المرجح أن ايو فروزين حرصت على طلب المزيد من دعم المملكة الحجاج الدوس القادمين الى البقاع المقدسة ، وذلك بفضل وضعيتها السياسية من ناحية والديانة من ناحية أخرى ، ومع ذلك ، فنلاحظ أن المؤرخ وليم الصوري - المعاصر للملك عموري - لا يشير في تاريخه الى أمر اللقاء الذي تم بين تلك الأميرة الروسية والملك الصليبي ، وبدو أن مثل ذلك اللقاء رددته الحواريات الروسية لظهور ايو فروزين بالمظهر اللائق بها من التقدير والتوقير ، ومن المتصور أن تغلب تحايل وليم الصوري لأمر اللقاء بين الجانبين ، أنه سعى ما وسعه السعي الى إيراد الحوائط السياسية والحربية الخاصة بالمملكة ولم يجد في تلك الحادثة أهمية كبيرة تجذب أن يخصص لها جزءا ولو بسييرا في تاريخه ، خاصة أن المقابلة ذاتها لم تنجم عنها أية نتائج سياسية ملموسة على السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس الصليبية .

أما الزاوية الاقتصادية فيمكن ادراكها من خلال ناحيتين ، الأولى أن أيو فروزين منحت العديد من الهبات والمنح لكنيسة مملكة بيت المقدس والبطريرك^(١٢) ، وهذا يدل على مدى الثراء العريض الذي كانت عليه بحيث قدمت تلك الأعطيات والمنح ، ويبدو أنها كانت تمثل الروس جميعا في ذلك المسلك ، وهدفت من وراء ذلك إلى كسب عطف المملكة لرعاية الحجاج الروس ، والحصول على دعم الكنيسة ذاتها للمسير في نفس الاتجاه ، ويلاحظ أنها عبرت عن ظاهرة عامة تمثلت في تقديم الحجاج للهبات والمنح للكنيسة في بيت المقدس ، كل وفق قدراته وإمكاناته ، ومن المهم ادراك أن ذلك الجانب الاقتصادي له انعكاساته السياسية أيضا ، إذ أن ذلك يوضح المكانة الكبيرة ، والنفوذ الواضح « للمؤسسة الدينية » داخل الوجود الصليبي في بلاد الشام في ذلك العصر .

أما الناحية الثانية فتتمثل في أن الرحلة تضمنت إشارة إلى أيو فروزين فقد وضعت عند الضريح المقدس مصباحا من الذهب الخالص^(١٣) ، أظهرها للمحبة والتبرك ، وليكون رمزا قائما ودائما هناك ، ومن المحتمل أنها قدمت من بلادها ومعها ذلك المصباح الثمين ، حيث اعتاد الحجاج أن يجلبوا معهم بعض المقتنيات النفيسة ، من أجل أن يهبوها إلى تلك المواقع المقدسة لديهم ، ومن الممكن افتراض أن تكون قد حصلت عليه عن طريق تلك الأسواق التجارية التي كانت تقام هناك ، ولا ريب في أن النشاط التجاري قد ازدهر في مملكة بيت المقدس الصليبية ، ليس فقط للموقع البالغ الأهمية لبلاد الشام عموما كحلقة اتصال بين تجارة الشرق والغرب ، بل وأيضا من خلال أن عناصر الحجاج المسيحيين مثلت قوة شرائية لا يستهان بها ، هبات راجعا تجاريا مؤثرا ، در على ميزانية المملكة دخولا طائلة .

ومن الممكن ملاحظة ، أن أغلب الحجاج لم يكن يستطيع أن يقدم لتلك المواقع المقدسة إلا بعض الشموع البيضاء التي تم اشعالها هناك ، ويبدو أن جلب تلك الأميرة الروسية لذلك المصباح من الذهب الخالص يدل على ثرائها من ناحية ، وعلى أنها كانت - من ناحية أخرى - تمثل بلادها والعناصر الروسية ، بصفة عامة خلال رحلتها إلى تلك البقاع المقدسة ، وبالتالي اختارت ذلك المصباح ليكون من أنفس المعادن .

أما إذا نحينا المستويين السياسي والاقتصادي جانبا ، وانتقلنا إلى المستوى الديني الكنسي ، فيلاحظ ثراء هذا الجانب بالذات في رحلة تلك الأميرة الروسية ،

نظرا لطبيعة العصر من جهة ، وللوضعية الدينية الخاصة لأيو فروزين من جهة أخرى .

والواقع أن رحلة تلك القديسة الروسية تكشف بجلاء وضاح ، عن استمرار تدفق حركة الحجاج الروس الى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في فلسطين ، فمن قبل وعند أوائل عهد الصليبيين ببلاد الشام زار الملكة الأب دانيال ، وهما نحن بصدد شخصية روسية أخرى ونعنى بها أيو فروزين ، ولا ريب في أن المدة الزمنية التي فصلت بين رحلتى الحج لكل منهما شهدت تزايد أعداد الروس الذين قدموا الى هناك ، ومن المرجح أن رحلة الحج ذاتها قد لقيت تشجيعا من الأوساط السياسية في كل من روسيا والملكة الصليبية على نحو أدى بدوره الى تزايد تدفق أعداد الروس ، ومن جهة أخرى ، فإن قيام أيو فروزين برحلة الحج في أخريات عمرها يعكس أن البعض منهم راودته رغبة صادقة للحج طوال حياته ، ولم تقتسن له الظروف المناسبة الا بعد أن بلغ من الكبر عتيا .

ومن الملامح الدينية الهامة الأخرى ، وجود الرغبة لدى بعض الحجاج في أن يدفنوا في مدينة بيت المقدس ، تبركا بما شهدته تلك المدينة من ذكريات المسيحية الأولى ، فتشير الرحلة الى أن أيو فروزين طلبت أن تدفن هناك^(١٤) ، وبعد بعض الصعوبات ، تمت الموافقة على تحقيق تلك الرغبة التي اختلجت في صدرها ، ويلاحظ أن ذلك مثل امتدادا لمظاهرة دفن العديد من القديسين في تلك المدينة ، ولا يمكن تعليل مثل تلك الرغبة لدى أيو فروزين الا من خلال شعور ديني قوى ، في عصر ساد فيه الاعتراف بكرامات القديسين ومكانتهم السامية ، ومع ذلك فيتبعى أن ندرك أنه في أعقاب دفنها في المدينة المقدسة ، قام أهلها بنقل رفاتهما الى روسيا ، حيث تم دفنها في مدينة كييف كييف كييف مسقط رأس أجدادها حكام روسيا ، وهناك صارت تحتل مكانا عليا وتتبنوا منزلة رفيعة ، وصار قبرها موقعا لزيارة الأهلين ، وتم تحديد يوم بذاته ليكون بمثابة عيد الاحتفال بذكراها ، وهو يوم ٢٣ مايو من كل عام^(١٥) .

ومن جهة أخرى توضح لنا الرحلة ، استمرار ارتباط الرحالة والحجاج القادمين الى الملكة - ارتباطهم بالمواضع التي شهدت ذكريات المسيحية في عهدها المبكر ، ومن أمثلة ذلك ، أن أيو فروزين اغتسلت - وهي مريضة - بمياه نهر الأردن نظرا لكون السيد المسيح عليه السلام قد تعمّد فيه وغسل أقدام حواربيه بمياهه ، ولا ريب في أن مياه ذلك النهر تنظر اليها المعاصرون بنوع من التبرك والقداسة^(١٦) .

وأضف الى ذلك ، أن الرحلة تفيد في تصوير المشاعر الانسانية المتصلة بسفر الحجاج ، وتوديعهم لأسرهم ، وتركهم لبلادهم من أجل الذهاب الى تلك الأماكن المقدسة^(١٧) التي هفت نفوسهم اليها ، وفي هذا المجال نجد رحلة ايو فروزين تنفرد بتصوير تلك الناحية بصورة يندر أن نجدها في الرحلات الأخرى .

وهكذا فيحق لنا أن نقرر أن رحلتها توافر فيها « البعد الانساني » بجلاء ، من خلال رصد احساس الحجاج ومشاعرهم في رحلتهم للحج . ولا نغفل هنا ملاحظة أن الأوصاف المتصلة بهذا الجانب نجدها دقيقة بصورة ندعم الاعتقاد بأن مؤلف الرحلة كان وقيق الصلة بأيو فروزين على نحو ممكن من رصد تلك الاحساسات والمشاعر ، بل والعبارات الدينية المذكورة في الصلوات ، يمثل تلك الصورة الدقيقة .

وعلى المستوى الديني أيضا اوضحت الرحلة جانباً هاماً ، وهو ما اتصل بمكانة رئيس دير القديس ساباس St. Saba ، إذ تقرر الرحلة أن ايو فروزين عندما ارادت أن تدفن في الأرض المقدسة ، طلبت من رئيس دير القديس ساباس الموافقة على ذلك ، ومن الممكن ملاحظة أن من كان يشغل ذلك المنصب تمتع بمكانة كبيرة لدى الاوساط الدينية في مملكة بيت المقدس الصليبية ، إذ كان يعتبر كبير الموظفين الكنسيين الارثوذكس^(١٨) ، ومن جهة أخرى ، اعتبره البعض أهم من بقي بفلسطين من عناصر رجال الدين الارثوذكس^(١٩) ، وقد حرص الملوك الصليبيون على تقديم الاراضى للدير المذكور ، وتدعيم مكانته ودوره في الأرض المقدسة ، ونظراً لكون رئيس دير ساباس قد تمتع بتلك المكانة الكبيرة لدى عناصر المسيحيين الارثوذكس ، فقد اتجه اليه الحجاج الروس من أجل معاونتهم في كافة ما عن لهم من أمور تتعلق برحلتهم في فلسطين خلال تلك المرحلة ، ومن الضروري أن نتذكر حقيقة هامة ألا وهي ، أن دانيال الروسى اتجه الى الدير المذكور ، وكان ذلك من أوائل المناطق التي زارها هناك ، ولا جدال أن تكرار تردد ذكر دير القديس ساباس ورئيسه في كل من الرحلتين الروسيتين ، يدل بجلاء على أن الحجاج الروس بصفة عامة اكدوا من التردد على الدير المذكور لزيارته ، وللاتصال برئيسه الذي تمتع بمكانة دينية كبيرة ، واتصل بالقيادات السياسية الصليبية على نحو هيا له فرصة تذليل الصعاب التي واجهتهم على ما يبدو .

وفضلاً عن ذلك ، احتوت الرحلة على تناول لبعض الأديرة في المملكة الصليبية ، مثل دير القديس ثيودوسيوس^(٢٠) ، ثم دير القديس ساباس^(٢١) ، ودير يسمى روس بجوار كنيسة القديسة العذراء في بيت المقدس^(٢٢) ، والواقع أن الرحلات الأوربية

أشارت الى الديرين الأولين كثيرا ، بيد أن الدير الثالث لم يتردد ذكره الا فى هذه الرحلة . ولا نعرف عما اذا كانت هذه التسمية « روس » هى تسمية أخرى لأحد الأديرة التى كانت قائمة من قبل مقدم ايوفروزين الى المدينة المقدسة ، أم أن عناصر من الروس قامت بإقامته فسمى بذلك ، ومع ذلك فمن الصعوبة بمكان تحديد تصور محدد فى هذه الناحية ، نظرا لعدم وضوح نصوص الرحلة فى هذا الصدد ، اذ انها اكتفت بمجرد الإشارة الى تلك الأديرة فقط دون تقديم أية تفاصيل أخرى عنها .

مهما يكن من أمر ، فمن الضرورى عند دراسة رحلة ايو فروزين عقد مقارنة بين رحلتها ورحلة دانيال ، نظرا لأن كلا منهما كان روسيا ، وارتحل الى نفس المدينة المقدسة ، وخلال نفس القرن ونعنى به القرن الثانى عشر م ، فضلا عن ذلك الصفة الدينية لكل منهما حيث عملا فى المجال الكنسى ، ولا ريب فى أن كافة تلك العناصر تجعل مشروعية عقد مقارنة بين الرحلتين أمرا واردا .

والواقع أن رحلة دانيال امتازت بتناول جوانب متعددة عن الوجود الصليبي فى فلسطين على المستويات السياسية والحربية والاقتصادية والدينية ، على نحو لم يتسن لرحلة ايو فروزين ، التى – من الواضح – أن رحلتها جعلت جل اهتمامها منصبا على الزاوية الدينية أكثر من غيرها .

وفضلا عن ذلك نجد أن رحلة دانيال تمتاز بتفاصيلها واثرائها بينما غلب طابع الاختصار والايجاز على رحلة ايو فروزين ، كما نجد أن دانيال قد تنقل بين مناطق متعددة وفى أنحاء مختلفة من أملاك الصليبيين ، بينما من الواضح أن رحلة ايو فروزين جعلت أقصى غايتها مرتبطة بمدينة بيت المقدس ، وندر فى رحلتها تناول مناطق أخرى خلافا .

وتوجد زاوية أخرى اختلفت فيها الرحلتان ، إذ أن دانيال – على ما يبدو – قضى فى بلاد الشام أمدا أطول من ذلك الذى أمضته ايو فروزين ، ودلينا على ذلك حجم ما ورد فى رحلته من مناطق مختلفة شاهدها هو نفسه ولم ينقل غيره بصدها ، وثناء رحلته بالتفاصيل – التى أشرنا اليها – ولا ريب فى أن ذلك من شأنه أن يستغرق من صاحبها زمنا طويلا ، فى عصر كانت وسائل المواصلات فيه بدائية ، وخاصة فى مناطق متباينة التضاريس ومظاهر السطح ، أما رحلة ايو فروزين فهى قد تركزت على ناحيتين : الأولى مقدمها الى بيت المقدس ، والثانية مرضها الذى أودى بحياتها، ومن المنطقى تصور أن ذلك كله لم يستغرق وقتا طويلا ، وحجم ما ورد فى الرحلة من

مناطق زارتها القديسة ايو فروزين - وهو قليل كما ذكرت - يكشف لنا بجلال صدق
تصورنا حيال قصر المدة التي استغرقتها رحلتها في ربوع فلسطين .

وصفوة القول ، فان رحلة دانيال - نظرا لكونه قد كتبها هو نفسه - تفيض حيوية ،
وذلك عند مقارنتها برحلة ايو فروزين التي لم يتوافر فيها ذلك العامل ، مع
ملاحظة ان هذا الوضع قد املى على الباحثين الدارسين لرحلة الأخيرة واقعا
مختلفا ، اذ اهتمت الرحلة يتناول القديسة الروسية وقل الاهتمام بالمناطق التي
تجولت فيها وتنقلت بين ربوعها ، ولا جدال في أن ذلك مثل اختلافاً أساسياً عن رحلة
دانيال .

ومع ذلك ، فمن الضروري التقدير بأن وجود مثل تلك الاختلافات بين الرحلتين ،
وتفوق رحلة دانيال على رحلة ايو فروزين فيما تقدمه من تناول لأوضاع المملكة
الصليبية وعلاقاتها بالقوى السياسية المجاورة ، لا ينقص من قيمة رحله
ايو فروزين ، التي سبق وأن أوضحنا مدى تميزها بميزات متعددة ، ولا ريب في أن
تلك الميزات ضمنت لها مكانها اللائق بين الرحلات التي وصلت اليها من ذلك العصر
وهي تساهم مع غيرها من الرحلات التي قام بها الحجاج الى مملكة بيت المقدس
الصليبية ، تساهم في رسم صورة تلك المملكة وأوضاعها المختلفة ، وتطور حركة
الحج المسيحي الى المنطقة .

هكذا تناولنا رحلة القديسة الروسية ايو فروزين ، وما تميزت به من اشارات
مختلفة عن المملكة الصليبية ، وأوجه الاختلاف بينها وبين غيرها من الرحلات التي
وصلت اليها من ذلك العصر .

الهوامش :

(١) اعتمدت في اعداد هذا الفصل على نص رحلة ايو فروزين Euphrosine والتي قامت بترجمتها مدام دي خيترو De Khitrowo من الروسية الى الفرنسية ، ونشرتها تحت عنوان رحلة حج القديسة ايو فروزين اميرة بولوتسك في فلسطين ، ونشرت في مجلة الشرق اللاتيني ، الجزء الثالث ، الصادر في باريس عام ١٨٩٥ م ، على مدى الصفحات من ص ٣٢ الى ص ٣٥ ، عن ذلك انظر :

De Khitrowo, «Pelerinage en Palestine de l'Abbesse Euphrosine», R.O.L. T. III, Année 1895, pp. 32—35.

وسوف نشير بصفه مستمرة الى الرحلة في هوامش الفصل هكذا Euphrosine

ومن المهم ملاحظة ان جهد مدام دي خيترو في ترجمة النص من الروسية قد اعتمدت على ما نشر في الحوليات الروسية Stepennaia Kniga ، المجلد الاول ، الصفحات من ٢٧٩ الى ٢٨١

عن ذلك انظر : Euphrosine, p. 32.

ويلاحظ ان رحلة ايو فروزين قد نشرها بالروسية الباحث سخارو Sacharow وصدر عمله في سان بطرسبرج في عام ١٨٢٧ م ، انظر :

Ruhright, chronologisches Verzeichniss der Heiligen Landes Bezuglichen Literature Von 333 Bis 1878, P. 665.

أما بالنسبة للمؤلفات الانجليزية فنجد ان الرحلة لم تحظ باهتمام من كل من بيزلي Beazley في كتابه The Dawn of modern geography

وكذلك جون رايت John Wright في كتابه The geographical Lore فلا غفل كل منهما تناولها .

وبالنسبة للغة العربية نجد ان نقولا زيادة في دراسته عن رواد الشرق العربي في العصور الوسطى ، لم يتناول على الاطلاق الرحلة المذكورة في كتابه القيم والهام .

ومن جهة اخرى ، ينبغي ان نقرر منذ البداية ان هناك قديسة اخرى حملت اسم ايو فروزين Euphrosine وتاريخها غير معروف بدقة ، ويوم الاحتفال بذكراها يوافق يوم ٢٥ سبتمبر ، وقد نسجت حولها أسطورة معينة ، فهي قديسة شهيدة ، عذفت عن الزواج ، وارتدت ثياب الرجال ، والتحققت بأحد الأديرة . ونشب بينها وبين والدها خلاف ، ولكن بعد وفاتها التحق والدها بذات الدير الذي التحقت به ايو فروزين من قبل ، ويقرر اتوتر عدم وجود معلومات كافية مؤكدة عن تلك القديسة ، ولكن ذكرها ظلت قائمة في الشرق ، ويتم الاحتفال بها .

عن ذلك أنظر :

Attwater, The Penguin Dictionary of Saints, p. 123.

Euphrosine, p. 32.

(٢)

Attwater, The Penguin Dictionary of Saints, p. 123.

وجدير بالذكر أن بولوتسك Polotsk قد وقعت في ليتوانيا Lithuania ضمن حدود روسيا البيضاء ، وحدها من الجنوب الشرقي فتتيبسك Vitebsk ومن الغرب أوبكستايينيا ، ويبدو أن بولوتسك احتلت موقعا استراتيجيا هاما ضمن حدود ليتوانيا ، ولذلك حرص غالبية كبار الأمراء الروس على إخضاعها لسيادتهم السياسية ، ومن المعروف أن الأمير الروسي ياروسلاف على سبيل المثال تمكن من السيطرة على بولوتسك ، هي وغيرها من المدن المجاورة •

عنها أنظر :

Morfill, The Story of Russia. London 1904, p. 28.

Fennell, Ivan The Great of Moscow, London 1961, p. 8, p. 9.

Dictionnaire Encyclopedique quillet, Paris 1970, p. 5348.

Larousse Du XXe Siècle, T. V, Paris 1932, p. 684.

(٣) عن ذلك أنظر الفصل الثاني •

Euphrosine, p. 32.

(٤)

Attwater, Op. Cit., p. 123.

(٥)

Euphrosine, p. 32.

(٦)

Ibid, p. 32.

(٧)

Ruhricht, Op. Cit., P. 665.

Attwater, Op. Cit., p. 123.

(٨)

Euphrosine, p. 33.

(٩)

Wilkinson, Jerusalem Pilgrims, p. 4.

(١٠)

Attwater, Op. Cit., p. 123.

(١١)

Euphrosine, p. 33.

(١٢)

Ibid, p. 33.

(١٣)

Ibid, p. 34.

(١٤)

Runciman, A History of the crusades, Vol. II, p. 322.

Atwater, Op. Cit., p. 123.

(١٥)

(١٦) عن ذلك انظر :

Daniel, p. 28.

Hetellus, pp. 6—7.

John of Wurzburg, p. 56.

Theoderich, p. 64—65.

Euphrosine, p. 33.

(١٧)

Runciman, Op. Cit., p. 321.

(١٨)

Runciman, Op. Cit., p. 321.

(١٩)

Euphrosine, p. 34.

(٢٠)

Ibid, p. 34.

(٢١)

Ibid, p. 34.

(٢٢)

الفصل السادس

بنيامين التطيلي

١١٦٣ - ١١٧٠ م

بنيامين التطيلي

(١١٦٣ - ١١٧٠ م)

تحتل رحلة الرحالة اليهودي الاسباني بنيامين التطيلي^(١) مكانة متميزة في القاء الضوء على أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية وعلاقاتها بالقوى السياسية المجاورة ، وقد قدم تناولا هاما لتوزيعات العناصر اليهودية وأعدادها ، وكذلك نشاطها الاقتصادي لا سيما على الصعيدين التجاري والصناعي على نحو لا نجد نظيرا له لدى الرحالة المسيحيين الذين زاروا المملكة في مرحلة زمنية مقاربة .

وجدير بالذكر أن ذلك الرحالة لم يسع ما وسعه السعي - مثل غيره من الرحالة المسيحيين - الى ايراد ذكر الأماكن والمواقع المقدسة لديهم فقط ، بل اهتم بإبراز الجوانب الاقتصادية والمذهبية بصورة تمتاز بالثراء والتفصيل ، فضلا عن ذلك ، فاننا أمام تعدد ما وصل اليه من مؤلفات أولئك الرحالة ، وقلة مؤلفات الرحالة اليهود الذين زاروا المنطقة خلال القرن الثاني عشر م ، فمن المنطقي أن تحتل رحلة بنيامين التطيلي مكانة متميزة بين الرحلات الأوروبية التي بلغتنا من تلك المرحلة .

والواقع أن هناك عدة دوافع دفعت بالرحالة اليهود الى القدوم الى فلسطين خلال العصور الوسطى ، فهناك الرغبة في الاطلاع على أوضاع اليهود في تلك المنطقة ومعرفة هل هناك أية صور من الاضطهاد تلحق بهم أم لا ، كذلك وجدت رغبة قوية لمعرفة حجم الأسواق التجارية وقدرات المنطقة الاستهلاكية من أجل فتح أسواق جديدة يرتادها التجار اليهود ، وينبغي أن نقرر أن الجانب الاقتصادي لا سيما التجاري يمثل عنصرا هاما من بين دوافع ارتحال الرحالة اليهود الى فلسطين حينذاك .

ومن المقرر أن يهود العصور الوسطى غالبا ما ارتحلوا الى مسافات أبعد من تلك التي قطعها معاصروهم من المسيحيين ، وكانت أسفارهم في الأغلب الأعم في مجال التجارة ، فضلا عن ناحية هامة أخرى ، ألا وهي رغبتهم في القيام بالحج الى بيت المقدس ، حيث توجد العديد من المواقع المقدسة لديهم خاصة مقابر كبار رجال الدين اليهود ، وفي هذا المجال ترك الرحالة اليهود عدة مؤلفات كانت بمثابة المرشد أو الدليل الجغرافي لآخوانهم الذين رغبوا في الارتحال الى تلك المدينة ، وفي

ذلك اتفقوا مع الرحالة المسيحيين الذين ألفوا مؤلفات في نفس المضمار ، وفي المرحلة السابقة على اندلاع الحروب الصليبية ونقيام مملكة بيت المقدس اللاتينية أشار الرحالة المسلمون الى تدفق أعداد كبيرة من اليهود لزيارة تلك المدينة (٢) .

ويلاحظ أن حجم معرفتنا بنيامين التيطلي محدود ونستمد أغلبه من خلال رحلته نفسها ، والواقع أن الربى بنيامين Benjamin ، ووالده يدعى يونا Jonah ، قد ارتحل الى الشرق من مدينة طليطلة Tudela ، وقام بالتجوال في مناطق جنوب فرنسا ، وإيطاليا ، واليونان ، والقسطنطينية ، وكذلك بلاد الشام والعراق ، ومصر ، واليمن ، وغيرها من البلاد ، ثم عاد أدراجه الى أسبانيا في عام ١١٧٣م ويقال أنه خلال ما يقرب من خمسة عشر عاما ، زار ما يقرب من ثلاثمائة موضع (٣) في مختلف بقاع العالم المعمر حينذاك .

أما توقيت زيارته لمملكة بيت المقدس الصليبية ، فلا يوجد تحديد مؤكد لهذه الناحية ، ومن ثم فمن الممكن أن تقترب من الاشارات التي وردت في الرحلة ، والتي من الممكن الافادة منها في الاقتراب من تاريخ قدومه الى هناك .

وجدير بالذكر أن الرحالة أشار الى أن أمير أنطاكية وقت زيارته لها هو بوهيمند بوانتين الملقب بوبه Bemon d Poitovin Le Boube (٤) ، ويعنى به بوهيمند الثالث الذي حكم من عام ١١٦٣ الى عام ١٢٠٠م تقريبا (٥) ، ومعنى ذلك أن رحلته حثرت خلال تلك الأعوام ، ومع هذا ، فهناك إشارة تفيد أن دمشق حاضرة نور الدين ، وهذا يعنى بالطبع أن نور الدين محمود كان لا يزال حيا عندما زار بنيامين التيطلي بلاد الشام ، ولما كنا نعرف من خلال المصادر التاريخية أنه توفي عام ٥٦٩هـ / ١١٧٣م (٦) ، فمعنى ذلك أن رحلة بنيامين التيطلي تمت قبل العام المذكور ، ويمكن الافادة من ذكره لبوهيمند الثالث ونور الدين محمود على اعتبار أن تلك الرحلة جرت خلال الأعوام من ١١٦٣ الى ١١٧٣م ، ومن ناحية أخرى ، نجد أنه قام بزيارة بلاد الشام قبل أن يزور مصر ، وعند ذكره الأخير أشار الى أن من يحكمها من الشيعة العلوية (٧) . وهذا يدل بجلاء على أن مصر حينذاك كان الحكم الفاطمي لا يزال قائما بها ، وحيث أن دولة الفاطم لم تسقط الا عام ١١٧١م ، فمن المحتمل تصور أن رحلته في ربوع مملكة بيت المقدس الصليبية قد جرت فيما بين الأعوام من ١١٦٣ الى ١١٧٠م تقريبا وفق الاستنتاجات السابقة .

وجدير بالذكر ، أنه نظرا لكون بنيامين التيطلي من الرحالة اليهود ، فطبيعي أن

تأتى اهتماماته مغايرة لاهتمامات الرحالة الأوربيين المسيحيين الذين قدموا إلى الممكلة الصليبية خلال تلك المرحلة ، وقد اهتم اهتماما خاصا بالعناصر اليهودية ، ونجده لذلك يحرص على أن يورد أعدادهم فى كل مدينة من مدن بلاد الشام التى زارها ، فهو مثلا يذكر أن مدينة صور احتوت على أربعمائة من العناصر اليهودية^(٨) ، كما أن الرملة بها ثلاثمائة منهم^(٩) ، أما دمشق ففيها ثلاثة آلاف ، وفى حلب يقل العدد عما قدره لدمشق فيصل إلى ألف وخمسمائة يهودى^(١٠) .

وبعنيينا بالضرورة تناوله لأعداد اليهود فى مدينة بيت المقدس ، ونجد أنه ذكر وجود مائتى عائلة يهودية بها ، غير أن براور يقرر أن ذلك العدد ورد فى بعض النسخ المخطوطة للرحلة ، وجبته أربع عائلات يهودية فقط ، على اعتبار أن الصليبيين كانوا قد منعوا اليهود والمسلمين من العودة إلى الاستقرار فى المدينة المقدسة ، وصدر مرسوم رسمى يمنعهم من التواجد خشية أن يؤدى وجودهم إلى تدنيس قدسية المدينة ، وهكذا ، فإذا وجدنا يهودا أو مسلمين فيها فهم فى العادة ججاج أو أناس حصلوا على موافقة خاصة على القدوم من أجل انجاز بعض المهام أو الأعمال ، ودفعوا فى مقابل ذلك رسوما معينة من أجل الموافقة على القدوم للمدينة^(١١) .

والواقع أننا من الممكن أن نؤيد ما ذهب إليه براور على اعتبار أن أعداد اليهود لم تكن كبيرة فى بيت المقدس ، من خلال ادراك أن تلك المدينة لم تكن ذات أهمية اقتصادية كبيرة ، وأن أهميتها اتسمت بالطابع الدنى البصرى ، ثم هناك إشارات وردت فى مؤلفات رجاله آخريين قدموا للمنطقة بعد قيام بنيامين التطللى بمرجلته إلى المملكة الصليبية ، أعطت انطبعا بأن أعداد اليهود فى تناقص مستمر ، بصورة تفتد تصوير أنهم مثلوا مائتى عائلة فى تلك المدينة كما ورد فى بعض النسخ المخطوطة للرحلة .

مهما يكن من أمر ، فيبدو أن ذلك الرحالة اليهودى أراد توضيح أن الوجود اليهودى كان قائما فى كافة المناطق المعمورة حينذاك ، وأن اليهود شكلوا عناصر نشطة ومؤثرة ، وعمد إلى أن يدعم تصويره من خلال الأرقام الدالة على ذلك الوجود .

ومن المرجح أن تلك الناحية العددية التى أوردها ذلك الرحالة ينبغي ألا نأخذها كحقيقة مؤكدة ، نظرا لكون ذلك العصر لم يعرف وسائل الإحصاء الدقيقة ولم يكن ذلك فى مقدور الرحالة بالطبع ، فخيلا عن طابع المبالغة المتوقع فى مثل تلك الأمور .

أما بالنسبة للنشاط الاقتصادى لليهود فى مملكة بيت المقدس الصليبية خلال القرن الثانى عشر م ، فإننا نجد أن ذلك الرحالة يقرر أنهم فى مدينة صور الساحلية

ذات النشاط التجارى المزدهر ، امتلكوا السفن^(١٢) ، ولاشك فى أن ذلك يسدل على مساهمتهم فى نشاط المدينة التجارى مع عالم البحر المتوسط ، كذلك فانهم عملوا بصناعة الزجاج النفيس الذى عرف بالزجاج الصورى نسبة الى تلك المدينة^(١٣) .

أما وجودهم فى بيت المقدس فقد ساهم بنشاط صناعى من خلال عملهم بالصباغة ، اذ أنهم استأجروا معملا للصباغة من ملك مملكة بيت المقدس الصليبية بصفا سنوية^(١٤) ، ويبدو أنهم أثبتوا براعة فى أعمال الصباغة ، ولا أدل على ذلك من أنهم صاروا يعرفون بها ، حتى صارت شبه منحصرة فيهم ، ولا يعمل بها أحد غيرهم الا فى القليل النادر ، ويبدو أن تلك الحرفة امتدت تفوق اليهود فيها الى مدن أخرى غير تلك المدينة المقدسة ، ومن أمثلة ذلك صيدا ، اذ أن ذلك الرحالة يقرر أن اليهود يوجدون فى صيدا ويتعاملون مع الدروز هناك وعملوا فى بعض الحرف كالصباغة^(١٥) ، وأنهم كانوا يذهبون الى أماكن تجمعات الدروز فيقيمون عندهم مدة ثم يعودون ادراجهم الى أهلهم .

ولا ريب فى أن اليهود ، خاصة مع تفوقهم فى بعض الحرف والصناعات قد ساهموا فى النشاط الاقتصادى فى المدن التى عملوا بها ، ومع ذلك فيلاحظ أن وجودهم تزايد فى المدن الاسلامية اذا ما قورن بالمدن الخاضعة للسيادة الصليبية ، ويكفى أن نطالع فى هذا المجال الأعداد التى يذكرها بنيامين التيطلى نفسه عن توزيعات اليهود فى المدن الشامية المختلفة - مع عدم اغفال ملاحظتنا عن تلك الأعداد - أنجدهم تزايدت فى المناطق الاسلامية بصورة كبيرة عن تلك التى خضعت لسيطرة الصليبيين .

وتعليل ذلك الوضع يعود الى المعاملة الطيبة التى عومل بها اليهود فى داخل المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية ، فاذا كانت العناصر اليهودية قد عانت من مذابح كبيرة ارتكبها الصليبيون فى بداية الحملة الصليبية الأولى فى حوض الراين^(١٦) وكذلك خلال الحملة الصليبية الثانية ، الا أن المجتمع الاسلامى احتضن تلك العناصر طالما أنها أدت دورها فى المجال الاقتصادى ، ومن ثم وجد اليهود فرصة أكبر فى العيش فى أمن وسلام داخل المدن الاسلامية ، خاصة أن تلك المدن مثل دمشق وحلب وقعت على خطوط التجارة العالمية ، ومثلت مراكز بالغية الأهمية لحركة التجارة القادمة من آسيا والمتجهة الى أوروبا ، ومن ثم عمل اليهود فى المجال التجارى كوسطاء تجاريين من خلال موقع تلك المدن ، ولا ريب فى أنهم حققوا مكاسب مادية كبيرة على نحو جعلهم يمثلون جزءا هاما من الحركة الاقتصادية فيها .

ومن الأمور ذات الدلالة ، أن ذلك الرحالة لم يشير البتة الى أية اضطهادات تلحق باليهود في المناطق الخاضعة للسيادة الإسلامية . كذلك من الواضح أن أعدادهم القليلة نسبيا في المدن الخاضعة لسيادة الصليبيين تكشف لنا بجلاء أن المدن الأخيرة كانت تمثل مناطق طرد لهم .

وبالإضافة الى تناول اليهود في مملكة بيت المقدس ، نجد أن ذلك الرحالة اهتم في تناوله لأوضاع تلك المملكة بعدة زوايا محددة ، فتمثل في عرضه لبعض القوى الدينية مثل الاسماعيلية النزارية والدروز وعلاقاتهم بالصليبيين ، ثم أيضا الاهتمام بدور المدن الواقعة على الساحل الشامى في النشاط التجارى ، وكذلك عناصر الهذات الحربية الصليبية وعلى نحو خاص الاسبتارية والدارية ، وأخيرا الزلازل وآثارها المدمرة في المناطق الصليبية ، وسوف نتناول بالعرض تلك الجوانب التي أبرزها ذلك الرحالة اليهودى :

أما بالنسبة للاسماعيلية النزارية ، فنجد أنه يذكر أنهم يتبعون أوامر وتعاليم شيخهم ، ويطيعونه طاعة كاملة ، وأن مقامه محصن ويسمى قدموس ، وأشار الى تضاميتهم سويا^(١٧) ، وأنهم يقتلون الملوك والأمراء اذا اقتضى الأمر ذلك ، ومن جهة أخرى ، تناول نزاعهم مع الصليبيين وأمير طرابلس^(١٨) .

والمواقع أن عناصر الاسماعيلية النزارية في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر ، اشتهرت بطاعتها العمياء لشيخها . وهناك نص مشابه لما ذكره بنيامين التطلس نجده لدى ابن حبير ، إذ ذكر أنهم يطيعون شيخهم طاعة كاملة ، وإذا أمر أحدهم أن يتردى من شاهقة جبل لفعل^(١٩) ، كذلك أقر بنيامين نفسه أن مقر شيخ الدجيل في قلعة قدموس^(٢٠) وهي إحدى القلاع التي عرفت بقلاع الدعوة في بلاد الشام مثل العليقة^(٢١) ، والينقة^(٢٢) ، والخوابي^(٢٣) ، ومحباف^(٢٤) ، والكهف^(٢٥) ، والرحافة^(٢٦) .

وقد ذكر ذلك الرحالة أمر قتل الاسماعيلية النزارية للملوك والأمراء ، ويلاحظ أن تاريخهم طوال ذاك القرن وعلى نحو خاص خلال الثلث الأول منه هو تاريخ الاغتيالات والقضاء على خصومهم المذهبين والسياسيين ، مسع تركيز الاسماعيلية النزارية اغتالاتهم لعناصر القيادات المسلمة السنية والتي اتهم بعضها بدور هام في حركة الجهاد الاسلامى ضد الغزو الصليبي ، ومن أمثلة ذلك ، اغتيال جناح الدعاة حسنة صاحب حمص عام ١١٠٣م^(٢٧) ، وخلف بن ملاعب صاحب أقاميه^(٢٨) عام ١١٠٥م ، ورفيع الدين مؤيدون اتابك الموصل^(٢٩) عام ١١١٣م ، وأحمد بن صاحب مراغة^(٣٠)

عام ١١١٤م ، وأيضا اقسفقر البرسقى اتابك الموصل^(٣١) عام ١١٢٦ ، كذلك بوزى ابن طفتكين^(٣٢) عام ١١٢٢م ، ثم ابنه من بعده عام ١١٣٥م^(٣٣) ، أما القيادات الصليبية فلم تسقط أعداد كبيرة منها كذلك الذى حدث مع القيادات المسلمة السنية ، والواقع أن الاسماعيلية النزارية أحيانا تحالفوا مع الصليبيين ، ضد المسلمين السنيين ، ومع ذلك سقطت بعض الزعامات الصليبية صرعى من جراء هجمات الفداوية ، ومن أمثلتهم رايموند الثانى أمير طرابلس Raymond II of Tripolis الذى أُغتيل نحوالى عام ١١٥٢م^(٣٤) ، وكذلك كونراد المونتفرى Conrad de Montferrat الذى ضربه خناجر الفداوية عام ١١٩٢م^(٣٥) .

ومن الأهمية بمكان ملاحظة ، أن قيادة الاسماعيلية النزارية فى بلاد الشام ، فى الوقت الذى قام فيه بنيامين التطيلي بزيارة مملكة بيت المقدس الصليبية ، تعثت فى راشد الدين سنان ، والذى تمكن من السيطرة الكاملة على أتباعه ، وقدر له أن يتولى قيادتهم لأمم طويل بلغ ثلاثين عامًا ١١٦٣ - ١١٩٣م . واستطاع أن يتنافس القيادة الاسماعيلية الأم فى الموت فى بلاد فارس ، وأوجد مذهبًا خاصًا به فى الشام عرف بالسنائية^(٣٦) ، وبصفة عامة اعتُبر من أقوى القيادات الاسماعيلية فى الشام خلال عصر الحروب الصليبية .

ومعنى ذلك ، أن بنيامين التطيلي قد زار المنطقة فى وقت تزايد قوة نفوذ راشد الدين سنان على أتباعه ، ومن ثم وجد ذلك الرخالة أن من الضروري أن يوزع عنهم تلك الاشتارات الهامة التى ذكرها فى رُحلته .

ولأجدال ، فى أن عناصر الاسماعيلية النزارية فى بلاد الشام قد لعبت دورا بالغ الخطورة فى سبيل اضعاف الجبهة الإسلامية وحركة الجهاد ضد الغزو الصليبي ، ومثل الصراع السني - الشيعي جانبًا مؤثرًا فى اضعاف الجبهة الإسلامية التى كان من الممكن أن تحقق انجازات اكبر خلال تلك المرحلة من مراحل صراعها مع العدو الصليبي فى حالة اتحادها وتماسكها ، وجاءت اشارات ذلك الرحالة الأسباني لتعطينا انطباعًا بأنهم شكلوا عناصر متطرفة ومتفوقة على نفسها ، وعملت على تصفية المخالفين والمعارضين لهم جسديًا ، من أجل ارباب الآخرين ، وفرض سيطرتهم وسيطرتهم بالقوة المسلحة ، وبالتالي قدموا للصليبيين خدمة كبيرة من خلال تبيدهم لحايات المسلمين فى مجال الصراع المذهبي الذى لا طائل من ورائه .

وبصفة عامة ، من الممكن ملاحظة حقيقة هامة ، ألا وهى أن عناصر الاسماعيلية

النزارية بما عرفوا به من الارهاب وسفك الدماء مثلت عناصر مخيفة - على الأرجح -
للغرباء القادمين والوافدين على المنطقة ، ومن ثم حرصوا على ايراد جانب من
أخبارهم ، ونجد مثالا صادقا دالا على ذلك فى صورة الرحالة بنيامين التيطلى ،
والأهمية التى أولاها لهم فى ثانيا رحلته .

أما فيما يتصل بإشارة ذلك الرحالة الى الصراع بين الاسماعيلية النزارية فى
إمارة طرابلس مع أميرها الصليبي ، فذلك مرجعه الى وجود قلاع الدعوة فى مناطق
مجاورة للقلاع الاسبتارية Hospitallers والداوية Templars ، على نحو أدى
الى وجود نزاع وتنافس سياسى بين القوتين^(٣٧) حول من تكون له القوة والنفوذ فى
تلك المنطقة ، ومع ذلك فيلاحظ أن سلاح الاغتيال الذى شهره الاسماعيلية النزارية فى
وجوه أعدائهم كان كفيلا يبت الرعب فى نفوس الصليبيين ، خوفا من وقوعهم ضحايا
لذلك السلاح الفتاك .

كذلك ذكر بنيامين التيطلى الدروز وذلك عندما تناول بالحديث مدينة صيدا
Sidon . بالجنوب اللبناني ، وقد قدم لنا عرضا لحياتهم فى المناطق الجبلية ، كذلك
تحدث عن اتجاههم نحو الميثاق الجنسى^(٣٨) ، ومن المرجح أنه استمد معلوماته فى
هذا الشأن من خلال المصادر السنية التى عرفت بعداؤها الشديد للعناصر الدرزية ،
ويلاحظ أن نفس تلك الأوصاف التى ذكرها نجدها لدى عدد من الجغرافيين والمؤرخين
المسلمين السنيين^(٣٩) ، ويبدو أن تلك الاتهامات الخاصة بالتحلل الخلقي فى المجتمع
الدرزي صارت شائعة فى مصادر ذلك العصر .

مهما يكن من أمر ، فإن أهمية ذلك النص الذى قدمه ذلك الرحالة تعود الى أنه
من النصوص القليلة والنادرة التى تحدثت عن الدروز خلال عصر الحروب الصليبية
ومن خلال عيون أجنبية عن المنطقة وافدة عليها ، إذ أن غالبية نصوص المصادر
التاريخية التى أشارت إليهم ، كانت من جانب المؤرخين المسلمين السنيين ، الذين
هاجموا الدروز هجوما شديدا ، ومع ذلك فانه لم يشر اليهم بنفس القدر من التفصيل
والاهتمام الذى أولاه للعناصر اليهودية فى أنحاء مملكة بيت المقدس الصليبية وفى
خارجها ، فعلى حين قدم تناولا هاما للدور الاقتصادى والتجارى والحرفى لليهود ،
جاءت معلوماته ضئيلة عن ذلك الدور بالنسبة للدروز ، ويبدو أن انعزالية الوجود
الدرزى وتقوقعه على نفسه قد أدت الى ذلك الموقف ، فضلا عن إهتمامه كيهودى
باليهود وكل ما اتصل بهم خلال رحلته .

ومن ناحية أخرى ، أعطت رحلة بنيامين التطيلي أهمية متميزة للنشاط الاقتصادي ، ولا سيما التجاري في المدن الواقعة على الساحل الشامي ، والخاضعة للسيادة الصليبية ، خاصة أن تلك المدن شهدت ازدهارا تجاريا واضحا على مدى القرن الثاني عشر م ، على نحو أكدته نصوص الرحالة الأوربيين الذين زاروا المملكة من قبل مقدم بنيامين التطيلي الى المنطقة .

وفي هذا المجال أشار الى صور Tyre وقد وصفها بأنها لا يوجد نظير لها في العالم ، كما تناول حركة التجارة فيها ، وذكر أنها متسعة وأن التجار يقدمون اليها من كافة البقاع والانحاء^(٢٠) ، وقيمة اشارته أنها أوضحت مكانة صور التجارية ، ولم تأتي اشارته من جانب مؤرخ صليبي رسمي مثل وليم الصوري مثلا ، وإنما جاءت من رحالة يهودي اسباني وافد على المنطقة .

ومن جهة أخرى ، كان من الطبيعي أن تحتل عكا Acre مكانتها اللائقة بها في تلك الرحلة ، نظرا لكونها أحد الموانئ الرئيسية لمملكة بيت المقدس الصليبية ، ونجد أن بنيامين التطيلي أشار الى أن لها ميناء كبيرا ترسو عنده السفن المسافرة الى بيت المقدس^(٢١) وتفيد اشارته هنا في توضيح أن ذلك الميناء استخدم من أجل تدعيم حركة الحج الى المملكة وبقاعها المقدسة ، وهو بالتالي مثل ميناء هاما مدعما لنشاط يافا التي قامت بذات الهدف أيضا .

ومن الملاحظ أن حجم تناوله لدور عكا جاء محدودا إذا ما قورن بالنصوص الأخرى التي قدمها الرحالة الأوربيون الآخرون ، مثل يوحنا فوكاس Joannes Phocas^(٢٢) على سبيل المثال ، ومن المحتمل أن ذلك الرحالة الاسباني لم يمتص في عكا الا فترة يسيرة ، ومن ثم جاءت أوصافه لها مقتضية ، أو أن مصادره عنها كانت مصادر شفوية موجزة ، والاحتمال الثاني هو الأرجح ، إذ أنه في حالة قيامه بزيارتها لقدم لنا تناولا أكثر تفصيلا عنها نظرا لادراكنا لأهميتها وتميزها بصورة واضحة خلال تلك المرحلة .

أضف الى ذلك أنه تناول مدينة هامة على الساحل الفلسطيني وتعنّى بها مدينة عسقلان Ascalon وذكر أنها مدينة عامرة وجميلة على ساحل البحر ويصل الى مينائها عدد كبير من التجار وذلك بسبب قربها من مصر^(٢٣) ، ولا شك في أهمية ما أورده من حيث أنه يوضح أوضاع مدينة عسقلان وذلك بعد أن خضعت للسيادة الصليبية في عام ١١٥٣ م ، وقد أفاد الصليبيون من اخضاعهم لتلك المدينة التي عرفت بعروس

الشام والتي ازدهرت تجارتها من خلال قربها من الحدود المصرية ويبدو أنها مثلت حلقة اتصال بين النشاط التجارى المصرى والشامى ، كذلك اتصلت بالتجارة القادمة من آسيا الى الأسواق الأوربية ، وقد أفاد الصليبيون من عوائد المكوس المفروضة على حركة التجارة عبر ذلك الميناء الحيوى الهام ، ويبدو أن ازدهارها التجارى السابق فى عهد الفاطميين قد استمر فى عهد الصليبيين .

وبالإضافة الى ذلك ، احتوت رحلته على تناول هام لعناصر فرق الرهبان الفرسان خاصة الاسبتاريه والداوية ويقدم اشارتين ذاتى طابعين طبى وحربى ، فيذكر أن بالقدس مستشفين بإمكانهما معالجة أربعمائه من فرسان الاسبتارية وذلك بالإضافة الى المرضى الذين يتجهزون بكل ما يلزمهم فى الحياة وبعد الممات^(٤٤) ، أما الداوية ، فانه يذكر أنهم يقيمون فى معبد سليمان وأن عددهم يقدر بنحو ثلاثمائه يقومون بالتدريب على فنون القتال^(٤٥) ، ومن الملاحظ أن اشارة ذلك الرحالة الى الهيئتين المذكورتين تعد محدودة عند مقارنتها بما أورده الرحالة الألمانى يوحنا الورزبرجى John of Wurzburg الذى قدم لنا تناولا أكثر تفصيلا عن الهيئتين ونشاطهما العلاجى والحربى على نحو فاق - بصورة كبيرة - ما أورده بنيامين التطيلي فى رحلته ، وهناك فارق آخر هام وهو أن الرحالة الألمانى كان شاهد عيان زار بنفسه مؤسسات الاسبتارية العلاجية بينما الرحالة الأسبانى لا يستدل من رحلته أنه زار هو نفسه تلك الأماكن ، ويبدو أن مصادره عنها كانت من خلال روايات الرواة .

ويوجد جانب هام ميز رحلة بنيامين التطيلي ، ونعنى به تناوله للزلازل التى منيت بها مملكة بيت المقدس الصليبية خلال القرن الثانى عشرم والتي أدت الى الحاق خسائر بشرية ومادية جسيمة ، وفى هذا المجال أشار الى أن طرابلس أصابها زلزال دروع على نحو أدى الى هلاك عدد كبير من اليهود وغيرهم وانهارت المنازل ، وبلغ عدد الذين أودى بحياتهم ما يزيد على العشرين ألفا^(٤٦) وذلك فى أنحاء المملكة الصليبية .

ويبدو أن تناوله للزلازل وأثرها التدميرى فى مدينة طرابلس بشمال لبنان عكس أن تلك المدينة احتوت على تركيز سكانى كبير على نحو صارت معه الخسائر البشرية متزايدة عند حدوث تلك الهزات الزلزالية ، ويدعم مثل ذلك التصور أن الرحالة ناصر خسرو عندما زار تلك المدينة من قبل قيام بنيامين التطيلي برحلته بقرن كامل أو يزيد (بالتحديد عام ١٠٤٣م) أشار الى أن مبانيها احتوت على عمائر تكونت من « أربعة

أدوار وخفسة وستة أيضا» (١٧) ، ومثل ذلك الوضع في مدينة مزدهرة من الطبيعي توقع ازدياد الكثافة السكانية بها في المرحلة الفاصلة بين رحلتى الرحالة المسلم والرحالة اليهودي .

ومن الواضح أن قيمة النص الذي أورده ذلك الرحالة الاستباقي تتضح من خلال ادراك أن الزلازل التي نكبت بها بلاد الشام بصفة عامة خلال ذلك القرن تناولتها المصادر الصليبية بإيجاز واقتضاب ، ومن ثم فإن اشارته تقدم تناولا للخسائر في الجانب الصليبي ، ويغوض بالتالي النقص الذي نجده في ذلك الجانب ، على الرغم من وفرة ما لدينا من نصوص المؤرخين المسلمين ومنهم المعاصر كابن القلانسي على سبيل المثال ، مع ملاحظة أنه جعل جل اهتمامه قائما على دمشق ، حاضرة الشام الكبرى .

ومع ذلك ، فليس من اليسير الأخذ بأرقام الخسائر البشرية التي وردت في الرحلة إذ أنها لم تكن احصائية ، ولكن بصفة عامة من الممكن اعتبارها دليلا وصانعا على بشاعة ما أحدثته تلك الهزات الزلزالية من آثار تدميرية .

صفوة القول ، أن رحلة الرحالة اليهودي الأسباني بنيامين التيطلي ، احتوت على اهتمامات متعددة سواء بالنسبة للأنشطة الاقتصادية في مملكة بيت المقدس الصليبية أو بالنسبة للخريطة العقائدية والمذهبية للمنطقة ، بالإضافة الى الجوانب السياسية المختلفة على نحو ضمن لرحلته مكانا جديرا بها بين الرحلات التي وصلت إلينا من ذلك العصر .

الهوامش :

(١) اعتمدت في دراسة رحلة بنيامين التطيلي على الترجمة الانجليزية التي قام بها وليم رايت وضمنها كتابة الرحلات المبكرة في فلسطين الصادر في لندن عام ١٨٤٨م ، انظر :

William Wright, Early Travels in Palestine, London 1848.

وتوجد كذلك ترجمة الى اللغة العربية قام بها عزرا حداد وصدرت في بغداد عام ١٩٤٥م ، وقد أفدت منها في بعض الأحيان على نحو أثبتته في هوامش الفصل .
وقد صدرت اول طبعة للرحلة باللغة العبرية وذلك من جانب مطبعة سونسينو في القسطنطينية في عام ١٥٤٢م ، تم بعدها طبعة فرارة بايطاليا عام ١٥٥٦م ،
وفريبرج عام ١٥٨٢م ، وليدن عام ١٦٦٣م ، وامستردام عام ١٦٩٨م .
ثم صدرت طبعة في امستردام من جانب بارتيير Barutier وذلك في عام ١٧٣٤م .

وهناك ترجمة الى اللغة الفرنسية قام بها بيرجيرون Bergeron وذلك ضمن مجموعة رحلات في آسيا في القرون الثاني عشر ، والثالث عشر ، والرابع عشر ،
والخامس عشر للميلاد ، وصدرت في لاهاي عام ١٧٣٥م ، انظر :

Voyage de Celebre Benjamin, Trans. by Bergeron, Voyages en Asie dans les XII, XIII, et XIV et XV siècles, La Haye 1735.

كذلك قام أشير بترجمة الرحلة الى الانجليزية وصدرت في مجلدين في لندن وبرلين وذلك في عامي ١٨٤٠م ، ١٨٤١م ، عن ذلك انظر :

The Itinerary of Rabbi Benjamin of Tudela. Trans. by Asher, 2 Vols., London, Berlin 1840—1841.

وهناك ترجمة الى الهولندية قام بها كايزر Keijzer وصدرت في ليدين عام ١٨٤٧م .

كذلك قام وليم رايت بترجمة الرحلة الى الانجليزية ضمن الرحلات المبكرة في فلسطين والذي صدر في لندن عام ١٨٤٨م ، على مدى الصفحات من ٦٣ الى ١٢٦ .
عن ذلك انظر :

William Wright, Early Travels in Palestine, London 1848, pp. 63—126.

ثم قام بترجمتها كارمولى Carmoly وصدرت في بروكسل في عام ١٨٥٢م .
وساهم ادلر بترجمتها الى الانجليزية وعلق عليها وصدر عمله في لندن عام ١٩٠٧م ، انظر .

The Itinerary of Benjamin of Tudela, Critical Text, English Translation and Commentary, edited by M.N. Adler, London, 1907.

ثم هناك ترجمة الى الأسبانية قام بها ج. لوبيرا وصدرت في مدريد في عام ١٩١٨م ، عنها انظر :

G. Llubera, Viajes de Benjamin de Tudela, Madrid 1918.

ويقرر توبلر في كتابه عن بيليوغرافيا فلسطين الجغرافية والذي صدر بالألمانية في ليزج عام ١٨٦٧م ، أنه لدينا عدد تسع نسخ مخطوطة من أصول رحلة بنيامين التطيلي ، وكذلك تحت أيدينا عدد ست وعشرين ترجمة بلغات متعددة لنفس الرحلة .

عن طبعات الرحلة وجهود الباحثين في نشرها وترجمتها الى العديد من لغات العالم انظر :

Tobler, Bibliographica Geographica Palestinae, p. 17.

Ruhricht. Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Heiligen Landes Bezuglichen Literatur, Von. 333, Bis 1878, pp. 37—38.

Mayer, Bibliographie Zur Geschichte der Kreuzzuge, Hannover 1965, p. 65.

Asher, The Itinerary of Rabbi Benjamin of Tudela, Vol. I, London 1840, pp. 1—26.

Gennadius, Voyages and Travels in Greece, The Near East and adjacent regions made previous to the year 1801, Vol. II, Princeton 1953, pp. 67—71.

(٢) ناصر خسرو ، سفرنامه ، ص ٧٣ .

John Wright, The Geographical Lore of the Time of the Crusades, p. 117, Parker, A History of Palestine, London 1949, p. 148.

(٣) وعن بنيامين التطيلي واسفاره ، انظر :

The Universal Ency., «Benjamin of Tudela», Vol. II, New York 1969, p. 180, Ency. Judeca, «Benjamin of Tudela», Vol. IV, Jerusalem 1973, pp. 535—538. William Wright, Early Travels in Palestine, p. 63.

وقد ذهب روث في كتابه عن مختصر تاريخ الشعب اليهودي الصادر في لندن عام ١٩٥٣م الى القول بان بنيامين التطيلي قام برحلته في ختام القرن الثاني عشر ، انظر نص ما ذكره في كتابه .

« Benjamin of Tudela, A jew who traversed the whole of the Mediterranean world at the close of the Twelfth Century».

ومن الواضح أن تحديده بعد متأخرا عن المدة المحددة لرحلة ذلك الرحالة اليهودي ، وقد رأى أغلب الباحثين الذين تخصصوا في دراسة رحلات الرحالة اليهود أنه انتهى من رحلته في أنحاء العالم عام ١١٧٣م تقريبا ، ولم يكن ذلك قط في ختام القرن المذكور بالصورة التي تصورها روث ، عن كتابه ، انظر :

Roth, A short History of Jewish people, London 1953, p. 216.

(٤) بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ٨٧ ، حاشية (١) •

(٥)

Rey, «Resume chronologie de l'histoire des princes d'Antioch», R.O.L., T. IV, Année 1896, p. 374.

Schlumberger, Chaandon, Blanchet, Sigillographie de l'Orient Latin, Paris 1943, p. 34.

حسين عطية ، إمارة أنطاكية والمسلمون (١١٧١ - ١٢٦٨م) ، ط٠ الاسكندرية ١٩٨٩ ، ص ٥٢٦ ، عاشور ، الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص ١٣٠٦ •

(٦) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨/ق ١ ، ص ٣٠٥ ، ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق محمود زايد ، ط٠ بيروت ١٩٧١م ، ص ٢٢١ ، الذهبي ، دول الاسلام ، ج٢ ، ص ٨٣ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٤ ، ص ٥٢٨ •

(٧) بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ١٧٣ •

وجدير بالذكر أن المستشرق الفرنسي كلود كاهن اتجه الى القول بأن بنيامين التطيلي كان موجودا في الشام عام ١١٦٧م ، دون أن يدعم ذلك بالأسانيد المعصدة له ، انظر اشارته :

Cahen, La Syrie du nord à l'époque des croisades, Paris 1940, p. 94.

Benjamin of Tudelu, p. 80.

(٨)

Ibid. p. 83.

(٩)

(١٠) بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ١١٥ - ١١٦ •

(١١) عن إشارة بنيامين التطيلي ، انظر : الرحلة ، ص ٩٩ •
وانظر رأي براور الهام •

Prawer, «The settlement of the Latins in Jerusalem», Speculum, Vol. XXVII, p. 494, note (21).

وعن سياسة الصليبيين تجاه اليهود بصفة عامة ، انظر :

برلور ، عالم الصليبيين ، ص ١٨٤ .

Benjamin of Tudela, p. 80. (١٢)

Ibid, p. 80. (١٣)

وعن ازدهار صناعة الزجاج في صور انظر :

الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ٤ ، ص ٣٦٥ .

حيث يذكر عنها « يعمل بها جيد الزجاج » .

William of Tyre, Vol. II, p. 9.

سر الختم عثمان ، مدينة صور في القرنين ١٢ ، ١٣ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧١م ، ص ٢٩٦ - ص ٢٩٨ ، ويلاحظ أن ازدهار تلك الصناعة وجد في مناطق أخرى في المملكة الصليبية ، إذ أن جاك الفترى يقرر أن الزجاج الصافي تفوقت صناعته في مدينة عكا ، انظر :

Jacques de Vitry, The History of Jerusalem, Trans. by A. Stewart P.P.T.S., Vol. XI, London 1896, p. 92—93.

Benjamin of Tudela, p. 93. (١٤)

وقد عملوا بنفس الصناعة في مصر ، انظر :

قاسم عبده قاسم ، اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، ط ٠ القاهرة ١٩٨٧م ، ص ٦٢ .

Ibid, p. 80. (١٥)

(١٦) عن الاضطهادات التي وجهت لليهود خلال تلك المرحلة من جانب الصليبيين ، انظر :

Patlayeam, «Les Juifs, Les infidels d'Europe», L'Histoire, T. LXVII, Année, 1982, p. 38—39.

Goitein, «Geniza sources for the crusader period, Survey», in Outremer Studies in the history of the Crusading Kingdom of Jerusalem, presented to Joshua Prawer, Jerusalem 1982, p. 302.

قاسم عبده قاسم ، الاضطهادات الصليبية لليهود أوروبا من خلال حولية يهودية ، الظاهرة ومغزاها ، ندوة التاريخ الاسلامي والوسيط ، م (١) ، عام ١٩٨٢م ، ص ١٣٧ - ص ١٦٦ ، «الجروب الصليبية في الأدبيات المربية والأوربية واليهودية» ، مجلة المستقبل العربي ، عدد (٨) ، عام ١٩٨٧م ، ص ٢٠ - ٢١ .

• ويلاحظ أن هناك حوليات يهودية متخصصة في موضوع الاضطهادات التي تعرض لها اليهود خلال تلك المرحلة ، مثل حولية سليمان بن شمشون ، وحولية الربى اليعازر بن ناثان ، وقصة الاضطهادات القديمة •

The chronicle of Solómon bar Simson, The chronicle of Rabi-Eliezar bar Nathan, The Narrative of the old persecutions.

ويشير د • قاسم عبده قاسم الى كتاب اليهود والصليبيون ، الحوليات العبرية للحملات الصليبية الأولى والثانية والذي صدر من جانب جامعة ماديسون عام ١٩٧٧ م ، واحتوى على ترجمات انجليزية لتلك الحوليات وقام بالترجمة شلومو ايدلبرج ، انظر :

The Jews and the Crusaders, the hebrew chronicles of the first and second Crusades, Trans. by Shlomo Eidelburg, Madison Univ. 1977.

• نقلًا عن قاسم عبده قاسم في مقالته المنشورة في مجلة المستقبل العربي •

Benjamin of Tudela, p. 78. (١٧)

Ibid; p. 78. (١٨)

(١٩) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٢٩ •

Ibid, p. 78. (٢٠)

وقعت قلعة القدس الى الشرق من قلعة المرقب فيما بين قلعتي مصياف والكهف ، وقد تمكن الاسماعيلية النزارية من الاستيلاء عليها من صاحبها سيف الدين ابن عسرون عام ١١١٣ - ١١١٣ م ، واستغلوا موقعها ضمن إقليم بانياس من أجل مهاجمة المسلمين والصليبيين على حد سواء •

• عن قلعة القدس ، انظر :

ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج ٢ ، ص ٥١ ، ص ٢٥٢ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ط ١ القاهرة ١٩١٣ م ، ص ١٤٧ ، ونسيان ، التجريب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ ، زكي نقاش ، الحشاشون وأثرهم في السياسة والأجتماع ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٥٠ م ، ص ١٣٣ ، لويس ، الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، ت • سهيل زكار ، ط ١ دمشق ١٩٧١ م ، ص ١٢٥ ، عبد الكريم حناملة ، « صلاح الدين الأيوبي وموقفه من القوى المناوئة في بلاد الشام » ، الدارة ، السنة (١٢) ، العدد (٢) ، سبتمبر ١٩٨٦ م ، ص ١٦٢ •

Stevenson, The Crusaders in The East, p. 120.

وأيضاً : الخريطة الخاصة بقلاع الاسماعيلية النزارية فى بلاد الشام فى القسم الخاص بالخرائط •

(٢١) وقعت العليقة الى الشمال ممن قلعة المينقة وجنوب شرق جيلة ، عنها أنظر :

القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٧ ، الياس ديب ، العقود الدرية فى تاريخ المملكة السورية ، ط ٠ بيروت ١٨٧٤م ، ص ٩٢ ، سالم ، طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامي ، ط ٠ الاسكندرية ١٩٦٧م ، ص ٣١٦ •

Le Strange, Palestine under Islam, p. 352.

(٢٢) وقعت قلعة المينقة شمال قلعة الكهف والى الغرب من قلعة القدموس ، عنها ، أنظر :

ابن بطوطة ، الرحلة ، ط ٠ بيروت ١٩٦٤م ، ص ٧٦ ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٨ ، عارف تامر ، سنان وصلاح الدين ، ط ٠ بيروت ١٩٥٦م ، ص ٧١ ، أيضاً الخريطة السابقة •

(٢٣) وقعت قلعة الخوابى فى شمال غرب صافينا وجنوب شرق المرقب ، عنها أنظر :

الادريسي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٧٥ ، ابن سعيد المغربي ، بسط الأرض فى الطول والعرض ، ص ٨٦ ، عمران ، الحملة الصليبية الخامسة ، ط ٠ الاسكندرية ١٩٧٨م ، ص ٦٠٤ ، أيضاً : الخريطة السابقة •

(٢٤) تسمى مصياف أو مصياب أو مصياث ، وهى من أهم قلاع الدعوة الاسماعيلية النزارية ، ووقعت الى الجنوب من قلعة الرصافة والى الشرق من قلعة القدموس ، عنها أنظر :

ابن القلانسي ، ذيل تلخيص دمشق ، تحقيق أميدروث ، ط ٠ بيروت ١٩٠٨م ، ص ٢٧٢ ، أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، ط ٠ برنستون ١٩٣٠م ، ص ١٤٨ ، حاشية (٢) ، ياقوت ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٥٥٦ ، جوزيف نسيم يوسف ، العدوان الصليبي على بلاد الشام ، هزيمة لويس التاسع فى الاراضى المقدسة ، ط ٠ بيروت ١٩٨١م ، ص ٢١٩ ، حاشية (١) ، أيضاً : الخريطة السابقة •

(٢٥) وقعت قلعة الكهف جنوب قلعة المينقة والى الشمال من قلعة الخوابى ، عنها ، أنظر :

القلقشندي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٤٧ •
Runciman, The Crusades, Vol. II, p. 200.
أيضاً : الخريطة السابقة •

(٢٦) القلقشندي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٤٦ - ص ١٤٧ .

(٢٧) ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ ، ابن العديم ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، تراجم الأمراء السلاجقة ، تحقيق على سويلم ، ط٠ أنقرة ١٩٧٦م ، ص ١٢٢ - ١٢٣ ، سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٨/ق ١ ، ط٠ حيدر أباد الدكن ١٩٥١م ، ص ١٣ .

Gibb. The Damascus chronicle of the Crusades, London 1958, p. 57, Lewis, The Ismailities and the assassins, in Setton, History of the Crusades, Vol. I, p. 111.

(٢٨) ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ١٥١ - ص ١٥٢ ، ابن تغري يردى ، النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص ١٩٢ ، السيد العزاوي ، فرقة النزارية ، ط٠ القاهرة ١٩٧٠م ، ص ١٠٧ .

(٢٩) عن شرف الدين مودود ودوره في جهاد الصليبيين ، انظر :

ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

Fink, «Maudud of Mosul precursor of Saladin», M.W. T. XLIII, 1953, pp. 18-37.

عبد الغنى رمضان ، « شرف الدين مودود » ، مجلة كلية الآداب - جامعة الرياض ، م (٤) ، السنة (٤) ، عام ١٩٧٦ - ١٩٧٧م ، ص ١٢٩ - ص ١٥٠ ، عفاف صبرة ، « الأمير مودود بن التونتكين » ، مجلة الدارة ، العدد (٢) ، السنة (١٢) ، عام ١٩٨٦م ، ص ١٠٩ - ص ١٣٢ ، عبد الرحمن زكى وعيسى ، الحروب بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ط٠ القاهرة ١٩٤٧م ، ص ١٦ .

وعن اغتياله ، انظر :

ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ ، ابن عساكر ، ولاة دمشق في العصر السلجوقي ، نشر المنجد ، مجلة المجمع العلمي بدمشق ، م (٢٤) ، ج (٤) عام ١٩٤٩م ، ص ٥٥١ ، عثمان عشري ، الاسماعيليون في بلاد الشام في القرنين ١٢ ، ١٣م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة القاهرة ، عام ١٩٧٥م ، ص ٧٥ ، كمال بن مارس ، العلاقة بين الموصل وحلب ودورها في الحرب الصليبية ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس ، عام ١٩٩١م ص ٢٠٦ .

(٣٠) ابن العديم ، بغية الطلب في تاريخ حلب - القسم الخاص بتراجم الأمراء السلاجقة ، ص ١٦١ .

(٣١) ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص ١١٤ ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٢ ، ص ٢٣٢ ، ابن الأثير ، الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق طليمات ، ط٠ القاهرة ١٩٦٣م ، ص ١٥ ، حسين عطية ، اماره أنطاكية الصليبية وعلاقاتها

السياسية بالدول الإسلامية المجاورة ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٨١م ، ص ١٩٨ ، ماجد ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٥٤ ، حامد غنيم ، الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٧ ، الديوجي ، الموصل في العهد الأتابكي ، ط ٠ بغداد ١٩٥٨م ، ص ١٩ .

Cahen, op. cit., p. 304.

(٣٢) ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤ ، ابن قاضي شهبة ، الكواكب الدرية في السيرة النورية ، تحقيق محمود زايد ، ط ٠ بيروت ١٩٧١م ، ص ٧٨ ، يوسف الدبس ، تاريخ سوريا ، ج ٦ ، ط ٠ بيروت ١٩٠٠م ، ص ٩٠ .

(٣٣) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ج ٣ ، ط ٠ استانبول ١٢٨٦هـ ، ص ٩ .

William of Tyre, Vol. II, p. 214.

(٣٤)

برنارد لويس ، المرجع السابق ، ص ١٢٦ .
أسامه زكي ، الصليبيون واسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية (القرن الثاني عشرم / السادس هـ) ، ط ٠ الاسكندرية ١٩٨٠م ، ص ٢٢٥ ، عاشور الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٣٠٦ .

وعلى الرغم من أن برنارد لويس يقرر أن رايموند الثاني كان الضحية الأولى للصليبيين التي اغتالها الجشاشون ، إلا أنه يقع في تناقض واضح عندما يرى أن كونراد المونتفرتي كان الضحية الأولى ، راجع ما ذكره ، ص ١٤ ، ص ١٢٦ ، والواقع أن رايموند الثاني كان بالفعل الضحية الأولى ، وقد فصل بين الحادثتين ما يزيد على الأربعين عاما .

Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion, Trans: by (٣٥)
Hubert, New York 1943, pp. 334—335, Eracles R.H.C., Hist. Occ., T. II, p. 191.

Geoffrey of Vinsauf, History of the expedition of Richard coeur de lion, in chronicles of the crusades, London 1908, p. 267.

Jacques de Vitry, History of Jerusalem, P. 116—117.

ابن شداد ، النوازل السلطانية ، ص ٢٠٨ ، العماد الأصفهاني ، الفتح القسي ، ص ٥٨٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ١٢ ، ص ٢٧ ، عفاف صبرة ، دراسات في تاريخ الدروب الصليبية ، ط ٠ القاهرة ١٩٨٥م ، ص ٢٠٨ .

Gabrieli, Arab Historians of the crusades, Trans. by Costello, London 1969, p. 238—240.

Brown, A Literary History of Persia, Vol. II, London 1909, p. 209.

(٣٦) عن راشد الدين سنان ودوره في قيادة الاسماعيلية النزارية في بلاد الشام حينذاك وسياسته تجاه مملكة بيت المقدس الصليبية ، انظر : ابن العديم ، سيرة راشد الدين سنان ، تحقيق برنارد لويس R.E.A., B. Lewis, T. VIII, 1966.

ص ٢٦٠ ، ص ٢٦١ ، ثلاثة تراجم من بغية الطلب ، تحقيق B. Lewis Melanges Fuad Koprulu ، ط٠ استانبول عام ١٩٥٣ ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ ، سبط بن الجوزي ، المصدر السابق ، ص ٤١٩ ، ابن تقي بردي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١١٧ .

ويلاحظ أن راشد الدين سنان بلغت سيطرته على أتباعه حدا ، أنهم اعتقدوا في غيبته ورجعته من بعد ذلك ، تماما مثلما اعتقد الشيعة الاثني عشرية برجعة الامام محمد بن الحسن العسكري بعد أن اختفى في سر من رأى ، ويقرر شيخ الربوة الدمشقي أن في حصن الكهف يوجد الغار الذي اختفى فيه راشد الدين ويقال أنه مدفون فيه ويزعمون أنه غاب فيه ، ويظهر منه ، بزعم طائفة منهم ، انظر عن ذلك ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص ٢٠٨ .

(٣٧) عن ذلك انظر :

مؤنس أحمد عوض ، التنظيمات الدينية ، ص ٢٧١ .

Benjamin of Tudela, p. 80.

(٣٨)

(٣٩) عن ذلك انظر :

ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص ٣٨٤ ، ابن العديم ، ثلاثة تراجم من بغية الطلب ، ص ٣٣٥ ، ابن أبيك الدويداري ، الدرر المضية في أخبار الدولة العاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط٠ القاهرة ١٩٦١ م ، ص ٣٣٤ ، شيخ الربوة ، المصدر السابق ، ص ٢٠٠ ، العثماني ، تاريخ صفد ، ص ٤٨٥ .

Ibid. p. 80.

(٤٠)

Ibid, p. 80.

(٤١)

(٤٢) انظر الفضل الخايس برحلة يوحنا فوكاس .

(٤٣) بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ١٠٩ .

(٤٤) نفسه ، ص ٩٩ .

(٤٥)

Ibid. p. 83.

Peters, Jerusalem, The Holy city in the eyes of chronicles, visitors, pilgrims and prophets from the days of Abraham to the beginnings of modern times, Princeton 1985, p. 328.

(٤٦) بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ٨٨ .

وعن الزلازل التي منيت بها بلاد الشام بصفة عامة خلال القرن الثاني عشر،
أنظر :

ابن الفلانسى ، المصدر السابق ، تحقيق زكار ، ص ٥١٥ ، ص ٥١٨ ،
ص ٥٢٥ ، ص ٥٢٦ ، الأصفهاني ، البستان الجامع لجميع تواريخ الزمان ، نشر
كلود كاهن B.E.O., T. VII—VIII Année 1937—1938 ص ١٢٨ ، عبد اللطيف
البغدادى ، الافادة والاعتبار ، تحقيق سببانو ، ط٠ دمشق ١٩٨٣م ، ص ٩٩ ،
ابن الوردي ، تنمة المختصر ، ج٢ ، ط٠ بيروت ١٩٧٠م ، ص ١٢٠ ، ابن الراهب ،
تاريخه ، ط٠ بيروت ١٩٠٧م ، ص ٧٤ .

Fulcher of Chartres, p. 189, p. 208, p. 210.

Anonymous Syriac chronicle, Trans. by Tritton, J.R.A.S., April 1933,
Part II, p. 303.

William of Tyre, Vol. II, p. 370.

Gibb, «The Career of Nur Al-Din», in Setton, The Crusades, Vol. I,
Pennsylvania 1958, p. 520.

مؤنس أحمد عوض ، الزلازل في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية
وآثارها ، دراسة عن النصف الثاني من القرن الثاني عشر ، تحت الطبع ، محمد
محمود محمددين ، « الزلازل والبراكين في جزيرة العرب وتراثهم ، الدارة ، العدد (١) ،
السنة (١٤) ، عام ١٩٨٨ ، ص ٤٤ ، اشتور ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق
الأوسط في العصور الوسطى ، ت٠ أبو عيلة ، ط٠ دمشق ١٩٨٥م ، ص ٢٨١ ، محمد
على المغربي ، الهزات الزلزالية ، ط٠ القاهرة ١٩٥٨م ، ص ٤٣ ، عماد الدين خليل ،
نور الدين محمود وتجربته الاسلامية ، ط٠ دمشق ١٩٨٧م ، ص ١٨ ، السيد سالم ،
دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي ، ط٠ بيروت ١٩٧٠م ، ص ١١١ ،
مصطفى أنور ، « نصوص تاريخه لمؤرخين دمشقيين عن زلازل القرن الثاني عشر »
B.E.O., T. XXVII, Année 1974 ، ص ٥٥ ، حسين مؤنس ، نور الدين محمود ،
سيرة مجاهد صادق ، ط٠ القاهرة ١٩٨٤م ، ص ٢٦٠ ، كرد على ، غوطة دمشق ،
ط٠ دمشق ١٩٥٤م ، ص ٥٥ .

(٤٧) ناصر خسرو ، سفر نامه ، ص ٤٣ .

الفصل السابع

تيسودريش

١١٧١ - ١١٧٣ م



Central Department of the Alexandria Library (4/116)
Bibliotheca Alexandrina

ثيودريش

(١١٧١ - ١١٧٣ م)

تميزت رحلة الرحالة الألماني ثيودريش^(١) باحتوائها على العديد من الجوانب المتعلقة بمملكة بيت المقدس الصليبية ، ومن أمثلة ذلك تناوله لعناصر الرهبان الفرسان مثل الاسبتارية والداوية وأنشطتهم في الأرض المقدسة سواء على الجانب الحربي أو الجانب الطبي العلاجي ، ومن جهة أخرى تناول المدن الساحلية الشامية ودورها في انعاش حركة التجارة في المنطقة ، وكذلك الأسواق التجارية الهامة في أنحاء المملكة الصليبية ، وفضلا عن ذلك قدم تناولا لوضع المسلمين الخاضعين للسيادة الصليبية ، ونظرا لأنه من الألمان ، فقد أمكن عقد مقارنة بين رحلته ، ورحلة رحلة آخر من بنى وطنه ونعنى به يوحنا الورزبرجي .

والواقع أننا لا نملك معلومات مؤكدة عن ثيودريش باستثناء اسمه - كما يلاحظ ستيوارت الذي قام بترجمة رحلته الى الانجليزية - ومن المحتمل أنه قد ورد لدى مقدمة رسالة يوحنا الورزبرجي الانجيلية Introductionary Epistle ولكن لا يوجد دليل مؤكد يدعم صحة ذلك^(٢) ، ومن المحتمل كما هو وارد في تلك المقدمة أنه ثيودريش الذي عمل أسقفًا لورزبرج^(٣) ، ويلاحظ الباحثون أن وصفه لكنيسة الضريح المقدس في بيت المقدس ، وعقده المقارنة بينها وبين كنيسة اكس لا شابيل Aix La Chapelle (آخن) يدل على أنه أكثر التردد على تلك البلاد^(٤) .

وتثار ناحية هامة عند دراسة رحلة ذلك الرحالة الألماني ، وهي المرحلة التي كتب فيها الرحلة ، وينبغي أن نقرر أنه قام بها في عهد الصليبيين قبل سقوط مملكة بيت المقدس الصليبية في قبضة المسلمين عام ١١٨٧ م ، وتوجد عدة دلائل تدعم مثل ذلك التصور ، فنجد أن ذلك الرحالة يشير في ثنايا رحلته الى البطريرك فوشيه Fulcher في الفصل الثاني عشر من رحلته ، وهو الذي شغل منصب البطريركية في بيت المقدس في المرحلة الممتدة من عام ١١٤٦ م الى عام ١١٥٧ م^(٥) . ومن جهة أخرى نجده قد أورد ذكر مدينة بانياس ، وأوضح أن المسلمين قد استولوا عليها في عام ١١٧١ م ، وهو ما نجده في الفصل الخامس والأربعين ، ولا تغفل ناحية

هامه تفيد فى تحديد توقيت قيام ثيودريش بالارتحال فى ربوع المملكة الصليبية ، اذ أنه تناول فى حديثه عن القلاع التى شيدها الصليبيون بالقرب من نهر الأردن ، احدى تلك القلاع المقامة من أجل صد اغارات نور الدين محمود ملك حلب ، ولما كنا نعلم أن الأخير ظل يحكم مملكته حتى عام ١١٧٤م ، فمن المنطقى تصور أن الرحلة جرت خلال مدة حكمه لبلاده ، ومن جهة أخرى يلاحظ البعض أن آخر تاريخ ورد فى الرحلة هو عام ١١٧٣م^(٦) ، مما ساعد على الاعتقاد بأنها جرت حوالى ذلك العام .

ولا تغفل حقيقة هامة ، اذ أن ذلك الرحالة الألمانى قد قام برحلته خلال حكم الملك عمورى ملك مملكة بيت المقدس الصليبية ، وهو الذى حكم فى المرحلة الزمنية الممتدة من عام ١١٦٢م الى عام ١١٧٣م ، ودليلا على ذلك أنه عندما أشار الى مقبرة الملوك الصليبيين ذكر آخرهم وهو بلدوين الثالث (١١٤٤ - ١١٦٢م) ، ولم يشر الى الملك عمورى ، مما يدل على أن الأخير كان لا يزال حيا^(٧) ويحكم المملكة الصليبية .

والجدير بالذكر ، أن الرحالة الألمان بصفة عامة ، اهتموا اهتماما جليا بعناصر الرهبان الفرسان لا سيما الاستثنائية Hospitallers والداوية Templars فأفردوا لهم أجزاء هامة من رحلاتهم ، ويصدق ذلك أيضا يصدق على الرحالة ثيودريش ، وربما كان من العوامل الهامة والمؤثرة التى أدت الى مثل ذلك الوضع ، أنه زار المملكة الصليبية فى عهد الملك عمورى - كما أسلفنا الإشارة - الذى شهد تعاظم دور وفعاليات تلك العناصر .

وهكذا ، فإن ثيودريش تهيأت له الظروف المواتية من أجل تناول فرق الرهبان الفرسان من خلال كافة الجوانب المتعلقة بأنشطتهم فى الأرض المقدسة ، ومن ثم حرص الحرص كله على أن يعرض لأدوارهم الحربية والطبية والاقتصادية ، ونظرا لأهمية ما أورده فى هذا الصدد ، من الممكن عقد مقارنة بين ما أورده وما ورد لدى يوجنا الورزبرجى الذى زار المنطقة فى مرحلة متقاربة من رحلة ثيودريش .

أما بشأن الرهبان الفرسان ، فنجد أن ذلك الرحالة يصف المستشفى التى تنسب الى القديس يوحنا St. John ويرى أنه لا يوجد شخص بإمكانه أن يخبر الآخر كم هى جميلة مبانيها ، وهى مزودة بالحجرات والأسرة والمستلزمات الأخرى اللازمة لعلاج المرضى^(٨) ، ويرى أن المستشفى ذات ثراء عريض فى الانفاق على الفقراء ، وأوضح أنه كان عاجزا عن اكتشاف أعداد الناس الذين كانوا

يعالجون هنالك ، ولكنه ذكر أن الأسرة تقدر بأكثر من ألف سرير^(١) ، ويلاحظ أن إشارته عن تلك المستشفى توضح بجلاء أنه كان شاهد عيان ، إذ أنه زارها هو نفسه ، وكتب تلك الاشارات على هذا الأساس ، مما يعطى لروايته قيمة علمية كبيرة ويجعلها تتفق مع قيمة رواية يوحنا الوردبرجى الذى زار هو أيضا المستشفى ، ومع ذلك تفوق الأخير عليه من حيث إيراد الأرقام محددة عن عدد من تستوعبهم المستشفى وكذلك عدد الوفيات من المرضى .

ويبدى ثيودريش كبير اعجابه بدور الاسبتارية فى علاج الفقراء ، ويذكر أن هذا العمل الذى يقوم به بيت الاسبتارية من ايواء هذا العدد الضخم من الأشخاص كل يوم لا يقدر عليه الا كبار الملوك^(٢) ، مما يعكس علو شأن الهيئة بحيث صارت تفارن أعمالها بأعمال الملوك .

ومن جهة أخرى ، نجده يتناول ثراء الاسبتارية الكبير ويذكر أن الداوية شاركته نفس الصفة ، ويرى أن عناصرهم امتلكت أملاكاً واسعة فى كافة أراضى اليهودية ، ويقرر أن من العسير لأى شخص أن تكون لديه فكرة عن مدى ثراء الداوية ، إذ أنهم والاسبتارية استولوا على كافة المدن والقرى وشيدوا القلاع فى كل مكان ، وحشدوا فيها الحاميات بالإضافة الى امتلاكهم للعديد من الضباع^(٣) .

وفى معرض حديثه عن فرسان الداوية ذكر أنهم شيدوا مبان جديدة لاستغلالها بجوار معبد سليمان ، وأقاموا كذلك كنيسة لهم ، وأن اسطبلاتهم كانت تسع لألف من الخيول^(٤) ، وهكذا ، فإنه قدم اشارات هامة عن الجوانب العلاجية الطبية بالنسبة لنشاط الاسبتارية ، وكذلك الجوانب الاقتصادية بخصوص الداوية .

ولم يقتصر ما ذكره ذلك الرحالة الألماني عن الاسبتارية والداوية فقط على تلك الجوانب ، بل أن الأمر تعداه الى الإشارة الى القلاع التى سيطر عليها الرهبان الفرسان ، وفى هذا المجال نجده يمتاز على غيره من الرحالة الأوربيين باهتمامه بالقلاع الصليبية وذكره لمواقعها بصورة أدق من غيره ، وقد ساعده على أن يولى اهتماما خاصا لتلك العماثر الحربية ، أنه قدم فى عهد الملك الصليبي عمورى ، الذى شهد عهده تزايد اعتماد المملكة الصليبية على فرق الرهبان الفرسان لتدعيم نشاط المملكة الحربى تجاه الشمال والشمال الشرقى صوب الدولة النورية ، وباتجاه الجنوب الغربى صوب مصر بعد أن وضحت سياسة ذلك الملك الصليبي نحو التوسع على حساب أملاك الفاطميين هناك ، ولا ريب أن تلك السياسات الحربية الطموحة قد

جعلته يزيد من اعتماده على تلك العناصر على نحو دعم تزايد نفوذها بصورة واضحة
ومن ثم امتلكت العديد من القلاع من أجل الدفاع عن حدود المملكة ضد القوى
الاسلامية المجاورة ويتميز أدق لتواصل السياسة العدوانية الصليبية في المنطقة .

وجدير بالذكر ، أن عهد الملك عموري شهد العديد من الأمثلة للقلاع الصليبية
التي عهد بأمورها إلى عناصر الاسبتارية أو الداوية من أجل أن تتولى مهام الدفاع
عنها ، وهناك من يرى أن هيئة الداوية قد تولت الدفاع عن قلعة أنطربوس ^{Tartosa}
في عهد ذلك الملك^(١٢) ، أما حصن الأكراد Crac des Chevaliers فقد عهد عموري
لهيئة الاسبتارية بمهام الدفاع عنه في عام ١١٦٧م^(١٤) ، ونجد أن قلعة عكار Akkar
تولتها الهيئة المذكورة عندما كان وصيا على إمارة طرابلس الصليبية عام
١١٧٠م^(١٥) ، أما قلعة صفد Safad فقلد تولى الداوية الدفاع عنها عام
١١٦٧م^(١٦) .

وقد جاءت رحلة ثيودريش لتدعم ذات التصور ، فهو يشير إلى عدد من القلاع
للخاضعة للرهبان الفرسان ويقرر أن الاسبتارية شيدوا قلعة بالغة الحصانة في
منطقة قريبة من نهر الأردن من أجل حمايتها من اغارات قوات نور الدين محمود
حاكم حلب^(١٧) ، وبالقرب منها وباتجاه الغرب هناك قلعة للداوية ، تسمى سافام
محصنة ومنيعة من أجل مواجهة اغارات الأتراك^(١٨) ، وفيما يلي ذلك ،
وباتجاه البحر المتوسط ، يقع جبل الشيخ Hermon حيث بنى فرسان الداوية
قلعة كبيرة^(١٩) ، كذلك أشسار إلى قلعة لنفس التنظيم على بعد ثلاثة أميال من
صفورية Sepphoria ، وفي الطريق إلى عكا ، وقد وصفها بأنها بالغة القوة
والحصانة^(٢٠) ، ومن جهة أخرى ، ذكر قلعة للداوية وقعت إلى الشرق من بيتاني
Bethany ، وفضلا عن ذلك ، هناك قلعة اسكندرونة Scandalium ، وقعت على
بعد أربعة أميال من مدينة صور ، كذلك تناول ذلك الرحالة قلعة عكا ، وتسمى القلعة
الجديدة ، وقعت في مقابل المدينة ، وقد وصفت بأنها قلعة كبيرة^(٢١) .

ولا مراء في أن ثيودريش قد تفوق على غيره من الرحالة الأوروبيين مثل
فتيلوس ، ويوحنا الورزبرجي في إirاده لذلك العدد من القلاع الصليبية وكذلك
تحديده لمواقعها ووصفه لمناعتها وحصانيتها ، ومن الواضح من خلال إشاراته في
هذا المجال ، أن قلاع الرهبان الفرسان وقعت في مناطق ذات أهمية استراتيجية كبيرة
من أجل حماية بعض المدن والمواقع الصليبية ، أو من أجل شن هجمات على المدن
والمراكز الاسلامية المجاورة .

ومن ناحية أخرى ، نجد أن ذلك الرحالة لم يقصر تناولهُ على مناصير
الاسبتارية والداوية فحسب ، بل إنه أشار أيضا الى نواة تنظيم القديس لازاروس
St. Lazarus ، وفي إشارة موجزة نجده يورد ذكرا لنزل المبرصين الخاص
بالقديس المذكور^(٢٢) .

وقد تمثلت النواة الأولى للتنظيم فى صورة بيت المبرصين House of Lepers
أو ما عرف باللاتينية Domus Leprosorum^(٢٣) ، وتطور الأمر حتى
صار لبيت المبرصين كنيسة^(٢٤) ، وللتنظيم جماعة من الرهبان فى
حدود عام ١١٤٢م تقريبا ، وعند منتصف القرن الثانى عشرم ، ظهرت الى الوجود
اشارات بشأن أخوة بيت المقدس المبرصين Leper brothers^(٢٥)
of Jerusalem ، ومن بعد ذلك ، وفى عام ١١٥٥م ، ظهرت وظيفة مقدم
Master - كما يقرر براور - مما يدل على أن الجانب التنظيمي للهيئة قد اكتمل فى صورة
أهم الوظائف ذات المسئوليات المحددة ، كذلك سبعت الملكة جاهدة الى منح الهيئة
العديد من المنح والهبات^(٢٦) من أجل أن تكون قادرة على تحقيق المهام المنوطة بها .

كذلك فأننا نجد ثيودريش يولى اهتماما خاصا للمناطق الساحلية فى مملكة
بيت المقدس الصليبية ، وهو يقرر أن كافة تلك المدن الواقعة على الساحل اللبناي
تتسم بأنها كبيرة ومحصنة بالأسوار^(٢٧) ، ويختلف اهتمامه من مدينة الى أخرى ،
فأحيانا يتناول احداها بإشارة مفصلة ، وأحيانا يشير الى مدينة أخرى بعقارة
موجزة ، وتعليل ذلك يرجع الى تفوق أهمية إحدى المدن الساحلية على غيرها من
ناحية النشاط الاقتصادى ، أو من زاوية الأهمية الاستراتيجية ، فضلا عن أن بعض
المدن شاهدها هو نفسه فتحدث عنها بصورة كبيرة بينما ونجيت بعض المدن الأخرى
التي اعتمد فى تناولها على روايات الآخرين .

ويقرر ذلك الرحالة ، أن مدينة عسقلان Ascalon على قدر كبير من القوة
والحصانة^(٢٨) ، أما عذا Acon فهي عنده مدينة غاصنة بالسكان ، وعلى قدر كبير
من الثراء^(٢٩) ، ومرجع ذلك بالطبع يعود الى تدفق أعداد كبيرة من الحجاج الأوربيين
على ذلك الميناء الحيوى الهام ، من أجل أن يصلوا بمن طريقه الى المناطق المسيحية
القدسة ، وكذلك قدمت أعداد وفيرة من التجار الى المدينة من أجل ممارسة أعمالهم

التجارية ، والتي ولا ريب كانت متسعة من خلال اتساع حجم الأسواق الداخلية والخارجية ، ولكونه ميناء حيويًا لتصريف تجارة بعض المدن الشامية البرية الحبيسة كحاضرة الشام المزدهرة دمشق .

وفضلاً عن ذلك ألقى ثيودريش الضوء على نشاط صناعي على قدر كبير من الأهمية في ذلك الميناء ، وهو يتصل بصناعة السفن وإصلاحها من الأعطاب التي كانت تلحق بها ، وقد ذكر أن سفن الحجاج المسيحيين تسلم إلى ذلك الموقع من أجل إصلاحها ودل على قوله بأن ذكر أنه أحصى وجود تمانين سفينة هناك (٣) .

والتوقع أن الأعطاب التي لحقت بسفن الحجاج نتجت في الغالب الأعم عن اشتداد الغواصف والأمواج أو ارتطام السفن بالصخور التي غير ذلك من العوامل ، بالإضافة إلى أن تلك السفن احتاجت إلى عمليات صيانة مستمرة من أجل أن تقوم بتأدية دورها بفعالية ، ومن ثم احتل ذلك المركز الصناعي في ميناء عكا أهمية خاصة ، ودل الرقم الكبير نسبياً الذي ذكره ذلك الرحالة الألماني على اتساع نشاطه وجعل من الممكن تصور أن تكون الموانئ الصليبية الأخرى احتوت على مراكز لإصلاح السفن ، وإن ميناء عكا لم ينفرد بهذا النشاط ، وإن كنا نرجح أن المراكز الأخرى - أن وجدت - كانت بصورة مصغرة من ذلك المركز نظراً للأهمية الخاصة لذلك الميناء والذي أجمع عليها كافة الرحالة الأوروبيين الذين زاروا المملكة الصليبية خلال القرن الثاني عشر م .

وتفيد الإشارة السابقة في ناحية هامة في دراسة رحلة ثيودريش ، فهو عندما ذكر المركز أراد أن يدعم روايته بدليل احصائي محدد عن عدد السفن في الميناء على نحو جعل روايته لها أهمية خاصة ، إذ جاءت من شاعد عيان دعم مقولته باحصاء محدد لأعداد السفن ، مما يعكس نزعة احصائية لدى صاحب الرحلة ، ونجدها بصفة عامة لدى الرحالة الألمان خلال ذلك القرن .

وجدير بالذكر أنه ثلثا ولمدينة صور Tyre التي حظيت بقدر كبير من اهتمام ذلك الرحالة ، وقد وضحها بأنها تقع على شاطئ البحر ، وتتفوق في حصانتها وأسوارها على كافة المدن الأخرى ، وهي تتخذ شكل الجزيرة وتحيطها المياه تقريباً من جوانب ثلاثة ، أما الجانب الرابع فإنه محصن تحصيناً قوياً بفضل النوائط والأسوار وغيرها من وسائل الدفاع (٣١) ، ولها مدخلان فقط ، وتحرسها بوابات بآبراج في كل جانب ، ولها ميناءان أحدهما وهو الداخل لسفن المدينة ، أما الآخر

فهو قد خصص للسفن الأجنبية ، وبين الميناءين يوجد برجان على كتلتين من الصخر ، وببنيهما باب مزود بسلسلة ضخمة من الحديد ، وعندما يغلَق يصبح الخروج والدخول أمرا مستحيلا^(٣٢) .

والنص الذى يورده ثيودريش - يتفق - مع النص الذى يقدمه ابن جبير بشأن حصانة ومناعة مدينة صور ، وقد ذكر الأخير أمر البرجين المشيدين الى ميناء « ليس فى البلاد البحرية أعجب وصفا منها »^(٣٣) ، كما أنه أشار الى أن هناك سلسلة عظيمة تقع بين البرجين المذكورين تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج ، فلا مجال للمراكب الا عند ازالتها^(٣٤) ، وهكذا فإن المصادر الاسلامية والصليبية أكدت على حقيقة الحصانة الطبيعية الفريدة التى تميزت بها مدينة صور ، وهى التى أثرت أحيانا على تاريخ الحروب الصليبية ، كما اتضح خلال الأحداث التى تلت معركة حطين ومقدم الحملة الصليبية الثالثة .

وبالإضافة الى ما سبق ، احتوت تلك الرحلة على بعض الجوانب الاقتصادية ، وقد اهتم ثيودريش بمصادر المياه ، فقد أشار الى أن أهل مدينة بيت المقدس - على سبيل المثال يقومون بتخزين مياه الأمطار من أجل استغلالها عند الاحتياج اليها^(٣٥) ، ولا توجد لديهم مصادر أخرى للمياه كما ذكر أن الداوية قاموا بوضع صهريج ضخم مزود بآلة متحركة من أجل ضخ المياه^(٣٦) ، ولا شك فى أن مصادر المياه فى فلسطين كانت محدودة ، وإذا ما لاحظنا أن غالبية البلاد احتوت على مناطق صحراوية بينما انحصرت مصادر المياه فى نهري الأردن واليرموك وبحيرتى طبرية والحولة ، ومياه الأمطار فى الشتاء ثم الينابيع والعيون والآبار ، أدركنا أن الصليبيين سعوا جاهدين نحو استغلال الموارد المائية المتاحة أحسن استغلال لخدمة كياناتهم الدخيل .

أما على المستوى التجارى ، فنجد أن ذلك الرحالة الألمانى يذكر أمر أحد الأسواق الموسمية الهامة ونعنى به سوق موزرب الذى عقد كل صيف . وقد أشار الى أن جمعا كبيرا من الناس لا يحصى عددهم^(٣٧) ، يقدمون الى هذا المكان كل عام ، ويجلبون معهم كل شئ يمكن أن يباع ويتاجر فيه ويجلبون معهم عناصر من العرب من أجل حمايتهم^(٣٨) ، ويلاحظ أن ذلك السوق كان يسمى أيضا ميدان Medan وينبغى أن نقرر أن إشارة ذلك الرحالة تعد موجزة إذا ما قورنت بما ذكره رحالة سابق زار المنطقة قبله ونعنى به فتيلوس Fetellus^(٣٩) . وان اتفق الاثنان على كون ذلك السوق من الأسواق الموسمية الرئيسية التى عقدت فى فصل الصيف ، مع ملاحظة أن استمرار تناول الرحالة الأوربيين لمثل ذلك السوق فيما بعد رحلة فتيلوس

يدل على استمرار ازدهاره وأنه صار حقيقة اقتصادية واقعة على نحو لم يكن من اليسير اغفال تناوله في مؤلفاتهم ، ومن ثم عرض له ثيودريش فيما بعد .

كذلك قدم ثيودريش تناولا هاما لأحد الأسواق التجارية والتي كانت تعقد سنويا في وقت عيد الفصح في خلال فصل الربيع ، وذلك عند مقدم الحجاج المسيحيين الى مدينة بيت المقدس ، وقد حدد موضع السوق بأنه أمام الباب الرئيسي لكنيسة القيامة^(٤٠) ، وقد احتوى على العديد من البضائع والسلع التجارية خاصة التي يمكن أن تباع للحجاج خلال مثل تلك المناسبات الدينية ، ومن أمثلتها ، التحف والصور المتصلة بذكرىات المسيحية ، وخاصة صور القديسين ، والسيدة مريم العذراء والسيد المسيح عليهما السلام وبالإضافة الى ذلك بيعت على نطاق متسع الصلبان والايقونات والمسابع والبخور التي احتاجها المسيحيون في طقوسهم الدينية وصلواتهم .

ولدينا وصف هام لذلك السوق ، ولكن من خلال مصدر متأخر ونعني به الرحالة فيليكس فايرى Felix Fabri ، ويتضح من خلاله مدى تزايد أعداد الحجاج الذين يقومون بشراء احتياجاتهم من هناك ، وكذلك اختلافهم مع البائعين حول الأسعار وقيامهم بالمساومة بغية الوصول الى سعر مناسب وفق احتياجاتهم وقدراتهم المالية. وقد أوضح أن من الحجاج من قام بشراء بعض السلع من أجل أن يعود الى وطنه ليقوم ببيعها لمواطنيه بأسعار مرتفعة^(٤١) ، ولا ريب في أن البعد الاقتصادي لاسيما التجاري واكب حركة الحج المسيحي الى المحارم المسيحية المقدسة في فلسطين .

وهكذا ألفت رحلة ثيودريش الضوم على إثنين من الأسواق الموسمية الهامة في مملكة بيت المقدس الصليبية .

وتوجد ناحية هامة في الرحلة ، ونعني بها نظرة ذلك الرحالة الى المسلمين ، والاتهامات التي وجهها لهم وأوضاعهم تحت الحكم الصليبي .

وقد اتخذ ثيودريش - شأنه في ذلك شأن كافة الرحالة الأوروبيين الآخرين - موقفا عدائيا متعصبا ضد المسلمين . ويرى أنهم كفار^(٤٢) ، ومن ثم ينبغي أن نأخذ رواياته عنهم مأخذ الحذر والحيطه ، وقد روى أن عددا كبيرا من الحجاج كانوا قد قدموا الى بيت المقدس للحج غير أنهم وجدوها غاصة بالعرب ، ولم يمكنهم دخولها ، ولم يكن معهم طعام أو شراب ، وعندما أدرك العرب أنهم عاجزون عن المقاومة ذبحوهم ، ويقرر أنه عندما يغادر المرء المدينة المقدسة باتجاه الغرب عند البوابة

المعروفة ببرج داود Tower of David ، هناك طريق يؤدي إلى كنيسة ويخطون
المرء خطوات هابطا إلى كهف قرر العرب أن يحرقوا فيه كافة جثث أولئك الحجاج غير
أن العناية الإلهية أرسلت أسدا ألقى بجميع تلك الجثث في الكهف(٤٣) !!! .

ويبدو من مطالعة الرواية السابقة أنها لا تقف على قدميها وأن عنصر الخيال
لعب فيها دورا كبيرا ، ومن الواضح أنها ترجع إلى ما قبل نجاح الصليبيين في
اخضاع المدينة المقدسة عام ١٠٩٩م ، خاصة أن ذلك الرحالة أشار فيها إلى وجود
أعداد كبيرة من العرب عندما قدم الحجاج إليها ، ومن جهة أخرى فإنه لم يحدد تاريخا
معينا لتلك الحادثة مما يضعف من شأنها ، فضلا عن أن القسم الخاص بالأسد ودوره
يدل بجلاء على أن الرواية برمتها من نسخ خيال الحجاج البسطاء في عصر سادت
فيه الأساطير والغيبيات على العقول وتراجع فيه الاتجاه العقلاني في أوزيل العصور
الوسطى بصفة عامة .

ويبدو أن المقصود من تلك الرواية توضيح مدى المشقة التي لاقاها الحجاج من
أجل الوصول إلى البقاع المقدسة لدى المسيحيين ، وأن العناية الإلهية جريبتهم من
كل سوء ووقفت إلى جوارهم عند الشدائد لتبدل أمرهم يسرا من بعد عسر .

كذلك أشار ذلك الرحالة إلى أوضاع المسلمين تحت الحكم الصليبي وذلك ضمن
تناوله لاثارة العرب قدرا كبيرا من الهلع في نفوس الحجاج ، ويقرر أن عددا من
« الكفار » يسكنون كافة أنحاء البلاد كما أنهم في المدن والقرى ، وهم يحرقون الأرض
ملك بيت المقدس والاسبتارية والداوية في ظل معاملة سلمية من جانب الملك الصليبي
والهيئتتين المذكورتين(٤٤) .

ومن الواضح من خلال ذلك النص أن المسلمين عملوا كفلاحين في الأرض
الزراعية التي امتلكها كبار القيادات السياسية الصليبية ، وفي هذا المجال يلاحظ أن
هيئتي الاسبتارية والداوية صارتا من كبار ملاك الأراضي ومقطعيها(٤٥) ، أما اشارته
بشأن المعاملة السلمية من جانب الصليبيين للمسلمين ، فهو أمر ينبغى ألا تأخذه
مأخذ الحقيقة التاريخية ، إذ أن هناك العديد من الاشارات الهامة التي تنفي تصور
المعاملة السلمية الكاملة والعامة من جانب قيادات الصليبيين .

والمرجح أن المسلمين الذين عملوا في الزراعة لم تكن لهم حقوق إلاحقوق رقيق
الأرض ، ويقرر العماد الكاتب الأصفهاني أن معظم أهل صيدا وبيروت وجبيل ومن

المسلمين كانوا مساكنين لمساكنة الفرنج مستسلمين وأنهم بعد أن حررهم صلاح الدين بعد موقعة حطين ذاقوا العزة بعد المذلة^(٤٦) ، وقد يتصور البعض أن العماد كان يوقا دعائيا للسلطان الأيوبي ، ومن ثم ذكر مثل تلك العبارة ، ولكن يبدو أن ذلك مثل حقيقة واقعة ، خاصة أن الصليبيين نظروا نظرة شك وارتياح تجاههم ، وذلك يتضح من خلال مطالعة رحلة ثيودريش ، ومما زاد من صعوبة الموقف أن الغزاة لم يقدروا على التخلي عن الخدمات التي يمكن أن يؤديها السكان المحليين من المسلمين لا سيما في المجال الزراعي ، نظرا لكثرة أعدادهم ولخبرتهم الواسعة والعريقة في هذا المجال ، مع ملاحظة أن الصليبيين عانوا من نقص القوة البشرية بصورة واضحة ، ولم يكن في إمكانهم الاستغناء عن الطاقة الانتاجية في المجال الزراعي والتي تمثلت في تلك العناصر المحلية ، وفضلا عن ذلك ، فإن طبيعة المشروع الصليبي نفسه ، وما احتواه من طابع تعصبي ضد كل ما هو غير مسيحي ، وكذلك اتجاهه الاستعماري الاستيطاني ، جعل امكانية المسالمة بين الجانبين أمرا مستبعدا ، وإن وجدت ففي أضيق نطاق ، ولا تمثل ظاهرة عامة بأي حال من الأحوال .

ويقرر المؤرخ السوفييتي المعاصر ميخائيل زابوروف ، أنه عندما استقر السادة الجدد (يعني الصليبيين) في الأراضي المغتصبة المفتوحة ، حولوا الفلاحين في القرى من المسلمين والمسيحيين إلى اقنان ، وقضى القادمون على آخر بقايا حرية السكان القرويين الشخصية^(٤٧) .

واضافة الى ما سبق ، من الضروري أن نؤكد أن الصليبيين عملوا على اقامة مستوطنات لهم على حساب السكان المحليين الذين تم تهجيرهم ، وكانوا بالطبع من عناصر الفلاحين ، إذ أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ، عملوا على تأسيس بعض المستوطنات في بعض الاقطاعات التي حصلوا عليها من الأمير جواففري البهـ بوني في عام ١٠٩٩ م ، وقد تمثل هدفهم الأول في قرية البيرة^(٤٨) الواقعة شمال بيت المقدس ، فأقاموا مستوطناتهم هناك ، وذلك على الرغم من أن القرية لم تكن مهجورة بصورة كاملة من سكانها المسلمين ، وذلك عندما منحتها لكنيسة القيامة في العام المذكور ، وبالطبع قام رجال الدين في كنيسة القيامة بعملية تهجير لمن تبقى من سكان القرية الى المناطق الأخرى ، وذلك قبل البدء في بناء المستوطنة الصليبية الجديدة ، وقد قاموا بتوطين مجموعة من الأوربيين الأحرار في قرية البيرة ليقوموا بزراعتها في مقابل دفع ضريبة لرجال الدين في كنيسة القيامة في صورة اقتسام محصول الأرض معهم . وقد اكتمل بناء المستوطنة المذكورة عام ١١١٥ م^(٤٩) .

ويبدو أن انقضاء تلك السنوات في تشييد تلك المستعمرة الصليبية يدل دلالة واضحة على اصرار الصليبيين على تنفيذ مخططاتهم الاستيطانية في تلك المنطقة الهامة .

وهناك مثال آخر تكرر في القبية الواقعة شمال غرب بيت المقدس ، اذ قام الصليبيون بتشديد مستوطنة هناك بعد أن قاموا بتفريغ القرية من سكانها من الفلاحين المسلمين ، واكتمل تشييد المستوطنة بن عامي ١١٢٠ ، ١١٢٩م ، وتكرر نفس الأمر في قرية كفر مالك ، حيث منحها الملك بلدوين الثاني لكنيسة القيامة (٥٠) .

مجل القول ، أن من الضروري أن نأخذ بحذر كافة الروايات التي تحاول أن تؤكد نجاح المشروع الصليبي في ايجاد تعايش سلمي بين الغزاة الصليبيين وسكان البلاد المحليين لا سيما من المسلمين .

أما اذا انتقلنا الى ما احتوته الرحلة من اشارات خاصة بالعمائر الدينية في مملكة بيت المقدس الصليبية ، نجد أن ثيودريش أشار الى عدد من الكنائس الكبيرة والشهيرة والتي كانت من المعالم الدينية البارزة في المدينة المقدسة ، وقد حرص العديد من الحجاج على زيارتها ، وفي هذا المجال تناول كنيسة القديسة آن Si. Anne (٥١) ، وكنيسة الضريح المقدس (٥٢) ، ثم كنيسة القديسة مريم اللاتينية (٥٣) St. Mary The Latin ، ثم كنيسة القديس يوحنا المعمدان St. John The Paptist (٥٤) .

ومن الممكن ادراك أن ما ذكره ذلك الرحالة بشأن تلك الكنائس لم يخرج عن اوصاف الرحالة الأوربيين الآخرين الذين زاروا المملكة الصليبية في المرحلة السابقة على مقدمه للمنطقة .

مجل القول ، أن رحلة الرحالة الألماني ثيودريش ، ألقت الضوء على أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية ، ولا سيما الجوانب السياسية والاقتصادية وعكست أن مؤلفها كان شاهداً عياناً تمتع بقدر كبير من الذكاء والفطنة (٥٥) .

الهوامش :

(١) العنوان الأصلي للرحلة هو :

Libellus de Locis Sanctis

اعتمدت في اعداد هذا الفصل على الترجمة الانجليزية التي قام بها
أوبري ستيوارت Aubrey Stewart للرحلة .

وكان توبلر Tobler قد قام بنشر الرحلة وذلك في باريس وسانت جال في
عام ١٨٦٥ م .

Theoderich, Libellus de locis sanctis ed. by Tobler, St. Gall, and Paris
1865.

عن هذه الاشارة ، انظر :

Wright, The Geographical lore of the time of the crusades, A study in the
history of medieval science and tradition in Western Europe, p. 540.

أما الترجمة الانجليزية فقد قام بها أوبري ستيوارت Aubrey Stewart
وصدرت ضمن مجموعة P.P.T.S. ، في الجزء الخامس ، في لندن عام ١٨٩٦ م .

عن ذلك ، انظر :

Theoderich, Theodorich's Description of The Holy places, Trans. by
Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. V, London 1896.

وعن رحلة ثيودريش واهتمام الباحثين بها ، انظر :

Többer, Bibliographica Geographica Palestinae, p. 18.

Theoderich, p. III.

(٢)

Ibid, p. III.

(٣)

Ibid, p. III.

(٤)

Beazley, Vol. II, p. 196.

ويقدر أوبري ستيوارت أن ثيودريش عمل أسقفا لورنبرج وذلك في عام ١٢٢٥ م،
غير أن هذا الرأي تشكك فيه بيزلي دون أن يقدم تعليلا لموقفه هذا ، والواقع أن اتساع
الرحلة الزمنية بين قيامه برحلته ، وبين التاريخ المذكور لتولي الأسقفية ، يجعلنا
نستبعد ذلك التحديد ، فضلا عن أننا لا نملك - على ما يبدو - أية مصادر تاريخية
موثوق بها تلقى الضموم على شخصية ثيودريش ونساعدها على تدعيم الرأي
السابق .

Stewart, Introduction, p. III.

Beazley, Vol. II, p. 196, note (1).

Theoderich, p. VI.

(٥)

Ibid, p. VII.

(٦)

Neumann, «La Description Terrae Sancte de Berardo d'Ascoli», A.O.L., T. I, Paris 1881, p. 228.

البطريرك فوشيه هو : Fulcher D'Angouleme ، تولى رئاسة أسقفية صور Tyre في ٢٥ يناير أو ٢٠ فبراير عام ١١٤٦ م ، ويقدم لنا وليم الصوري تناولا هاماً عنه وعن دوره الكنسي والسياسي في مملكة بيت المقدس ، وقد عملت البابوية على تدعيم نفوذه من خلال مطالبة الأساقفة الآخرين ورجال الأكليريوس بصفة عامة في الأرض المقدسة بضرورة طاعته وتنفيذ أوامره ، وعاصر ذلك البطريرك الملك الفرنسي لويس السابع Louis VII ، والإمبراطور الألماني كونراد الثالث Conrad III وذلك عند مقدمهم إلى المنطقة أبان أحداث الحملة الصليبية الثانية ، ومن الأحداث الهامة المتصلة به سفره إلى روما من أجل مقابلة البابا هادريان الرابع Hadrian IV وكان في صحبته عدد كبير من رجال الدين في المملكة الصليبية ، وقد ذكر وليم الصوري أن فوشيه كان ضمن الجيش الصليبي الذي أعده الملك بلدوين الثالث Baldwin III من أجل إسقاط عسقلان Ascalon وذلك في عام ١١٥٣ م ، وتوفي ذلك البطريرك في ٢٠ ديسمبر عام ١١٥٧ م ، عنه أنظر :

William of Tyre, Vol. II, p. 181, p. 265, p. 300.

Mas Latirie, «Les Patriarches Latins de Jerusalem», R.O.L., T. I, Paris 1893, p. 18.

Schlumberger, Chalandon, Blanchet, Sigillographie de l'Orient Latin Paris 1943, p. 34.

Runciman, Vol. II, p. 279, p. 280, p. 334.

Ruhrich, Geschichte des Konigreichs Jerusalem, p. 242, p. 243.

أسد رستم ، كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ .

Theoderich, p. VIII.

(٧)

Ibid, p. 22.

(٨)

Ibid, p. 22. (٩)

Ibid, p. 22. (١٠)

Ibid, p. 30. (١١)

Beazley, Vol. II, p. 196.

Theoderich, p. 30. (١٢)

(١٣) حامد غنيم ، الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية ، ج ٢ ،
ظ القاهرة ١٩٧٢م ، ص ٦١ .

وقد وقعت قلعة أنطوطوس كما يذكر ياقوت على ساحل بحر الشام ، واعتبرها
آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وعدها البعض من أعمال طرابلس مطلة على
البحر ، وبينها وبين عرقة ثمانية فراسخ ، وخضعت لسيطرة عناصر فرسان الداوية ،
ويوجد خلاف بين الباحثين حول تحديد المرحلة الزمنية التي حدث فيها ذلك ، فهناك
من يرى أن عهد الملك بلدوين الثالث (١١٤٤ - ١١٦٥ م) قد شهد قيام مملكة بيت
المقدس الصليبية باسناد مهمة الدفاع عن قلعة أنطوطوس للداوية ، بينما اعتقد
البعض الآخر أن عهد الملك عموري (١١٦٢ - ١١٧٣ م) لبلدوين الثالث هو الذي
شهد ذلك الحادث الهام ، ورأى فريق ثالث أن ذلك قد وقع في عام ١١٨٣ م ، والواقع
أنه ليس من اليسير المفاضلة بين الرأيين الأول والثاني ، نظرا لتعدد المصادر التاريخية
في هذا الشأن ، كذلك فإن عهد الملكين الصليبيين المذكورين قد شهد بالفعل اسناد
عدد كبير من تلك القلاع الصليبية للهيئات الحربية ، ومع ذلك فمن الممكن معارضة
الرأي الثالث الذي تصور أن ذلك وقع عام ١١٨٣ م نظرا لكونه تاريخا متأخرا عن
باقي التواريخ التي تعرف أن الهيئات الحربية الصليبية عهد إليها بأمر الدفاع عن تلك
العمائر الحربية ، ثم أن قلعة مثل أنطوطوس ذات الموقع الاستراتيجي الهام من المستبعد
أن تتأخر المملكة الصليبية طوال تلك المدة كي تسند لها الهيئة الداوية في ذلك التوقيت
المتأخر ، والمنطق يدعونا الى تصور أن ذلك حدث خلال عهد بلدوين الثالث أو عموري .

عنها انظر : القزويني ، آثار البلاد ، ص ١٥١ ، ياقوت ، معجم البلدان ،
ج ١ ، ص ٣٨٨ ، حامد غنيم ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦١ ، عاشور ، الحركة
الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٤٨ ، أبو الفرج العشي ، آثارنا في الاقليم السوري ، ط ٠ دمشق
١٩٦٠ م ، ص ٦٧ ، عبد الرحمن زكي ، « العمائر العسكرية في العصور الوسطى بين
الغرب والصليبيين » ، المجلة التاريخية المصرية ، م (٧) ، عام ١٩٥٨ م ، ص ١٣١ ،
حاتمية (٢) ، مؤنس أحمد عوض ، التنظيمات الدينية الإسلامية والمسيحية ،
ص ٤٤٢ .

Le Strange, Palestine, p. 894.

Beazley, Vol. II, p. 200.

(١٤) عاشور ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٩٣ .

وقع حصن الأكراد على بعد أربعين كم من مدينة حمص ، وعلى بعد خمسة وعشرين ميلا الى الشمال الشرقي من طرابلس ، وكان صالح بن مرداس قد عهد بأمر ذلك الحصن لجماعة من الأكراد وذلك فى عام ١٠٣٣م ، فسمى بحصن الأكراد ، ولم تكن هذه التسمية ترجع الى صلاح الدين الأيوبي الذى كان كرديا كما تصور ذلك عنان ، وقد مثل ذلك الموقع أهمية استراتيجية كبيرة ، إذ أن الحصن أمكنه التحكم فى الممر الهام الواقع بين سهول نهر العاصى والبحر المتوسط ، ومن جهة أخرى ، أشرف على اقليم البقاع بأكمله ، الأمر الذى أعطى له أهمية متميزة ، وقام الحصن بالدفاع عن أملاك إمارة طرابلس الصليبية ضد اغارات القوى الحربية المسلمة . وبالنسبة لتكوينه المعماري نجد أنه احتوى على ثلاثة أسوار ، وثلاث باشورات ، واتسم بالحصانة الشديدة ، ووصف بأنه درة العمارة الحربية الصليبية فى بلاد الشام . وقد عهد الصليبيون الى هيئة الاستبائية بأمر الدفاع عنه وذلك على الأرجح فى عام ١١٦٧م ، وتمكن المسلمون من إسقاطه فى قبضتهم فى عهد السلطان المملوكى الظاهر بيبرس البندقدارى عام ١٢٧١م .

عن ذلك الحصن انظر :

Marino Santo, 'Secrets for true crusaders to help them to recover the holy land, Trans. by A. Stewart, P.P.T.S., Vol. VII, London 1896, p. 5.

ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، ص ٣٧٥ - ٣٣٧ ، الخالدي ، المقصد الرفيع ، ورقة (٩٤) ، يوسف سمارة ، جولة فى الاقليم الشمالى ، ط . القاهرة ١٩٦٠م ، ص ٦٢ ، عبد العزيز عبد الدايم ، إمارة طرابلس الصليبية فى القرن الثانى عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة ، عام ١٩٧١م ، ص ٤١ ، سمبل ، الحروب الصليبية ، ت . سامى هاشم ، ط . بيروت ١٩٨٢م ، ص ٢٥٧ ، نقولا زيادة ، صور من التاريخ العربى ، القاهرة ١٩٤٦م ، ص ١٠٥ ، عبد الله عنان ، « قلاع المسلمين والصليبيين فى سوريا ولبنان » ، الهلال ، السنة (٤٢) ، ج ٥ عام ١٩٣٣م ، ص ٥٥٤ ، سرور ، دولة الظاهر بيبرس فى مصر ، القاهرة ١٩٦٠م ، ص ٨١ - ٨٢ .

Smail, The crusaders in Syria and the holy land, p. 55, Richard, Le comte de Tripoli sous la dynastie Toulousaine (1102—1187), Paris 1945, P. 2, King, «The taking of le Krak des chevaliers in 1271», Antiquity, Vol. XXIII, March 1949, pp. 83—92, Rihaoui, Le Crac des chevaliers, Guide Touristique et Archeologique, Damas 1975.

(١٥) رنسيما ، الحروب الصليبية ، ت . السيد الباز العريشى ، ج ٢ ، ط . بيروت ١٩٦٧م ، ص ٦١٨ ، نبيلة مقامى ، فرق الرهبان الفرسان ، ص ٢٠٦ .

وقعت قلعة عكار على بعد مرحلة من طرابلس الى الشمال منها وشكل موقعها أهمية استراتيجية كبيرة ، حيث كانت نقطة اتصال بين حصن الأكراد وبغية الحصون والقلاع الصليبية فى سوريا ولبنان ، ويبدو أن قلعة عكار كانت مقامة من قبل مقدم الصليبيين الى المنطقة ويقرر لسترينج أنها وجدت خلال عهد المرءاسيين حيث تمكن أسد الدولة صالح بن مرداس من الاستيلاء عليها فى عام

١٠٢٥م ، وأخضعها الفاطميون لسيطرتهم ومن بعدهم استولى عليها السلاجقة ، وقد قام الملك عمورى بإسناد الدفاع عن القلعة لهيئة الاسبتارية وذلك عندما كان وصياً على إمارة طرابلس ، ويبدو أن فرسان الهيئة قاموا بإعادة بناء القلعة وتحصينها خاصة أنها تأثرت بفعل الزلازل التى حلت بالمنطقة ، ويلاحظ أن السلطان الظاهر بيبرس تمكن من اخضاع الحصن لسيطرة المماليك عام ١٢٧١م .

عن قلعة عكار ، أنظر :

ابن عبد الظاهر ، تشریف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامل ، ط . القاهرة ١٩٦١م ، ص ٩٧ ، حاشية (١) الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ، ص ٣٨٢ ، ابن شاهين ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، ص ٤٨ ، ابن حبيب ، تذكرة النبیه فى أيام المنصور وبنیه ، تحقيق محمد محمد أمين ، ط . القاهرة ١٩٧٦م ، ص ٥٥ ، حاشية (٧) .

Le Strange, Op. Cit., p. 80.

Stevenson, The Crusaders, p. 343.

سالم ، طرابلس الشام ، ص ١٥ - ص ١٦ ، عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص ٥٥٤ .

(١٦) عاشور ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٩٣ .

(١٧) Theoderich, p. 64.

(١٨) Ibid, p. 64.

(١٩) Ibid, p. 64.

(٢٠) Ibid, p. 69.

(٢١) Ibid, p. 45, p. 59, p. 73.

وجدير بالذكر أن قلعة اسکندرونة Scandaliuin كانت تقع بالقرب من صور وحددها البعض بأنها بين صور وعكا ، ويلاحظ أن معلوماتنا عنها نستمدّها من مصدرين صليبيين هما فوشيه الشارترى ووليم الصورى ، ويقرر الأول أن الملك بلدوين الأول قام ببنائها وأنها سميت سكّانداليون وهى تعنى ميدان الأسد Field of the Lion أما وليم الصورى فيقرر أن ذلك الملك أراد أن يشدد من مواجهته لمدينة صور التى كانت المدينة الساحلية التى بأيدي المسلمين فقام ببناء القلعة ، ويقرر أنها شيدت فى موقع يسمى الكسندريوم Alexandriuin على اسم الاسكندر المقدونى Alexander of Macedon حيث بنى هناك قلعة من أجل أن تساعد فى احكام سيطرته على مدينة صور ، ويبدو أن رأى وليم الصورى هو الأقرب الى الدقة نظرا لمعرفته الدقيقة بالمنطقة إذ أنها مثلت مسقط رأسه ، فضلا عن درايته اللغوية المتميزة خاصة باللغة اللاتينية .

ويلاحظ أن اسم سكاندليوم يقابله فى العربية الاسكندرونة وينبغى أن ندرك الفارق بين الاسكندرونة التى تقع جنوب صور ، وبين تلك الواقعة ضمن حدود اماره أنطاكية الصليبية ، وتقع حاليا ضمن الحدود التركية . ومن جهة أخرى ، يقصر وليم الصورى أن الاسم ينطق بصورة شائعة سكاندليوم Scandalium ، كذلك ورد ذكرها لدى عدد من الرحالة الأوربيين الذين زاروا مملكة بيت المقدس الصليبية فيما بعد القرن الثانى عشر ، ونعرف أن الملك الصليبي بلدوين الأول Baldwin I قام بإعادة بناء الاسكندرونة وعهد بها لأحد النبلاء وذلك على ما يبدو فى عام ١١١٧ م .

عنها أنظر :

Fulcher of Chartres, p. 220.

William of Tyre, Vol. I, p. 514.

Burchard of Montsion, p. 10, note (1).

Marino Santo, p. 8.

Ludolph Von Suchem, Description of the holy land, p. 61—62.

• شيخ الربوة الدمشقي ، نخبة الدهر ، ص ٢١٣ .

Runciman, Vol. II, p. 99.

Prawer, The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 362.

مورثمان ، « اسكندرونة » ، دائرة المعارف الاسلامية ، م (٣) ، ت . ابراهيم خورشيد ، وآخرون ، ط . القاهرة ، ص ٣٢٢ — ص ٣٢٣ .

• عمر كمال توفيق ، مملكة بيت المقدس الصليبية ، ص ٨٩ .

Theoderich, p. 43. (٢٢)

Prawer, Op. Cit., p. 276. (٢٣)

Prawer, Op. Cit., p. 276. (٢٤)

Prawer, Op. Cit., p. 276. (٢٥)

• براور ، عالم الصليبيين ، ص ١٩٧ .

Prawer, Op. Cit., p. 276. (٢٦)

ومن أمثلة المنح والهبات *

Rulricht, Regesta, p. 34, p. 53.

Theoderich, p. 73.

Ibid, p. 55.

Ibid, p. 59.

Ibid, p. 60

هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى ، ص ١٨٦ ، هامش (٤) .

Ibid, p. 73 .

Ibid, p. 73 .

(٣٣) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧٧ .

(٣٤) نفسه ، نفس المصدر والصفحة .

Ibid, p. 5.

Ibid, p. 64.

وعن مصادر المياه في فلسطين ، انظر هذه الدراسة المتخصصة :

جمعه رجب طنطيش ، المياه في فلسطين ، دراسة في الجغرافية الاقتصادية

والسياسية ، ط٠ بنى غازى ١٩٨٩م ، ص ٧٩ - ص ١١٧ .

Theoderich, p. 65.

Ibid, p. 65.

(٣٩) انظر الفصل الخاص برحلة فتيلوس .

Ibid, p. 22.

(٤١)

Felix Fabri, The Book of the wanderings of brother Felix Fabri, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. IX, London 1897, p. 34.

ومن المهم أن نقرر أن فيليكس فابري لم يزر المنطقة وببيت المقدس من قبل استيلاء صلاح الدين عليها عام ١١٨٧م ، كما اعتقد عزرا حداد في تعليقه على رحلة بنيامين التطيلي ، أنظر ، ص ١٠٣ ، حاشية (١) ، بل إنه رحالة متأخر زار المنطقة في القرن الخامس عشر م وتحديدا عام ١٤٨٤م ، عن ذلك أنظر الترجمة المشار إليها .

Theoderich, p. 22.

(٤٢)

Ibid, p. 55.

(٤٣)

Ibid, p 61.

(٤٤)

William of Tyre, Vol. II, p. 256.

(٤٥) ومن أمثلة ذلك :

وعن ذلك بالتفصيل أنظر :

Riley-Smith, A history of the order of the hospital of St. John of Jerusalem, Vol. I, pp. 433—451.

وأیضا الترجمة العربية الحديثة .

جونانان رايلي سميث ، الاسبتارية ، فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص (١٠٥٠ - ١٣١٠م) ت . صبحي الجابي ، ط . دمشق ١٩٨٦م ، ص ٤٢١ - ص ٤٥١ .

(٤٦) العماد الاصفهاني ، الفتح القسري ، ص ١٠٨ .

(٤٧) زابوروف ، الصليبيون في الشرق ، ص ١٣٢ .

(٤٨) على السيد على ، « ملامح الجاذب العربي الاسلامي في المواجهة ضد الغزو الصليبي » ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٨) ، عام ١٩٨٧م ، ص ٥٠ .

وقد وقعت البيرة على بعد ستة عشر كم الى الشمال من القدس على الطريق المؤدى الى مدينة نابلس ، وقد شغلت سهلا فسيحا وامتازت بتوافر الينابيع وخصوبة تربتها الزراعية ، ويلاحظ أن البيرة اسم يطلق ليعني عدة مواقع في فلسطين والعراق والاندلس ، فهناك البيرة ، وهي الواقعة قرب سميساط ، بين حلب والثغور البيزنطية ، وقد وصفت بأنها قلعة حصينة ، وهناك أيضا موضع آخر على شط الفرات من أعمال الجزيرة فوق جسر منبج ، وبالإضافة الى ذلك توجد البيرة وهي الواقعة في

فلسطين وبالتحديد بين بيت المقدس ونابلس ، وهى التى تعيننا هنا بالحديث ، وفضلاً عن ذلك أشارت المصادر الى البيرة بكسر الألف وفتح الباء ، وهى بلدة بالأندلس ، وقد استقرت بها عدة قبائل عربية فى أعقاب فتح المسلمين لها ، ومن أمثلتها قبائل قضاة وذببان وربيعة •

عن البيرة الواقعة بين بيت المقدس ونابلس ، انظر هاتين الرحلتين :

Theoderich, p. 60.

John of Wurzburg, p. 14, note (3).

وعن المدن المتعددة التى حملت اسم البيرة ، انظر :

ابن حزم ، طوق الحمامة فى الألف والالاف ، تحقيق الطاهر مكي ، ط • القاهرة ١٩٧٧م ، ص ١٦٢ ، حاشية (١) ، أبو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٦٨ - ٢٧٩ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص ٣٨٧ ، القزويني ، آثار البلاد ، ص ٥٠٢ ، شيخ الربوة ، المصدر السابق ، ص ٣٨٧ ، ابن ناظر الجيش ، تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق رودلف فسلى ، ط • القاهرة ١٩٨٧م ، ص ٩٩ ، ص ١٠١ ، ابن عبد الحق البغدادي ، مرصد الاطلاع ، ج١ ، ص ٢٤٠ - ص ٢٤١ ، مصطفى الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ج٨/٢ ، ص ٢٥٦ - ص ٢٥٧ ، عبد الواحد ذنون طه ، الفتح والاستقرار العربى الاسلامى فى شمال افريقيا والأندلس ، ط • بغداد ١٩٨٢م ، ص ٢١٧ ، ص ٢٣٠ ، ص ٢٤٨ •

Abel, «Les deux Mohomerie Bireh, qoubeybeh», R.B., T. XXXV. p. 926.
Ruhricht, Regesta Regni, p. 69.

(٤٩) سعيد البيشاوى ، الممتلكات الكنسية ، ص ١٨٥ - ص ١٨٦ •

(٥٠) نفسه ، نفس المرجع ، ص ١٥٢ ، ص ١٨٦ •

وجدير بالذكر ، أن كفر مالك وقعت على بعد ثلاثة كم من نابلس ، وحدها من الشمال قرية ترمسعيا وخرية وكفر ستينا واشتهرت بحقول الزيتون والكروم واللوز والتين ، ويلاحظ أن الصليبيين قاموا بترحيل أهل قرية كفر مالك الى قرية بيت فوريك وكانت القرية الأخيرة من المنح الملكية لكنيسة مملكة بيت المقدس ، ومن الملاحظ أن الملك بلدوين الثانى Baldwin II ، قام بمنح كفر مالك لكنيسة القيامة ، وورد فى وثيقة المنح ، أن يشمل ذلك كفر مالك وما يتبعها من حقول وفلاحين •

عن كفر مالك وسياسة الصليبيين حيالها ، انظر :

مصطفى الدباغ ، المرجع السابق ، ج٣/٢ ، ص ٢٠٩ - ص ٣١١ ، عبد الحفيظ محمد على ، مشكلات الوراثة فى مملكة بيت المقدس الصليبية وأثرها على تاريخ الحركة الصليبية (١١٣١ - ١١٨٧م) ، ط • القاهرة ١٩٨٤م ، ص ١٥٧ •

Ruhricht, Op. Cit., p. 33—34.

وعن سياسة الصليبيين حيال المسلمين داخل نطاق مملكة بيت المقدس ، انظر :

Prawer, «West confronts East in the middle ages», B.I.A.C.C., Vol. XII, 1989, p. 17 sqq.

فتحي الشاعر ، أحوال المسلمين في مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ - ١١٨٧ م) ، ط ٠ القاهرة ١٩٨٩ م ، ص ١٤ - ص ١ .

قاسم عبده قاسم ، ماهية الحروب الصليبية ، ص ٢١٢ - ص ٢١٣ .

Thcoderich, p. 7.

(٥١)

Ibid, p. 7—8.

(٥٢)

Ibid, p. 23.

(٥٣)

Ibid, p. 22.

(٥٤)

Beazley, Vol. II, p. 196.

(٥٥)

بتاحيا الراتسبونى

(١١٧٤ - ١١٨٧ م)

تحتل رحلة الرحالة اليهودى بتاحيا الراتسبونى^(١) مكانة متميزة بين الرحلات التى قام بها الرحالة اليهود فى العصور الوسطى فى منطقة الشرق الأدنى ، وتلقى الضيعة على بعض الجوانب الهامة المتعلقة بمملكة بيت المقدس الصليبية ، ومن الملاحظ أن رحلة ذلك الرحالة أفادت فيما يتصل بالزارات اليهودية المقدسة فى أنحاء فلسطين والتى من أجلها قدم الكثيرون لمشاهدتها والتبرك بها ، وجاء تناوله لأوضاع مملكة بيت المقدس ضئيلا إذا ما قورن بما أورده بشأن اليهود ومزاراتهم الدينية المقدسة ، وفى نفس الحين فمن الممكن عقد مقارنة متعددة الجوانب بين رحلة بنيامين التطيلي ورحلة بتاحيا الراتسبونى حيث أن كلا منهما من العناصر اليهودية وزارا المنطقة فى وقت متقارب نسبيا ، وهذا ما سوف نقنأوله فى هذا الفصل مفصلا .

والواقع أن ما نعرفه عن بتاحيا الراتسبونى محدود ، ومع ذلك فهو فى نفس الوقت أوفر حظا من الرحالة الأوربيين السابقين الذين زاروا المملكة الصليبية ، والذين قد لا نعرف عنهم إلا أسماءهم مثل سايولف^(٢) مثلا ، ويلاحظ أن قسما هاما مما نعرف عنه نستمد من رحلته نفسها ، ومن المتفق عليه أنه ابن الربى يعقوب Jacob وأخ الربى اسحاق هالفان Issac Halvan والربى ناكمان الراتسبونى Nachman of Ratsbon ، وقد ولد فى راتسبون فى النصف الأول من القرن الثانى عشر م وأقام عدة أعوام فى براغ Prago ، ومنها بدأ رحلته إلى بولاندا Poland ، وأرمينيا Armenia ، وكيف Kiev ، ثم إلى فارس وبلاد الشام واليونان وغيرها^(٣) ، ومعنى ذلك أن رحلته شملت العديد من الأقطار والبقاع فى المنطقة سواء فى أوربا أو فى آسيا .

ويبدو من ثنايا رحلة بتاحيا الراتسبونى أنه كان رجلا على قدر كبير من الثراء ، والدليل على ذلك أنه عندما كان فى الموصل ووقع فريسة للمرض كان أخوف ما يخافه أن تدركه منيته هناك ، حيث كان من الشائع والمتعارف عليه عندما يموت أحد اليهود ، أن تصادر أمواله ويحصل السلطان على نصف ثروته^(٤) .

وحيث أن اليهود بصفة عامة خلال العصور الوسطى ، اشتغلوا بالتجارة وأعمال الصيارفة وبعض الحرف والصناعات التي برعوا فيها ، فمن المتصور أن ثراء بتاحيا الراتسبونى تأتى من خلال عمله بالنشاط التجارى وأن ذلك دفعه الى القيام برحلته من أجل زيارة الأماكن المقدسة لدى اليهود فى بيت المقدس ولكى يدرس - على ما يبدو - نوعيات الأسواق التجارية فى المنطقة ، ومن الصعب تصور أن تكون لديه تلك الثروة الكبيرة والتي كان يخشى فقدانها دون أن تكون قد تأتت اليه من خارج نطاق النشاط التجارى المزدهر الذى اشتهر به اليهود على نحو خاص خلال ذلك الحين .

أما توقيت الرحلة ، فمن المنطقى تصور أن بتاحيا الراتسبونى قام برحلته الى مدينة بيت المقدس قبل أن تزول من عليها السيادة السياسية الصليبية عام ١١٨٧م^(٥) ، فيلاحظ أنه أشار الى وجود شخص يهودى واحد فى المدينة يدفع مالا وفيرا للملك الصليبي من أجل أن يستبقه بها^(٦) ، وهذا يعنى أن الرحلة جرت قبل عام ١١٨٧م ، غير أن هناك اختلافا بين الباحثين بشأن تحديد تاريخ رحلته الى المنطقة ، ويرى البعض أن ذلك حدث بين عامى ١١٧٤ ، ١١٨٧م^(٦) ، بينما اعتقد فريق آخر أنها جرت بعد عشرة أو خمس عشرة عاما من قيام بنيامين التطيلي برحلته^(٧) ، وهذا يعنى أنها جرت حوالى عام ١١٨٣ أو ١١٨٥م ، وتصور فريق ثالث أنها تمت خلال المرحلة من ١١٨٠ الى ١١٨٧م^(٨) .

والواقع أن رحلة بتاحيا قد تمت بعد قيام بنيامين التطيلي برحلته الى فلسطين ، ودليلنا على ذلك - وهو ما سيتضح تفصيليا فيما بعد - أن الرحلة مثلت امتدادا لبعض الظواهر الهامة التى أشار اليها الرحالة الأسباني بشأن توزيعات اليهود فى عداةهم خاصة فى المدينة المقدسة .

ومن جهة أخرى ، نرى أن بتاحيا فى رحلته أشار الى أن دمشق يحكمها المملوك الذى يحكم مصر أيضا^(٩) وطبيعى أنه يعنى بذلك السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي ، ولما كان قد فرض سيطرته على تلك المدينة عام ١١٧٤م فمن الممكن تصور أن الرحلة الى بيت المقدس جرت خلال المرحلة من ١١٧٤ الى ١١٨٧م بينما لا نجد فى نصوص الرحلة ما يدعم التواريخ الأخرى التى اعتقد البعض أنها جرت خلالها^(١٠) . مهما يكن من أمر ، فإن رحلة بتاحيا الراتسبونى تفيد فى القاء الضوء على أوضاع اليهود فى مملكة بيت المقدس الصليبية وخاصة أعدائهم ، ومن الأمور ذات

الدلالة ، أن ذلك الرحالة يقرر أن مدينة بيت المقدس نحوى يهوديا واحدا هو الرئيس إبراهيم هلتسيف (١٠) الذى اصطحبه من أجل أن يرى جبل الزيتون ، ويبدو من خلال تلك الرواية ، استمرارا قد قرره الرحالة اليهودى بنيامين التطيلي بشأن قلة عدد اليهود الذين سكنوا المدينة ، فنجد بتاحيا يذكر أنه لم يبق فى المدينة سوى يهودى واحد ، قد ذكر اسمه ، وهذا يعنى أنه على درجة كبيرة من التأكد من تلك الواقعة ، خاصة أنه تقابل مع ذلك الرجل الذى طاف به فى أنحاء المدينة ، وعلى ذلك فمن الممكن أن نأخذ بصحة تلك الرواية - على الرغم مما تحويه من غرابة - وهى تعكس بصفة عامة أن تلك المدينة بعد أن خضعت للسيادة الصليبية صارت عنصرا للطرد بالنسبة لليهود وأنهم لم يعودوا يقيمون فيها ، أما تعليل سبب ذلك فيمكن ادراكه من حالة إبراهيم هلتسيف نفسه ، إذ أن الصليبيين - على ما يبدو - عمدوا إلى فرض الضرائب الباهظة على اليهود من أجل أن تكون عاملا على دفعهم للنزوح من المدينة ، خاصة مع وجود امكانيات للعمل فى المدن المجاورة الخاضعة للسيادة الاسلامية .

ومن جهة أخرى أفادت رحلة بتاحيا الراتسبونى فى تدعيم ما ذكره من قبل بنيامين التطيلي ونعنى به أن المدن الاسلامية فى بلاد الشام والعراق مثلت مناطق تركز لتجمعات يهودية كبيرة ، وفى المقابل كانت المدن الخاضعة للسيادة الصليبية تشهد انحسارا وتراجعا لأعداد اليهود بها ، ودليلنا على ذلك أن بتاحيا يقرر أن دمشق يسكنها ما يقرب من عشرين ألفا من اليهود ، مما يعكس استمرار دمشق كمناطق جذب للعناصر اليهودية بفضل نشاطاتها الاقتصادية المتفوقة . مع ملاحظة احتمال المبالغة الرقمية فى ذلك العصر .

وليس معنى ذلك أن اليهود لم يوجدوا فى مدن أخرى فى أنحاء مملكة بيت المقدس ، إذا أن ما ذكره ذلك الرحالة عن انحسار عددهم ليصبح رجلا واحدا فى بيت المقدس ، ينبغى ألا يعطى انطبعا بأنهم لم يوجدوا فى أماكن أخرى من أملاك الصليبيين ، إذ إنه يذكر وجودهم فى عكة (١١) ، وكذلك بالقرب من طبرية (١٢) ، ومن الطبيعي تصور سبب تركيزهم فى المنطقتين المذكورتين على اعتبار وقوعهما على خطوط التجارة العالمية ، وكذلك خطوط التجارة الشامية بين شمال فلسطين ودمشق ، وبين عكا والمدن والموانئ الساحلية على البحر المتوسط ، مع ملاحظة أن بتاحيا لم يدعم إشهاراته عن وجود اليهود فى المنطقتين بأرقام محددة ، الأمر الذى لم يمكننا من ملاحظة الأمر من حيث تزايد الأعداد أم نقصها .

لذا نحينا جانبا تلك الزاوية ، وجدنا أن رحلة ذلك الرحالة تلقى الضوء على

ما يمكن وصفه بالمزارات اليهودية المقدسة فى بيت المقدس وأنحاء فلسطين الأخرى ، وهنا نلاحظ ناحية هامة وهى استمرار ظاهرة تأليف الرحلات لتكون بمثابة دليل ارشادى للحجاج القادمين الى المنطقة ، وهكذا فان ما نجده لدى الرحالة الأوربيين المسيحيين ، نجده أيضا لدى الرحالة اليهود المعاصرين لنفس الرحلة ، ومن الطبيعى تصور احتمال أن تلك المؤلفات الارشادية للأماكن المقدسة اليهودية ربما تكون ألفت حتى من قبل مرحلة الحروب الصليبية شأنها فى ذلك شأن مؤلفات الجانب المسيحى .

وفى هذا المجال أورد بتاحيا الراتسبونى عددا من الأمثلة عن تلك المزارات ، ومن ذلك اشارته الى وجود مغارة شاهقة الارتفاع فى الجليل تنقسم الى قسمين ، الأول لقبور الربى هليل وتلاميذه ، أما القسم الثانى فاختص بالربى شيمائ وتلاميذه^(١٣) ، وفضلا عن ذلك ، تناول قبر ابن يفونه^(١٤) ، كما تناول المعبد الذى بناه يوشع بن نون فى طبرية^(١٥) .

وتجدر الإشارة الى أن هذا القسم من الرحلة ، نجد فيه بصورة واضحة تزايد الطابع الأسطورى الذى غالبا ما كان ينسج بشأن تلك المواقع الدينية ، ومن أمثلة ذلك تناوله لقبر موسى عليه السلام فى صفورية ، ويذكر أن رائحة زكية تفوح منه ، وتشتم على بعد ميل عن ذلك الموضع^(١٦) ، كذلك أشار الى وجود بئر تفيض كل ستة أيام وفى يوم السبت - وهو اليوم المقدس لدى اليهود - لا توجد فيه قطرة مياه واحدة^(١٧) . ومثل تلك الأقوال ، نجدها بكثرة فى مؤلفات الرحالة الأوربيين المسيحيين ، ومعنى ذلك أن الاتجاه نجده فى مؤلفات تلك المرحلة سواء فى مؤلفات اليهود أو المسيحيين من خلال ازدهار الطابع الدينى خلال ذلك الحين .

ومن الجوانب الهامة الأخرى التى احتوتها الرحلة ، تناولها للأوضاع الدينية لليهود فى مملكة بيت المقدس ، وفى هذا المجال أشار بتاحيا الى أن اليهود هناك يتبعون الرئاسة الروحية اليهودية فى بغداد^(١٨) ، ومن الممكن ملاحظة ذلك من خلال ما ذكره بنيامين التطيلي ، ويقرر أن فى بغداد قيادة يهودية عرفت بلقب « سيدنا رأس الجالوت » وقد سماه المسلمون « سيدنا ابن داود » على اعتبار أن بيده وثيقة تثبت نسب الممتد الى الملك داود^(١٩) . ويلاحظ أن بنيامين التطيلي قد أشار فى رفاقته إلى أن تلك القيادة الدينية اليهودية امتد نفوذها الى العراق ، وخراسان ، واليمن ، وبلاد ما بين النهرين ، وأرمينيا ، وأذربيجان ، وكذلك العناصر اليهودية فى سنڨيريا ،

وجورجيا ، وحتى شواطئ نهر جيحون ، وحدود سمرقند والهند^(٢٠) . وقد أشار الى أنه في كافة تلك البلاد لا يتم تعيين الربيين الا بمعرفة رأس الجالوت^(٢١) .

وعلى الرغم من أن الرحالة الأسباني لم يشر الى فلسطين ، والعناصر اليهودية بها ضمن مناطق نفوذ تلك القيادة الدينية اليهودية ، الا أن إشارة بتاحيا كانت واضحة في الارتباط الوثيق بين اليهود في مملكة بيت المقدس باخوانهم في بغداد وتبعيتهم الروحية لهم ، ويبدو أن ذلك كان من العوامل الهامة التي أدت الى توثيق الصلات بين اليهود في كل من الاقليمين . ومن المرجح أن ذلك كان قائما من قبل مقدم بنيامين التيطلي الى المنطقة ، ولم يتسع له المجال ليذكره في رحلته .

ومن ناحية أخرى ، من الممكن أن نعقد مقارنة بين رحلتى بنيامين التيطلي وبتاحيا الراتسبونى على اعتبار أن كلا منهما كان يهوديا ووفد الى المنطقة وتنقل فى أنحاء مملكة بيت المقدس الصليبية وذلك فى مرحلة زمنية متقاربة ، وهكذا يمكن عقد تلك المقارنة مع تناول عناصر الاتفاق والاختلاف بين الرحلتين .

أما عناصر الاتفاق فهي تتمثل فى أن كلا منهما سعى ما وسعه السعى نحو الاهتمام باليهود وتوزيعاتهم السكانية وأعدادهم وأنشطتهم فى المملكة الصليبية ، مع ملاحظة أن مثل تلك الزاوية جاءت متفاوتة لدى كل من الرحالة ، حسب اهتمام كل منهما ، وطريقة عرضه لما شاهد أو سمع عنه من وقائع ورويات .

وبالنسبة لعناصر الاختلاف فى الرحلتين فهي متعددة بصورة واضحة ، منها أن بتاحيا الراتسبونى لم يكتب رحلته هو بنفسه ، بل أن من كتبها هو يهوذا الصالح ابن شمويل^(٢٢) الذى رافق بتاحيا فى رحلته ، ومن ثم فقد تناول هذا الرجل ، الجوانب التى استرعت انتباهه ، لا انتباه بتاحيا نفسه ، ومن المنطقى تصور أن فى حالة كتابة بتاحيا لرحلته بنفسه ، لاختلف الموقف بصورة واضحة ، أما بنيامين التيطلي ، فقد كتب رحلته هو نفسه ، وعكست رؤيته الشخصية لمملكة بيت المقدس الصليبية ، ونجد ما يمكن وصفه « بشخصية » الرحالة واضحة فيما كتب ، وهو الأمر الذى نفتقده لدى رحلة بتاحيا ، وهذا الوضع جعل يبرزلى يتصور أن ما وصلنا من رحلة بتاحيا ما هو الا مختارات فقط وليست الرحلة كاملة ، وهذه المختارات بالطبع قام بوصفها يهوذا الصالح بن شمويل .

ومن مظاهر الاختلاف بين الرحلتين أن رحلة بنيامين التيطلي احتوت على

اهتمام واضح بالجوانب الاقتصادية لا سيما التجارية والحرفية ، "ودور اليهود في هذه المجالات ، بينما لا نجد ذلك لدى بتاحيا الذي لا تتوافر في رحلته مثل تلك الاهتمامات ، ومن الواضح أنه لم يجعل لها الصدارة ، ولم تحظ لديه الا بالقليل من تناول ، وبصورة نادرة لا تصل لمستوى رحلة سلفه .

ومن جهة أخرى ، فعلى الرغم من أن بنيامين التطيلي اهتم اهتماما كبيرا بالمدن الساحلية الشامية ودورها الاقتصادي ، وموقعها الاستراتيجي ، الا أن بتاحيا أغفل تلك الجوانب ، ووضع اهتمامه بمناطق داخلية مثل بيت المقدس ، وطبرية ، والجليل ، دون أن يتطرق الى المدن الواقعة على ساحل شرق البحر المتوسط ، مما قلل من القيمة العلمية لرحلته بالمقارنة برحلة الرحالة الأسباني . وبالإضافة الى ذلك ، من الواضح اختلاف كل من الرحلتين من حيث تعدد المدن التي زارها بنيامين التطيلي وقلة تلك التي زارها بتاحيا ، ولا ريب في اتساع نطاق رحلة الأول بالمقارنة مع الآخر ، ولعل ذلك كان من عوامل ثراء رحلة بنيامين وتفصيلها المتعددة بينما رحلة بتاحيا اتسمت بالاختصار ومحدوديتها بالصورة التي وصلت اليها .

وأخيرا ، فقد قدم بنيامين التطيلي تناولا هاما للقوى الدينية في الجانب الإسلامي ، ومن أمثلتها تناوله لعناصر الاسماعيلية النزاعية وعلاقاتها بمملكة بيت المقدس الصليبية ، أما بتاحيا الراتسبونى فلم يقدم أية اشارات تتصل بتلك الناحية ، وأغفل ذكر أية قوى دينية بخلاف اليهود .

زد على ذلك ، أنه من الممكن أن نعقد مقارنة بين رحلة الرحالة الروسية أيوفروزين ورحلة بتاحيا الراتسبونى ، وقد اتفق كل منهما من حيث أن شخصا آخر كتب الرحلة ، ولم يكتب بتاحيا وكذلك أيوفروزين رحلتهما ، وإذا كانت هذه تمثل نقطة الاتفاق بينهما ، الا أن هناك عناصر للافتراق والاختلاف ، إذ أننا على حين نعرف كاتب رحلة بتاحيا وهو يهوذا الصالح بن شمويل ، فإننا نجهل كاتب رحلة أيوفروزين ، ومن جهة أخرى ، نجد أن أيوفروزين كانت مسيحية ، بينما بتاحيا يهودى الديانة ، ولعل هذه الناحية - على نحو خاص - تمثل نقطة الاختلاف الجوهرية بينهما ، إذا اصطبغت رحلة كل من الطرفين بتصوير مختلف عن الآخر من خلال التوجه الدينى الخاص لكل منهما .

مجلد القول وصفوته ، أن رحلة الرحالة اليهودى الألماني بتاحيا الراتسبونى افادت في القاء الضوء على توزيعات العناصر اليهودية ونشاطها في المملكة الصليبية ، وأهم المزارات الدينية اليهودية حينذاك .

الهوامش :

(١) صدرت عدة ترجمات وطبعات. لرحلة بتاحيا الراتسبولي ، من خلال اللغات اللاتينية والألمانية والفرنسية والانجليزية ، ومن الطبيعي أن نلاحظ اهتمام الألمان - قبل غيرهم - برحلة بتاحيا نظرا لكونه من اليهود الألمان ، وتجدر الإشارة إلى أن أول طبعة للرحلة صدرت في براغ prague عام ١٥٩٥ م ، وكذلك ترجمت الرحلة إلى الألمانية في عام ١٦٨٧ م ، ومن جهة أخرى تمت ترجمتها إلى اللاتينية على يد واجنسيل Wagenseil في نفس العام المذكور في ستراسبورج Strasburg

أما بالنسبة لجهود الباحثين الفرنسيين حيال رحلة بتاحيا الراتسبولي فتجدر إنكارمولي Carmoly قام بترجمتها إلى الفرنسية ، ونشر عمله في الجريدة الآسيوية ، المجلد الثامن ، الصادر في باريس عام ١٨٣١ م. على مدى الصفحات من ٢٥٧ إلى ٣٠٧ ، من ٣٥٣ إلى ٤١٣ .

حيث نجد النص العبري مصحوبا بالترجمة الفرنسية عنها انظر :-

«Tour du Monde, Ou Vopage de Rabbi Petachia», J.A., T. VIII, Paris . 1831, pp. 257—307, pp. 353—413.

كذلك صدرت ترجمة إلى الانجليزية للرحلة من جانب كل من ٠١ بنيش ، و - ف اينسورث ، في لندن عام ١٨٥٦ م .

عنها انظر :

The Travels of Rabbi Petachia of Ratisbon, English Trans. by A. Benisch and W.F. Ainsworth, London, 1856.

ثم صدرت طبعة أخرى للرحلة في ليمبرج Lemberg عام ١٨٥٩ م ، ثم صدرت طبعة للرحلة مترجمة إلى اللغة الروسية في بطرسبرج عام ١٨٨١ م ، وأشهار أدلر Adler ، إلى طبعة أخرى صدرت في بيت المقدس على يد جرانهوت Grunhut ولكنه لم يذكر تاريخا محددا لها :

وتجدر الإشارة إلى أن أفضل الدراسات المتعلقة برحلة بتاحيا الراتسبولي تم عرضها من خلال اهتمام الباحثين الألمانين رهريشت وتوبلن في دراستهما البيليوغرافية ، وقد أوضح كل منهما أهم الترجمات والطبعات الخاصة بالرحلة

عن ذلك انظر :-

Tobler, Bibliographica Geographica Palaestinae, p. 19.

Ruhricht, Chronologisches verzeichniss der auf die geographie der heiligen landes bezuglichen iteratur, Von. 333, Bis. 1878, p. 40.

وأيضا :

Wright, The geographical lore of the time of the crusades, p 266, note (2).

Adler, Jewish Travellers, London 1930, p. 64, The Universal Jewish Ency., «Petachia Moses Ben Jacob Halaban», Vol VIII, New York 1969, p. 471

(٢) أنظر رحلة سايولف *

(٣) عن بتاحيا الراتسبونى والتعريف به أنظر :

The Jewish Ency., «Bethahiah», Vol. IX, p. 656.

The Universal Jewish Ency., «Pethahiah Moses Ben Jacob Halaban», Vol. VII, New York 1969, p. 471

Beazley, The Dawn of modern geography, Vol. II, p. 264.

وراتسبون Ratisbon ، هي التسمية الانجليزية لمدينة ريجنسبرج Regensburg وهي تقع على الضفة اليمنى من نهر الدانوب Danube ، الى الشمال من بافاريا Bavaria على بعد ٨٥ ميلا أو ١٣٥ كم شمال شرق ميونخ Munich ، وقد كان موقع المدينة هاما على المستويين التجارى والدفاعى منذ أبكر الأزمنة ، وقديما شيد الرومان معسكرا حربيا بها عام ٧٧م ، كما أقاموا موقعا حصينا باسم Castra Regina ، وذلك فى عام ١٧٩م ، ولا تزال البوابة الشمالية منه قائمة الى الآن ، وقد قدمت القبائل البافارية الى المنطقة فى القرن السادس م ، وصارت راتسبون مركزا لدوق بافاريا ، ويقرر البعض أنها غدت فى عام ١٢٤٥م مدينة امبراطورية حرة ، وحققت أعظم مراحل مجدها خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، وبفضل ازدهار نشاطها التجارى من المرجح أنها غدت أغنى مدينة فى الشمال الألمانى *

عن راتسبون أنظر :

Ency. Amer. «Regensburg», U.S.A., 1985, Vol. XXIII, p. 361.

Ency. Brit., «Regensburg», London 1958, Vol. XIX, p. 69.

Lexicon Universal Ency., «Regensburg», New York 1983, Vol. XVI, p. 128.

Beazley, op. cit., p. 269.

(٤)

Adler, Op. Cit., p. 63.

Petachia, p. 399.

(٥)

(٦) نقولا زيادة ، المرجع السابق ، ص ٨٧ .

Adler, Op. Cit., p. 64.

(٧)

Beazley, Op. Cit., p. 266, note (2).

(٨)

Petachia, p. 387.

(٩)

Ibid, p. 399.

(١٠)

Ibid, p. 399.

(١١)

Ibid, p. 391.

(١٢)

Ibid, p. 393.

(١٣)

Kitchener, «Survey of Galilee», P.E.F., London 1878, p. 168.

وجدير بالذكر أن هليل Hillel كان ربانيا ومعلما عاش في الرحلة الممتدة بين القرنين الأول ق م والأول م . وبالتحديد بين عامي ٧٠ ق م ، ١٠ م ، وقد ولد في بابيلونيا Babp Lonia ، وعندما بلغ سن الأربعين ارتحل الى القدس من أجل طلب العلم ، وبرع في دراسة العلوم الدينية ، وأسس تلك الأكاديمية التي حملت اسمه وعرفت بببيت هليل Bet Hillel وقد تمكن من ابتداء سبع طرق لتفسير التوراة ، وعارض أحد كبار الربانيين الآخرين ، ونعني به شماي Shammai ، وقد أشارت المؤلفات الأدبية التي كتبها الربانيون الى تمتع هليل بمكانة كبيرة في صفوف اليهود ، واعتبروه الزعيم الروحي لهم .

عنه انظر .

محسن العابد ، « الأنجيل بين الاسطورة والتحرر » ، مجلة المرجع ، عدد (٤)

عام ١٩٨٥ م ، ص ٤٤ ، هامش (٤٠) .

Ency. Judaica, «Hillel», Vol. VIII, p. 482-- 486.

The Universal Jewish Ency., «Hillel», Vol. V, p. 362--363.

أما شماي Shammai ، فهو أحد كبار رجال الدين اليهود ويلقب باستمرار بالكبير Elder أو بالعبرية Hazaken ، وعاش ما بين عامي ٥٠ ق م ، ٢٠ م ، وهناك من يقرر أن المرحلة المبكرة من حياته تعد مجهولة بالنسبة للباحثين ، وتأتي أهمية شماي من خلال كونه مؤسس مدرسة تلمودية نافذة مدرسة هليل ، وعرف بصفة عامة بالتشدد في تعاليمه الدينية ، ويعد أحد الزوجات Zugot والكلمة الأخيرة تعني مدلولاً محدداً ، إذ أن المراحل التعليمية تم تفسيرهما إلى حلقات يقوم بالتدريس في كل واحدة اثنان (زوجات) من العلماء اليهود ، ومن المعروف أن شماي خلف في التدريس مناحم الاسيني وهو أحد أعضاء جماعة دينية متطرفة ولفى مصرعه أثناء الصراع بين اليهود والرومان ، وبصفة عامة احتل شماي مكانة رفيعة بين كبار علماء اليهود لأمد طويل ، عنه أنظر :

Ency. Judaica, «Shammai», Vol. XIV, p. 1291.

The Universal Jewish Ency., «Shammai», Vol. IX, p 495.

Petachia, p. 393

(١٤)

ibid, p. 391.

(١٥)

يوشع بن نون هو الذي تولى قيادة بني إسرائيل بغيت وفاء موسى عليه السلام ، وهناك سفر خاص به يحمل اسمه في العهد القديم ألا وهو سفر يشوع ، ويمكن تقسيم حياة يشوع أو يوشع إلى قسمين ، القسم الأول ويطلق عليه مرحلة الصحراء وفيها نجده بمثابة مساعد ومعين للنبي موسى عليه السلام ، أما القسم الثاني فيتمثل في دوره في قيادة بني إسرائيل بعد وفاة موسى ، وفي المجال الأخير نجده يرتبط ارتباطاً وثيقاً باتجاههم نحو غزو أرض كنعان Canaan والاستقرار فيها ، وقد تمكن من عبور الأردن والنزول بفلسطين وتم الاستيلاء على أريحا وأعقب ذلك مذبحة كبرى تم قتل كل من وجد فيها تقريباً من السكان ، وبقرار البعض أن يوشع جعل مبادئ قانون القوة فتصور أن أكثر الناس سلفاً للدماء ، هو ذلك الذي يبقى على قيد الحياة ، وهناك من يقرر أن يوشع قد قسم الأرض التي استولى عليها بين الأسباط ، وترك ست مدن قديمة على الشاطئ الأيمن والأيسر للأردن ، وذلك لتكون ملجأً للمشردين من بني إسرائيل ، الذين يتم اتوأمهم بالقتل الخطأ .

عن يوشع أنظر :

سفر يشوع من ١ : ٣ .

The Universal Jewish Ency., «Joshua», Vol. VI, pp. 202--206.

Ency Brit., «Joshua», Vol. XIII, p. 153.

Chamber's Ency., «Joshua», Vol. VIII, p. 140.

Dictionnaire Encyclopédique quillet., «Josué», T II Paris 1953, P 3027.

عبد الحميد زايد ، القدس الخالدة ، ص ٤٤ ، ص ٤٥ ، أحمد شلبي
اليهودية ، ط٠ القاهرة ١٩٨٤م ، ص ٦٩ .

Petachia, p. 391. (١٦)

Ibid, p. 393. (١٧)

Ibid, p. 391. (١٨)

(١٩) بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ١٣٦ - ص ١٣٧ .

وعن هذا المنصب أنظر : الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، ط٠ القاهرة ١٩٨١م
ص ٢٤ ، ويقرر أن كلمة الجالوت المقصود بها الجالية ، أي الذين جلوا عن القدس
أيضا ، عطيه القوصي ، « صلاح الدين واليهود » ، المجلة التاريخية المصرية
م (٢٤) ، عام ١٩٧٧م ، ص ٥٢ ، هامش (٢٨) .

(٢٠) بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ١٣٨ .

(٢١) نفسه ، نفس المصدر والصفحة ، والريانيون أو الربيون أو الربانور
تحريف لكلمة ربانيم العبرية وتعني الامام أو الفقيه وتعود التسمية الى أن الربانير
أخذوا بتفسيرات أحبار اليهود وعلمائهم التي تضمنها التلمود ، وقد انفردوا بشروحه
غوامض التوراه ، ويلاحظ أن السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي كان قد أصدر
أمرا بعودة اليهود الى بيت المقدس بعد أن استرد المسلمون المدينة عام ١١٨٧م فعاد
العدد الكبير منهم وخاصة الربانيون ، عنهم أنظر :

قاسم عبده قاسم ، أهل الذمة في مصر العصور الوسطى ، دراسة وثائقية ،
ط٠ القاهرة ١٩٧٩م ، ص ١٠٩ - ص ١١٠ ، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي
عصر سلاطين المماليك ، ط٠ القاهرة ١٩٧٩م ، ص ٨٢ - ص ٨٣ ، عطيه القوصي ،
المرجع السابق ، ص ٤٢ .

Wright, Op. Cit., p. 118. (٢٢)

Beazley, Op. Cit., p. 266.

Asher, Op. Cit., p. 64.

والجدير بالذكر أن الربى يهوذا الصالح بن شمعون هذا - كما يقرر بيزلي - من
رأسبون وهي مسقط رأس بتاحيا نفسه ، وكان على صلة قوية بعدد من الأطباء
اليهود المشهورين في أخرىات القرن الثاني عشر م وأوائل القرن الثالث عشر م والده
عهد بتاحيا بأمر كتابة رحلته ، ومع ذلك نجد أن بيزلي يخلط بين بتاحيا ويهوذا ،
أنه يقرر أسماء لآخوة الأخير ، وفي الواقع أن تلك الأسماء تنطبق على أخوة
بتاحيا نفسه ، كما هو واضح في مقدمة النص العبري والترجمة الفرنسية ، وكذلك
في دوائر المعارف اليهودية المتخصصة ، عن إشارة بيزلي أنظر :

Beazley, Op. Cit., p. 265, note (1).

الفصل التاسع

يوحنا فوكاس

(١١٨٥ م)

يوحنا فوكاس

(حوالى عام ١١٨٥ م)

تمثل رحلة الرحالة يوحنا فوكاس^(١) فى انحاء مملكة بيت المقدس الصليبية ، مكانة مرموقة جديدة بها بين الرحلات التى وصلت الينا من تلك المرحلة ، وقد قدم لنا فيها وصفا هاما للمدن الساحلية الواقعة شرق البحر المتوسط ، ولا سيما الساحل الفلسطينى ، ثم انه ايضا اهتم ببعض الجوانب الصحية التى لم يتطرق اليها الكثيرون من الرحالة السابقين ، وبالإضافة الى ذلك قدم بعض الاشارات عن عدد من القلاع فى انحاء المملكة الصليبية ، ونظرا لارتباط يوحنا فوكاس بالامبراطورية البيزنطية فقد انعكس ذلك على رحلته ، ولا ريب فى أن كافة تلك العناصر التى احتوتها رحلته ، جعلتها تحتل مكانها اللائق بها بين تلك الرحلات .

أما بالنسبة ليوحنا فوكاس نفسه ، فلحسن الحظ أننا نعرف بعض الجوانب عن حياته وأسرته ، وذلك على خلاف بعض الرحالة الأوربيين الآخرين الذين لم يصل الينا منهم الا النذر اليسير ، كما أن رحلاتهم نفسها لم تقدم لنا أضواء كاشفة عن شخصياتهم على نحو يمكن أن يفيد فى ادراك الجوانب الشخصية لأولئك الرحالة .

والواقع أن يوحنا فوكاس ولد فى جزيرة كريت Crete ، ووالده هو ماثيو Mathieu ، راد عمل الأخير فى السلك الديرانى حتى وصل الى درجة عالية فيه وأدركته منيته فى جزيرة باتموس Patmos^(٢) ، وعندما شب عن الطوق عمل فوكاس فى جيش الإمبراطورية البيزنطية وذلك فى عهد الإمبراطور مانويل كومنين Manuel Comnenus (١١٤٥م - ١١٨٠م)^(٣) وقد تزوج وأنجب ولدا ، وانخرط فى السلك الديرانى ولا نزاع انه فى ذلك الاتجاه أراد أن يقتفى أثر والده ، وقد انعكس الجانب الدينى فى شخصيته من خلال حرصه الواضح على تناول الكنائس والأديرة المتناثرة فى كافة انحاء المملكة الصليبية ، كذلك انعكس ارتباطه بالامبراطورية البيزنطية من خلال مديحه للإمبراطور مانويل كومنين .

وبالنسبة لتحديد تاريخ القيام بالرحلة ، نجد أن ميلر فى ترجمته للرحلة الى اللاتينية يقرر أن يوحنا فوكاس قام برحلته الى الأرض المقدسة عام ١١٧٧م^(٤) ، بينما اتجه فريق آخر الى القول بأن ذلك حدث عام ١١٨٥م . وقد مثل الفريق الأخير عدد من الباحثين مثل توبلر والاتيوس وبيزلى ونقولا زيادة^(٥) ، وقد ذكر الاتيوس أنه وجد ذلك التاريخ مكتوبا على بعض النسخ المخطوطة للرحلة ومعه معلومات أخرى عن مؤلفها^(٦) ، ومن الممكن الأخذ بذلك التاريخ الأخير الذى أخذ به عدد من الدارسين .

وهكذا ، فإن أهمية رحلة يوحنا فوكاس تأتي أيضا من خلال التوقيت المرجح ان الرحلة تمت خلاله . فقد قام برحلته قبل حوالى عامين فقط من معركة حطين عام ١١٨٧م^(٧) ، والتي أدت الى الحاق الهزيمة العسكرية الفادحة بالملكة الصليبية ودخول المسلمين تحت قيادة الناصر صلاح الدين الأيوبي المدينة المقدسة مظفرين .

وقد قام ذلك الرحالة برحلته الى المملكة فى وقت متقارب مع رحلة رحالة أندلسى مسلم ونعنى به ابن جبير^(٨) ، الذى قام برحلته فى ربوع الشام ومر بالمناطق الخاضعة للسيادة السياسية الصليبية ، ومن ثم أمكن الاستفادة من رحلة الأخير فى مقارنتها برحلة يوحنا فوكاس .

ومع ذلك ، ينبغى أن نلاحظ أن هناك اختلافا وفارقا بين الرحلتين ، فابن جبير تنقسم رحلته بثرائها وتفصيلاتها على كافة الأصعدة والمستويات الاقتصادية والسياسية والعقائدية والاجتماعية ، بينما رحلة يوحنا فوكاس تفوقت فيها الناحية الدينية على ما عداها من اهتمامات ولم يعمل مؤلفها على ايراد تفصيلات تتعلق بتلك الجوانب التى اهتم بها ذلك الرحالة المسلم ،

وبصفة عامة ، تقدم رحلة يوحنا فوكاس صورة لملكة بيت المقدس الصليبية قبل اسقاطها على أيدي المسلمين عام ١١٨٧م ، وذلك من خلال عرض عام فى شكل دليل للحجاج القادمين لزيارة الأماكن والمواقع المقدسة ، وقد أفادت رحلته فيمتنا يتصل بناحيتين الأولى ما تعلق بالجانب الدينى خاصة الكنائس والأديرة التى تناثرت فى كافة أنحاء المملكة ، وقد قدم تناولا هاما لأهم الأديرة وما احتوته من رهبان انقطعوا للعبادة ، أما الناحية الأخرى فهى تتصل بما ورد فى الرحلة من تناول

للمنشاط الاقتصادي ، والكثافات السكانية ، خاصة عند تناوله للمدن الواقعة على الساحل الشمالي ٥

أما فيما يختص بالأمكان المسيحية المقدسة ووصف يوحنا فوكاس لها ، فلم يخرج الأمر عن وصف غيره من الرحالة الأوربيين السابقين مثل سسايولف Saewulf (١) ودانيال Daniel (٢) ، ويوحنا الوردبرجي (٣) John of Wurzburg وغيرهم ، ويلاحظ أنه هو نفسه قرر ذلك إذ أنه عندما تناول كنيسة الضريح المقدس نجده يقرر أن مظهرها وأوصافها تناولها كتاب سابقون آخرون مما يدل على أنه كان على علم بما ألفه السابقون عليه في هذا الصدد ، وأنه لن يقدم جديدا عما هو معروف ومتفق عليه .

وقد تناول يوحنا فوكاس أحد الأديرة الهامة في مملكة بيت المقدس الصليبية ، وهو دير القديس ثيودوسيوس St. Theodosius (٤) ، وقد أحبط بصورة دائرية بالعديد من الأبراج ، وفي وسطه نجد كنيسة شيدت على أرض مرتفعة ، وبها توجد مقبرة القديس ثيودوسيوس كذلك تحتوى على العديد من رفات كبار القديسين ويبدو أن موضع دفن أولئك القديسين كان مجالا متسعا للتبرك من جانب آلاف الحجاج الذين يقدمون لزيارة الأماكن المقدسة .

وزد على ذلك هناك دير القديس ايوثيميوس الكبير St. Euthymius The Great (٥) والدير كما يقرر يوحنا فوكاس محصن بعدد من الأبراج والحوائط الكبيرة ، وفي وسطه شيدت كنيسة ذات سطح دائري ، وبها مقبرة القديس ايوثيميوس الكبير (٦) .

وبالإضافة الى ذلك ، هناك دير كالمون Calamon ، وهو مزود بعدد من الأبراج ، وشيدت كنيسة في وسطه ، ويقال أنها أقيمت في عهد الحواريين ، فهي تعد من أقدم الكنائس ، وبها صورة للسيد المسيح بين ذراعى مريم العذراء ، والصورة كما يقال ملونة بيد القديس لوقا St. Luke (٧) ، مما أعطاها - ولا ريب - مكانة سامية في نفوس الحجاج المسيحيين الوافدين على المملكة الصليبية . كذلك أشار ذلك الرحالة الى عدد من الأديرة الأخرى التي احتوت على العديد من الرهبان ،

ومن أمثلتها Abbot's Monastery (١٦) ، وأيضا دير النبی الیاس Elias (١٧) ، ودير القديس خاريتوس أو خاريسستون St. Charitos أو Chariston (١٨) ، ومن الأديرة الهامة التي وجدها ذلك الرحالة دير الرهبان الأسبان ، والذي حدد موقعه بأنه في الجهة اليمنى من مدينة بيت المقدس باتجاه برج داود Tower of David (١٩) ، ومن ناحية أخرى أشار الى الأديرة الثلاثة التي شيدت فوق جبل تابور Thabor وهي :

Monastery of Furrunner, Monastery of Calamen, Monastery of St. Gerasimus
وبمعرفة عامة يمكن القول ان العديد من الرهبان من جنسيات متعددة أقاموا في الأديرة المتناثرة في أنحاء المملكة .

أما تناوله للساحل الشامى وكذلك المناطق القريبة منه ، فذلك مثل أهمية واضحة في رحلته ، وانفرد في هذا الصدد بذكر اشارات لم ترد لدى أى من الرحالة الأوربيين السابقين والذين زاروا المنطقة في عهد السيادة الصليبية هناك ، ويرجع ذلك في تصوري الى دقة ملاحظة ذلك الرحالة وقدرته على ادراك ما لم يدركه غيره ، ومن الطبيعي تصور أنه قام بزيارة تلك المناطق بالفعل ولم يعتمد على روايات غيره من المعاصرين ، ولا ريب في أن ذلك أعانه على ادراك تلك الجوانب .

وبالنسبة لانطاكية Antioch منلا نجده يصفها بأنها المدينة الالهية ، الواقعة على نهر الاورنت Orontes أو العاصى ، ذات المسارح المتسعة ، والمعابد الضخمة ، والأعمدة الجميلة ، وذات السكان الوفوري العدد ، والثروات الطائلة . ويقرر في اشارة هامة تفيد تميزها انها في الأغلب تتفوق على كافة مدن الشرق . وأشار أيضا الى أن تلك المدينة كانت تتمتع بنظام دقيق كفل لها توصيل المياه عبر العبد من القنوات الى كافة المنازل المقامة بها (٢١) .

أما بيروت Berytus ، فهي عنده مدينة كبيرة وعامرة بالسكان ولها مرفأ جيد وهناك برجان كبيران يتصلان بسلسلة يمكن من خلالها التحكم في عبور السفن . ومن الواضح من خلال اشارته أن بيروت تمتعت بالازدهار التجارى الواضح (٢٢) .

وقد ذكر فوكاس جبل لبنان ووصفه بالجمال وكذلك ثرائه بأشجار الفاكهة من كافة الأنواع (٢٣) ، وأشار الى أن الجانب الذى يطل على البحر يحوى السكان المسيحيين ، بينما سكن المسلمون الجانب الذى يطل على دمشق وبلاد العرب ، ثم انه أشار الى الأنهار التي تخترق جبل لبنان وان منها ما يصب في البحر (٢٤) .

ومن الطبيعي أن ندرك أن فوكاس كان يقصد بعناصر المسيحيين الذين يسكنون قسما من جبل لبنان خاصة الذى يطل على البحر - عناصر الموارنة الذين عاشوا هناك من قبل مقدم الصليبيين ، أما المسلمون فهم على الأرجح كانوا عناصر الاسماعيلية أو الدروز .

وعن تناوله لمدينه طرابلس Tripolis يشير الى ارتفاع أسوارها وجمال مبانيها^(٢٥) ، ويوضح أن عناصر الحشاشين لديهم قلاعهم فى تلك المنطقة وأنهم يسبون الذعر للسكان ويطيعون شيخهم طاعة مطلقة^(٢٦) ، ومن الملاحظ أن حجم اشارته عنهم جاءت مقتضية ، اذا ما قورنت بما أورده من قبل الرحالة الأسباني اليهودى بنيامين التطيلي Benjamin of Tudela ، فالأخير تناول مواقفهم بصورة أكثر دقة وذكر علاقاتهم العدائية ، سواء مع المسلمين أو الصليبيين ، على نحو جعله يتفوق على رواية يوحنا فوكاس السابقة .

كذلك فانه يصف صيدا Sidon وذكر أنها ذات ميناء مزدوج ، ومن بعدها يشير الى حصن سرافثا Saraphtha ، أو سربتا Sarepta أو صرفند Surafend^(٢٧) ، ويبدو أنها مثلت مركزا دفاعيا هاما فى الجنوب اللبناني .

أما صور L'Yre ، فانه يذكر انها تتفوق بجمالها على كل مدن فينيقيا ، وقد بنيت شأنها فى ذلك شأن طرابلس على شبه جزيرة مشابهة لها^(٢٨) ، ولكنها بنيت على مساحة بالغة الاتساع ، وهى ذات مبان جميلة ورائعة تفوق طرابلس .

وهنا نلاحظ ، أن يوحنا فوكاس لم يكتف، بتناول كل مدينة من المدن الساحلية على حدة بل أنه عمل على أن يعقد مقارنة بينها ، ويبدو أن الازدهار العام الذى شهدته تلك المدن خاصة من خلال النشاط التجارى ، قد جعل عقد المقارنة بينها أمرا مألوفا ومنطقيا أيضا .

أما وصفه لمدينة عكا ، والتي يذكرها على أنها بتوليميس Ptolemais أو عكا Acco ، فيعد بحق من أهم ما ورد فى رحلته من اشارات تتصل بالمدن الشامية الساحلية الخاضعة للسيادة الصليبية وذلك من عدة أوجه :

أولا - أشار الى الكثافة السكانية المرتفعة بها وأن ذلك مما يسترعى الانتباه^(٢٩)، وهو فى ذلك يتفق مع ما أورده الرحالة المسلم الأندلسى ابن جبير عندما ذكر

ما نصه : « سككها (أى مدينة عكا) وشوارعها تغص بالزحام وتضيق فيها مواطىء الأقدام » (٣٠) ، ولا ريب فى أن تلك الزيادة السكانية قد حدثت من خلال موقع المدينة الساحلى ودورها فى حركة التجارة وكثرة المشتغلين بأعمال الصادرات والواردات واستقرار الكثيرين فى ذلك الميناء الحيوى نظرا للعائد المرتفع نسبيا المتوقع الحصول عليه حينذاك ومن المتصور أن تلك الزيادة السكانية ارتفعت أكثر بعد سقوط بيت المقدس فى قبضة المسلمين وانتقال المملكة الى عكا حيث صارت مركزا لها .

ثانيا - تناول فوكاس فى رحلته دور عكا فى حركة التجارة وازدهارها فى ذلك الجانب ، وقد ذكر أنها تستقبل كافة السفن التجارية وكذلك بها كافة الحاج الذين يقومون بالحج سواء بالبحر أو بالبر (٣١) ، ونجد أن ابن جبير هو الآخر يقدم وصفا هاما يوضح لنا البعد التجارى لعكا ، اذ يقول ما نصه « هى قاعدة مدن الأفرنج بالشام . ومحط الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام ، مرفأ كل سفينة والمشبهة فى عظمتها بالقسطنطينية ، مجتمع السفن والرفاق وملقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق » (٣٢) .

ويلاحظ أن ازدهار حركة التجارة فى عكا لم يكن فقط من خلال حركة الصادرات والواردات التى قام بها التجار لسد احتياجات الكيان الصليبي ، بل انها مثلت منفذا تجاريا هاما للمدن الشامية الداخلية التى لم تطل على ساحل البحر المتوسط مثل دمشق وغيرها ، ولا ريب فى أن ذلك زاد من النشاط التجارى لذلك الميناء الحيوى الهام ، فاذا أضفنا الى ذلك وجود مراكز للتجار الايطاليين مثل البيازنة ، والبندقية ، والجنوية للاشراف على نشاطهم التجارى فى الميناء أدركنا حجم التعاملات التجارية الكبيرة هناك .

ثالثا - نجد أن ذلك الرحالة يشير الى أن مدينة عكا تحوى ألوانا من الفساد والتحلل الخلقي الناجم عن تدفق أعداد متزايدة من العرباء وأن ذلك صاحبه انتشار العديد من الأمراض والأدواء ، مما أدى الى تعدد صور الردى (٣٣) بها ، وربما كان هذا النص الذى قدمه لنا ذلك الرحالة يوضح ويفسر النص المقتضب الذى قدمه لنا ابن جبير فى رحلته وذكر عن عكا أنها « زفرة قذرة ، مملوءة كلها رجسا وعذرا » (٣٤) ، وهكذا فإن الرحالة المسيحي وكذلك الرحالة المسلم اتفقا على حقيقة واحدة ونعنى بها تفشى التحلل الخلقي فى المدينة المذكورة ، ومرجع ذلك بالطبع الى كثرة عدد الأجانب والغرباء وندفقتهم على المدينة ، وكذلك وجود عدد كبير من الفاسقات اللائى اشهرت مراكزهن فى المدينة ومن المنطقى تزايد أعدادهن من خلال التفسخ الخلقي

الذى يواكب المجتمعات المحاربة التى يفنى فيها الرجال وتبقى النساء أرامل بعد وفاة أزواجهن على نحو يفتح الطريق أمام الرذيلة ، ويصدق ذلك بالطبع على المجتمع الصليبي فى عكا ، ومن جهة أخرى نجد أن رواية يوحنا فوكاس تفوق رواية ابن جبير من حيث تناوله لكثرة حالات الوفيات فى عكا بسبب اختلاط أقوام متعددة ، وأجناس متباينة ، ويبدو أن العوامل التى أدت الى ذلك عدم وجود وسائل فعالة وناجعة للحجر الصحى بالصورة الدقيقة حينذاك .

ومن الواضح أن تلك الناحية التى أثارها فوكاس بشأن التحلل الخلقى ، وانتشاره فى تلك المدينة الساحلية قد صاحبها حتى سقوطها فى أيدي المماليك عام ١٢٩١م ، مما يدعم التصور بأن عكا سقطت من الداخل قبل أن تسقط على أيدي داوية الاسلام .

وبالإضافة الى ذلك ، فإن فوكاس يقدم عرضا لبعض المدن الهامة الأخرى ، ومثال ذلك تناوله لصفورية Semphori (٣٥) ، التى هى فى معظمها غير مأهولة . وليس لها حتى بقية من ازدهارها السابق ، ويصف مدينة كنا Cana وهم من مدن الجليل بأنها مكان محصن صغير للغاية (٣٦) ، كذلك تناول مدينة نابلس وذكر أهميتها لعناصر السامرة (٣٧) وهم من الفرق اليهودية الرئيسية .

وتوجد ناحية هامة ميزت رحلة يوحنا فوكاس عن غيرها من رحلات الرحالة الأوروبيين ، ونعنى به ارتباطاته بالامبراطورية البيزنطية ، فمن المعروف أنه عمل فى الجيش البيزنطى فى عهد الامبراطور مانويل كومنين ، ويبدو أنه كان يقدر ذلك الامبراطور تقديرا كبيرا ، وهذا يتضح لنا من خلال مطالعة نصوص رحلته ، إذ أنه يصفه بأنه الامبراطور المجيد Glorius Emperor (٣٨) ، ويلاحظ أنه عند وصفه لكنيسة الضريح المقدس Church of Holy Sepulchre يشير الى النقش الموجود هناك والذى يصف الامبراطور مانويل كومنين بأنه Porphyrogenitus (٣٩) أى المولود فى العباءة الأرجوانية .

والواقع أن هذا النقش له دلالاته التاريخية الهامة خاصة فيما يتصل بالعلاقات اللاتينية- البيزنطية (٤٠) ، ومن ثم يتطلب الأمر عرض تطور تلك العلاقات حتى عهد الامبراطور البيزنطى المذكور .

فمن المعروف أن الامبراطورية البيزنطية عملت على أن تعقد معاهدة تنظم علاقاتها مع الأمراء الصليبيين ، الذين قدموا خلال الحملة الصليبية الأولى ، وعرفت تلك الاتفاقية باسم اتفاقية القسطنطينية التي وقعت عام ١٠٩٧م^(٤١) ، وقد تعهدوا فيها بأن يعيدوا للامبراطورية الأملاك التي ضاعت منها من جراء التوسع السلجوقي في المنطقة وبالطبع فإن أنطاكية Antioch كانت تمثل جانباً أساسياً من تلك الممتلكات ، وفي مقابل ذلك تعهد الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين Alexius Comnenus (١٠٨٠ - ١١١٨ م) بتقديم الدعم العسكري البرى والبحرى للصليبيين وكذلك امدادهم بالموءن اللازمة والأدلاء المرشدين .

غير أنه بعد نجاح الحملة الصليبية الأولى فى تحقيق أهدافها بإقامة إمارات لاتينية فى أنطاكية والرها وبيت المقدس وطرابلس ، لم ينفذ الصليبيون تعهداتهم التى قطعوها على أنفسهم ، ووجد فى السياسة البيزنطية ما عرف بالمشكلة الأنطاكية وهى تعنى سعى بيزنطة الفعال من أجل فرض هيبتها وسيادتها على أنطاكية وذلك بكافة الوسائل السياسية الممكنة .

ولا ريب فى أن قيام الإمارة النورمانية فى أنطاكية كان مصدر إزعاج للامبراطورية البيزنطية وذلك بسبب مطامع قياداتها من الأمراء الصليبيين مثل بوهيمند وتاكفرد .

وقد لعب الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين دوراً بارزاً من أجل تأكيد السيادة البيزنطية على أنطاكية ، ويلاحظ أنه فى عام ١١٥٨م قام بغزو كيليكية Cilicia وعامل رينو الشاتونى Renauld de Chatillon أمير أنطاكية على نحو مهين وقاس وأجبره على الخضوع له^(٤٢) .

ومن ناحية أخرى ، دخل مانويل كومنين أنطاكية فى أبريل عام ١١٥٩م فى موكب مهيب ، ومعه كافة الأشعة الامبراطورية ، ومن خلفه الملك الصليبي بلدوين الثالث Baldwin III^(٤٣) ورينو الشاتونى ، وقد مثل اخضاع أمير أنطاكية ودخولها من جانب مانويل علامة انتصار بارزة للسياسة الخارجية البيزنطية تجاه اللاتين ، وكان ذلك نتاج ما يزيد على الستين عاماً من الجهد والنضال^(٤٤) .

ويوجد فى كنيسة الضريح المقدس فى بيت لحم نقش يرد فيه اسم مانويل كومنين جنباً الى جنب مع اسم الملك الصليبي عمورى الأول Amaury I (١١٦٢ - ١١٧٣)

وهو ذلك النقش الذى رآه فوكاس وذكر ان مانويل وصف فيه بأنه Porphyrogenitus ، ويقع خلاف بين المؤرخين فى تحليل دلالات ذلك النقش وهل يعنى أن الامبراطورية البيزنطية كان لها نوع من السيادة السياسية على المملكة والامارات الصليبية أم لا ، والمرجح أن النقش المذكور ، دل على ايجاز تلك الامبراطورية فى ذلك المجال ، وأن مجهودات مانويل كومنين نجم عنها دعم النفوذ الامبراطورى على الوجود الصليبي فى بلاد الشام ، مع ملاحظة أن كافة تلك المجهودات الامبراطورية لم تستطع أن تحل المشكلة الأنطاكية ، التى كان حلها على أيدى قوة عسكرية وسياسية أخرى ، ونعنى بها الممالك البحرية بقيادة الظاهر بيبرس عندما أسقط اماره أنطاكية عام ١٢٦٨م .

وهكذا أفادت رحلة يوحنا فوكاس فى القاء الضوء على أوضاع مملكة بيت المقدس قبل سقوطها فى أعقاب معركة حطين عام ١١٨٧م من خلال أوجه متعددة .

الهوامش :

(١) من المقرر أن رحلة يوحنا فوكاس Joannes Phocas عنوانها الأصلي هو :

Descriptio Terrae Sanctae

ونوجد في الباترولوجيا اليونانية :

Migne, P.G. T. C XXX III, 997—1063.

وكذلك في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ، المؤرخين اليونانيين ، الجزء الأول ، ط ٠ باريس ١٨٧٥ م ، من ص ٥٢٧ الى ص ٥٥٩ ، وفي الجزء الثاني من ص ٦٨٣ الى ٦٩٥ .

وفيها نجد النص اليوناني مصحوبا بالترجمة اللاتينية وقد قام بالترجمة ميلر Miller

عن ذلك انظر :

Joannes Phocas, R.H.C., Hist. Grec. T. I, Paris 1875, PP. 527—559, T. II, PP 683—695.

وفي هذا المجال انظر :

Ruhricht, Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie der Heiligen Lanes Bezuhrlichen Literatur Von 333 Bis 1878. P. 41.

أيضا :

Downey. A History of Antioch in Syria, from Seleucus to the Arab conquest, Princeton 1961, P. 674.

ثم قام أوبري ستيوارت Aubrey Stewart - وهو الذي قام بترجمة عدد كبير من رحلات الرحالة الأوربيين في أنحاء فلسطين على مدى القرنين الثاني عشر والثالث عشر م - قام بترجمة رحلة يوحنا فوكاس الى الانجليزية وذلك ضمن مجموعة P.P.T.S. ، في الجزء الخامس الصادر في لندن عام ١٨٩٦ م ، وعلى الرغم من ذلك فان داووني Dawney في عمله السابق عن تاريخ انطاكية قد أشار الى ان النشر والترجمة التي قام بها أوبري ستيوارت جاءت ناقصة وأن الرحلة لم تكن مكتملة فيه ، وذلك دون أن يقدم البراهين الدالة على صحة تصويره .

عن جهد ستيوارت انظر :

Joannes Phocas, A Brief description of The Holy Land, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. V, London, 1896.

Tobler, Bibliographica geographica Palaestinae, p. 21.

Leo Aliatus, p 17.

(٢)

Tobler, Op. Cit., P. 21.

Beazley, Vol. II, P. 199.

Leo Allatius, P. IV.

(٣)

وتجدر الإشارة الى أن الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين قد حكم فى المدة من ١١٤٥ الى ١١٨٠م ، وذلك اعتمادا على دراسة العملة البيزنطية ، عن ذا انظر :

Witting, Monnaies Pyzantines, Paris 1975, P. 181.

ومن قبل اعتقد سعيد عمران ، وعمر كمال توفيق ، وعبد القادر اليوسف ١ مدة حكم ذلك الامبراطور وقعت بين عامى ١١٤٣ ، ١١٨٠م انظر اشاراتهم :

سعيد عمران ، السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية فى عهد الامبراطور مانويل الاول ، ط٠ الاسكندرية ١٩٨٥م ، ص ٩٩ ، عمر كمال توفيق ، تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، ط٠ الاسكندرية ١٩٦٧م ، ص ١٣٤ ، ص ١٣٥ ، عبد القادر اليوسف ، الامبراطورية البيزنطية ، ط٠ بيروت ١٩٦٦م ، ص ١٤٨ .

(٤) عن ذلك انظر اشارة داوى :

Dawney, op. cit. P. 674.

Tobler, Op. Cit., P. 21.

(٥)

Leo Allatius, P. IV.

Beazley, Vol. II, P.

نقولا زيادة ، رواد الشرق العربى ، ص ٨٨ .

Leo Allatius, P. IV.

(٦)

(٧) عن معركة حطين انظر :

ابن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق الشيبلى ، ط٠ القاهرة ١٩٦٤م ، ص ٧٥ - ص ٧٩ ، العماد الاصفهاني ، الفتح القسى فى الفتح القدسى ، ط٠ القاهرة ، ص ٨١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٩ ، ص ١٧٩ .

Richard, «La bataille de Hattin, Saladin defeat l'Occident», L'Histoire, T. XLVII, Année 1982, PP. 104 -111, «An Account of The battle of Hattin referring to The Frankish mercenaries in Oriental Moslem States», Speculum,

T. XXXII, PP. 168—175, Lane-Poole, Saladin and The fall of The Latin Kingdom of Jerusalem, London 1898, PP. 205—210.

Fuller, Decisive battles of Western Europe and their influences upon History, London 1954, P. 427.

Eggemberger, Dictionary of battles, London, p. 430.

ديفيد جاكسون ، « معركة حطين والاستيلاء على القدس » ، ضمن كتاب حطين صلاح الدين والعمل العربي الموحد ، ط . القاهرة ١٩٨٩م ، ص ٨٦ - ص ١١٠ ، جوزيف نسيم يوسف ، « معركة حطين ، خلفياتها ودلالاتها » عالم الفكر ، م (٢٠) ، العدد (١) ، أبريل - مايو - يونيو ١٩٨٩م ، ص ٢٣٢ - ص ٢٥١ ، محمود رزق محمود ، العلاقة بين أرناط أمير حصن الكرك وصلاح الدين الأيوبي حتى موقعة حطين ١١٨٧م ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس ١٩٧٣م ، ص ١٥٥ ، ص ١٩٦٠ م ، ص ١٠٥ ، جوزيف داهموس ، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى ، ت . محمد فتحي الشاعر ، ط . القاهرة ١٩٨٧م ، ص ١٠٣ - ص ١٣١ .

أمين توفيق الطيبي ، « وقعتا حطين والاراك نصران متوازيان على الغزاة الصليبيين في المشرق والمغرب » مجلة البحوث التاريخية ، السنة (١٠) ، العدد (١) يناير ١٩٨٨م ، ص ٥١ - ص ٦٤ .

(٨) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى الشاطبى البلبسى ، ولد فى بلنسية ، وتلقى علومه الدينية بها ، وقد حقق شهرة كبيرة بوصفه أدبياً وشاعراً ورحاله وسافر الى الشرق ثلاث مرات قام بتأدية فريضة الحج فى كل رحلة ، وبدأ أول ترحاله عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣م وعاد أدراجه الى موطنه وذلك فى عام ٥٨١ هـ / ١١٨٥م ، ثم سيطر المسلمون بقيادة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي على مدينة بيت المقدس فى أعقاب معركة حطين عام ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م ، الأمر الذى دفعه الى القيام بالترحال مرة أخرى الى بلاد الشام ، وبالفعل قام بالاتجاه الى الشرق وذلك فى عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩م وانتهى منها فى عام ٥٨٦ هـ / ١١٩٠م ، ويقرر البعض أن زوجته قد توفيت وكان يحبها حبا عارما وأراد أن يسرى عن نفسه فلم يجد أفضل من السفر والارتحال مرة أخرى ، ومكث فى مكة بعض الوقت ثم غادرها الى بيت المقدس والقاهرة والاسكندرية حيث أدركته منيته فى المدينة الأخيرة عام ٦١٤ هـ / ١٢١٧م ، وبلاحظ أن ابن جبير لم يترك لنا الا ما كتبه عن رحلته الأولى ، وقد صدرت رحلته بتحقيق رايت Wright وذلك فى لندن عام ١٨٨٢م .

عن ترجمة ابن جبير انظر المؤلفات التالية :

لسان الدين بن الخطيب ، الاحاطة فى اخبار غرناطة ، ط . مصر ، ص ٢٣ ، المقرئ ، نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ، ج ٣ ، ط . القاهرة ١٩٤٩م

ص ١٤٣ ، ابن الصابوني ، تكملة الاكمال ، تحقيق مصطفى جواد ، ط ٠ بغداد ١٩٥٧م ، ص ١٩٩ ، حاشية (٢) ، كراتشكوفسكى ، تاريخ الأدب الجغرافى ، ت ٠ صلاح الدين عثمان ، ق ١ ، ط ٠ القاهرة ١٩٦٣م ، ص ٢٩٨ ، صلاح الدين المنجد ، الشرق فى نظر المغاربة والأندلسيين ، ط ٠ القاهرة ١٩٦٠م ، ص ١٨ ، ص ١٩ ، عبد القدوس الأنصارى ، مع ابن جبير فى رحلته ، ط ٠ القاهرة ١٩٧٦م ، ص ٢١ - ص ٣٦ ، لامنس ، « بلاد سوريا فى القرن الثانى عشر وفقا لرواية ابن جبير » ، الشرق ، العدد (٧) ، السنة (١٠) عام ١٩٠٣ ، ص ٣٨٧ ، شوقى ضيف ، الرحلات ، ط ٠ القاهرة ١٩٥٦م ، ص ٣٠ - ص ٧١ ، زكى حسن ، الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، ط ٠ القاهرة ١٩٤٥م ، ص ٧٠ - ص ٧٤ ، عبد الفتاح وهيب ، جغرافية العرب فى العصور الوسطى ، ط ٠ القاهرة ١٩٦٠م ، ص ١٨ - ص ١٩ ، براون ، تاريخ الأدب فى ايران من القردوسى الى السعدى ، ت ٠ الشواربى ، ط ٠ القاهرة ١٩٥٤م ، ص ٦١٤ ، أحمد رمضان ، الرحلة والرحالة المسلمون ، ط ٠ جدة ب - ت ، ص ٣٢٣ ، سامى الدهان ، قدماء ومعاصرون ، ط ٠ القاهرة ١٩٦١م ، ص ١٢٠ - ص ١٣١ ، مؤنس أحمد عوض « الصراع السنى - الشيعى فى بلاد الشام فى القرن السادس هـ / الثانى عشر م من خلال رحلة ابن جبير » ، ندوة العرب وآسيا ، جامعة القاهرة أبريل ١٩٨٩م ، ص ١٢ - ص ١٣ .

(٩) انظر رحلة سايلوف :

(١٠) انظر رحلة دانيال :

(١١) انظر رحلة يوحنا الوردبرجى :

Joannes Phocas, P. 24.

(١٢)

وفيما يتصل بالقديس ثيودوسيوس St. Theodosius تجدر الإشارة الى انه ولد فى كبادوكيا وذلك فى عام ٤٢٣م ، وعندما بلغ الثلاثين من عمره غادر موطنه واستقر فى فلسطين ، وقد كون جماعة ديرانية صغيرة وذلك بالقرب من بيت لحم ، وطبقت شهرتها الآفاق على نحو واضح ، وتكون رهبانها من شعوب مختلفة تتحدث بلغات متعددة ، واتجهت تلك الجماعة الى القيام بعدة اعمال خيرية كان من أبرزها معالجة المرضى والعمل على توفير سبل الشفاء لهم ، وفى الوقت الذى كان فيه القديس ساباس St. Sabbas رئيسا لكافة الرهبان فى فلسطين ، كان القديس ثيودوسيوس على رأس أولئك الرهبان الذين اخلصوا لفكرة الحياة الديرانية ، ومثل ثيودوسيوس معارضا قويا لعناصر المرافزة وهم القائلين بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح وقد ادى ذلك الى تنحيته عن منصبه لمدة قصيرة على يد الامبراطور اناستاسيوس Anastasius ، ويلاحظ ان ذلك القديس تولى بالقرب من بيت لحم عام ٥٢٩م ، عن عمر يناهز المائة ، وقد تقرر ان يكون عيد يوافق يوم الحادى عشر من يناير .

عليه انظر :

Attwater, Penguin Dictionary of Saints, P. 323.

القديس ايوثيميوس الكبير St. Euthymius The Great ، ولد حوالي عام ٣٧٧م في ميليتين Melitene ومسقط رأسه في أرمينيا Armenia وهناك صار راهبا وأصبح مشرفا على مؤسسة ديرانية ، وعندما بلغ الثلاثين من عمره اتجه الى فلسطين حيث عاش حياة منفردة في أماكن متعددة وفي المعتاد فضل سكن أحد الكهوف وأخيرا استقر في إحدى المنافذ الواقعة بين بيت المقدس وجرش وجمع حوله العديد من الأتباع واستطاع أن يؤثر فيهم بأفكاره في الزهد والتقشف ، ويعد بوثيميوس الكبير أحد أهم الرهبان الفلسطينيين في تلك المرحلة المبكرة ، وقد كان موضع استشارة الامبراطورة ايودوكيا Eudokia زوج الامبراطور ثيودوسيوس الثاني Theodosius II ، وقد توفي ذلك القديس في فلسطين في عام ٤٧٣م ، ويوم الاحتفال بعيده يوافق العشرين من يناير .

عنه انظر :

Attwater, Op. Cit P. 124—125.

Joannes Phocas, P. 25.

(١٤)

Ibid, P. 30.

(١٥)

Ibid, P. 33.

(١٦)

Ibid, P. 31.

(١٧)

ويشير يوحنا فوكاس الى أن ذلك الدير قد شيدته أناس أتقياء في عصور غابرة ، وأن الزلازل التي نكبت بها بلاد الشام قد دسرت ذلك الدير ، مما يدل على أن تلك الكوارث الطبيعية المدمرة قد أثرت تأثيرا ضارا على تلك الأديرة في أنحاء المملكة الصليبية ، وإن كنا لا نعلم عما إذا كان ذلك من جراء أحد الزلازل خلال القرن الثاني عشر م أم أنه من قبل ذلك .

Ibid, P. 34.

(١٨)

Ibid, P. 30.

(١٩)

Ibid. P. 29.

(٢٠)

وقد ولد القديس جيراسيموس St. Gerasimus في ليكيا Lycia بالصغرى Asia Minor ، وغادر موطنه من أجل القيام بزيارة رهبان الصحراء في كل من مصر وفلسطين ، واستقرت عصا القسيار به بالقرب من البحر الميت ، وتوطدت عرى الصداقة بينه وبين القديس ايوثيميوس الكبير Euthymius The Great ، وأدى ذلك الى إثارة العديد من المصاعب والأزمات تجاههما من جانب خصومهما ،

وعمل القديس جراسيموس على أن يؤسس جماعة ديرانية تأخذ بأسباب الزهد والنقشف ، ويلاحظ أن يوحنا موسكوس John Moschus (ت عام ٦١٩ م) ألف كتاب اسماء المرج الروحي The Spiritual Meadow . قدم فيه رواية مطولة عز القديس جراسيموس ودوره في نشر حركة الرهبنة في فلسطين ولا سيما في منطقة البحر الميت ، وقد توفي في فلسطين عام ٤٧٥ م ، ويوم عيده يوافق الخامس من شهر مارس .

عنه أنظر :

Attwater, Op. Cit., P. 150—151.

Joannes Phocas. P. 6. (٢١)

Ibid, P. 9. (٢٢)

Ibid, P. (٢٣)

وينكر ابن جبير رواية متشابهة ، انظر : الرحلة ، ص ٢٦ .

Ibid, P. (٢٤)

Kimble, Geography in The Middle Ages, London 1938, P. 70.

Joannes Phocas, P. 9. (٢٥)

Ibid, P. 9. (٢٦)

Ibid. P. 9, P. 10. (٢٧)

صريفند ، وقعت على الساحل اللبناني الى الجنوب من عثليث وهي تقع الى الجنوب من صيدا وإلى الشمال من صور وجنوب غرب جزين .

عنها أنظر :

Fulcher of Chartres, P. 114.

الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ٤ ، ص ٣٦٦ ، ابن عبد الحق البغدادي ، مرصد الاطلاع ، ج ٢ ، ص ٨٣٨ ، مصطفى الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ج ٧ / ١ ، ص ٦٠٤ .

Joannes Phocas, P. 10. (٢٨)

Beazley, Vol. II, P. 200—201.

وتجدر الإشارة الى أن رواية ابن جبير عن صور تتفوق على مثيلتها لدى يوحنا فوكاس من حيث تناوله لخصائصها ومناخها ، انظر : الرحلة ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ،

وَعَنْ حَصَانَتِهَا أَنْظَر : ابْنُ حَوْفَل ، صورة الأرض ، تحقيق دى جويه ، ط٠ لَيْسَدَنْ ١٩٦٧م ، ص ١٧٤ ، المُقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ١٦٣ - ص ١٦٤ ، ياقوت ، المشرك وضعا والمفترق صقعا ، ط٠ بيروت ١٩٨٦م ، ص ٢٨٦ ، القزوينى ، آثار البلاد ، ص ٢١٧ ، ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ٧٥ - سر الختم عثمان ، صور فى القرنين ١٢ ، ١٣م ، ص ٤ - ص ٧ ، محسن محمد حسين ، « مسئولية صلاح الدين فى فشل حصار صور » ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، م (٧) ، العدد (٢٦) الكويت ١٩٨٧م ، ص ٣٢ .

Joannès Phocas, P. 11.

(٢٩)

(٣٠) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧٦ .

وعن الجوانب السكانية فى المدن الصليبية بصفة عامة أنظر :

Russel, «The Population of the Crusader States», in Setton, The Crusades, Vol. V, Madison 1985, PP. 295—314.

Joannes Phocas, P. 11.

(٣١)

Béazley, Vol. II, P. 201.

(٣٢) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧٦ ، وهذا يتفق مع اشارة الادريسى الذى ذكر أن « ناسها أخلاط » .

أنظر : نزهة المشتاق ، ص ٣٦٥ ، كذلك القسم الخاص بالملاحق .

(٣٣) عن مظاهر الانحلال الخلقى فى الكيان الصليبي أنظر :

Joannes Phocas, P. 11.

Jacques de Vitry, A History of Jerusalem, P. 64.

حيث يشير الى أن رجال الدين كانوا يؤجرون المساكن من أجل أعمال الدعارة نظرا لايجارها الباهظ الذى يدر عليهم الأموال الطائلة ، ويتحدث عن عناصر الافراخ أو البولانى وانتشار الزنا فى صفوفهم وأنه يندر أن يوجد منهم من ليست له انحرافات وتحلل الخلقى ، وأيضا أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٧٤ ، وهو يصف الصليبيين على اعتبار أنهم ليست لديهم غيرة جنسية ، وروايته فى هذا الشأن روايات خبير خالط الصليبيين وحصار عارفا بأساليب حياتهم ، وبصفة عامة احتوت مدينة عكا على مراكز معروفة للفاسقات ، كما احتوى الجيش الصليبي على عناصر منهن وقد أشار الى ذلك بصورة مفصلة العماد الكاتب الأصفهاني ضمن تناوله لأحداث الحملة الصليبية الثالثة .

أنظر : العماد الأصفهاني ، الفتح القسي ، ط٠ القاهرة ب ت ، ص ١٧٠
وللمزيد من الضوء عن التحلل الجنسي لدى الصليبيين أنظر :

براور ، المرجع السابق ، ص ٢٢١ ، زكى نقاش ، العلاقات الاجتماعية والثقافية
والاقتصادية ، ص ١٥٢ ، قاسم عبده قاسم ، « الحروب الصليبية في ألف ليلة وليلة »
ضمن كتاب بين الأدب والتاريخ ، ط٠ القاهرة ١٩٨٨ م ، ص ٣٣ .

جمعه الجندي ، حياة الفرنج ونظمهم في الشام خلال القرنين الثاني عشر
والثالث عشر ، دراسة تطبيقية على مملكة بيت المقدس ، رسالة دكتوراة غير
مشفورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس عام ١٩٨٥ م ، ص ٢٩٩ - ص ٣٠٠ .

(٣٤) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧٦ .

Joannes Phocas, P. 12.

(٣٥)

وصفورية هي إحدى القرى الواقعة في إقليم الجليل وقد بعدت عن طبرية
بمسافة خمسة أميال ، وحدها من الشرق قرية كفر كنا ، ومن الشمال قرية روما ومن
الجنوب الغربى قرية عيلوت ، ومن الجنوب الشرقى الناصرة ، وكانت تسمى لدى
الرومان باسم Dio Caesarea ، وقد ضعف شأنها في القرن الرابع الميلادى بعد أن
دمرها الرومان ، ويلاحظ أن صفورية احتوت على قلعة حصينة خضعت لسيطرة
فرسان الداوية ، ولا تزال بقية تلك القلعة قائمة إلى الآن ، وكانت صفورية من بين
المناطق التى خضعت لسيطرة المسلمين فى ظروف معركة حطين عام ١١٨٧ م ، عنها
أنظر :

Petellus, P. ٣٥.

Marino Santo, P. 37.

مجهول ، الاستبصار فى عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ،
ط٠ الاسكندرية ١٩٥٨ م ، ص ١٠٦ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ٤١٤ ،
بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ١١٠ ، حاشية (١) ، ليلى طرشوبى ، إقليم الجليل ،
ص ٩٩ ، البيشاوى ، الممتلكات الكنسية ، ص ٢٠٤ ، حاشية (٣) ، وتجدر الإشارة
إلى أن يوحنا فوكاس ذكر حصانة صفورية ووجود إحدى القلاع الصليبية بها وقد
أورد أمر حصانتها رحالة سابقون عليه ومن أمثلتهم ثيودريش .

Theoserich, P. 69.

Joannes Phocas, P. 12, P. 35.

(٣٦)

Ibid, P. 16.

(٣٧)

Ibid, P. 19.

(٣٨)

وكلمة Porphyrogenetus تعنى المولود فى العبادة الأرجوانية أو المذهبة ، واشتقاق الكلمة من Porphyro وتعنى ذهب أو لون أرجوانى ، أما genus فهى تعنى المولود ، والمقصود بهذا التعبير أن ذلك الامبراطور وصل الى العرش بشرعية كاملة ، ولم يصل اليه بالاغتصاب مثل بعض الأباطرة البيزنطيين الآخرين ، ويلاحظ أن هذا اللقب فى الأصل اتخذته الامبراطور البيزنطى قسطنطين السابع Constantine VII (٩١٣ - ٩٥٩ م) وهو أحد أباطرة الأسرة المقدونية وهو مؤلف كتاب الادارة الامبراطورية De Administrando Imperio ، عن ذلك انظر :

Little, Coulson, The Shorter Oxford English dictionary on historical principles, Vol. II, Oxford 1950, P. 1546.

عمر كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ ، عبد القادر اليوسف ، المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(٤٠) عن ذلك النقش انظر :

Corpus Inscriptionum Graecorum, T. V, Berlin 1877, P. 339.

Chalandon, Jean II Comnène, Paris 1918, T, II, P. 449.

Ostrogorsky, Hist. of The Byzantine State, P. 343, note (2), Vasiliev, Hist. of The Byzantine Empire, Vol. I, P. 80.

أيضاً :

مؤنس أحمد عوض ، سياسة نور الدين محمود الخارجية ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة عين شمس ، عام ١٩٨٨م ، ص ٢٢٣ ، هامس (٤) ، ص ٢٢٤ .

(٤١) عنها انظر :

William of Tyre, Vol. I, P. 130.

عبد الغنى عبد العاطى ، السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية فى عهد الكسيوس كومنين ، ص ٢٩٣ ، فتحية النبراوى ، حياة الامبراطور الكسيوس كومنين كمصدر من مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى القرن ١٢م ، المجلة التاريخية المصرية ، م (٢٧) ، عام ١٩٨١م ، ص ٤٧ - ص ٤٨ ، جوزيف نسيم يوسف ، العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى ، ط٠ بيروت ١٩٨١ ، ص ٥٢ ، اسحق عبيد ، روما وبيزنطة ، ط٠ القاهرة ١٩٧٠م ، ص ١٠١ .

William of Tyre, Vol. I, P. 276.

(٤٢)

Schlumberger, Renauld de Chatillon, Paris 1933, P. 102, Ostrogorsky, Op. Cit., P. 343.

Baldwin, The Latin States under Baldwin III and Amalric I, P. 542.

أسد رستم ، الروم ، ج ٢ ، ص ١٥٣ .

(٤٣) عن دخول مانويل كومنين أنطاكية أنظر :

Cinnamus, Epitome Historiarum, C.S.H.P., Bonn 1836. P. 187.

Chalandon, Op. Cit., P. 451—452, Hussey, «The Later Macedonians, The Comneni and The Angeli», C.M.H., Vol. V, Cambridge 1979, P. 234, Baldwin, Op. Cit., P. 544. Ostrogorsky, Op. Cit., P. 343, Vasiliev, Op. Cit., P. 80, La Monte, «To what extent was The Byzantine Empire Suzerian of The Latin Crusading States», Byzantium, T. III, 1932, P. 260.

حسنين ربيع ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ط ٠ القاهرة ١٩٨٧ م ، ص ٢٢٦ ، عمر
كمال توفيق ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ ، هسي ، العالم البيزنطي ، ص ١١٤ ، أسد
رستم ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٣ ، مؤنس أحمد عوض ، المرجع السابق ،
ص ٢٢٣ .

Vasiliev, Op. Cit., P. 80.

(٤٤)

الخصائص

الخاتمة

تمخض البحث عن نتائج هامة فى دراسة اوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ - ١١٨٧م) خلال تلك المرحلة المؤثرة الهامة من تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى بصفة عامة ومرحلة الصراع الاسلامى - الصليبي على نحو خاص .

ومن الممكن أن نرصد أهمية أولئك الرحالة الأوربيين وذلك على كافة الاصعدة والمستويات السياسية والحربية والاقتصادية والدينية والعقائدية وحتى الطبية العلاجية .

والواقع أن مؤلفات الرحالة الأوربيين أفادت بصورة هامة على الصعيدين السياسى والحربى ، فقد أعانت على القاء الضوء بشأن العلاقات بين أتباكية دمشق التى أسسها ظهير الدين طفتكين ومملكة بيت المقدس الصليبية ، وكذلك صورت جانبا من الجهود التى بذلها الفاطميون من أجل حماية ما بقى لهم من مراكز هامة على الساحل الشامى بعد مقدم الصليبيين الى المنطقة ونجاحهم فى تحقيق التفوق على الكيانات الاسلامية المتصارعة سياسيا وتدهبيا .

ومن جهة أخرى ، أوضحت تلك المؤلفات الهامة أن الصليبيين طمعوا فى مد سيطرتهم الى حدود أبعد من تلك التى تمكنوا من تحقيقها وذلك على حساب المسلمين فى المنطقة ، وقد وضح ذلك من خلال تحمس بعض الرحالة للمشروع الصليبي ورغبتهم المستعرة فى أن تتضخم المملكة الصليبية لتشمل مناطق هامة اقتصاديا واستراتيجية وتكون لها الغلبة السياسية فى المنطقة ، ولا ريب فى أن ذلك كشف النقاب فى جلاء وضاح عن الطبيعة الاستعمارية للحركة الصليبية التى اتشحت بوشاح الدين مخفية وراءها مطامعها الحقيقية فى استعمار المنطقة ومهاجمة العالم الاسلامى فى عقرو داره من خلال مشروع حربى ضخم ، يستغل ظاهرة التشرذم السياسى التى عانت منها المنطقة عند مقدم الصليبيين اليها .

وبالنسبة للناحية الحربية ، نجد أن أولئك الرحالة مثلوا مكانة كبيرة فى القاء

المضوء على الطابع الحربى للكيان الصليبي ، ومثلوا شهود عيان لآله الحربية الصليبية وفرسانها الأشداء ممثلين فى عناصر الرهبان الفرسان مثل الاسبتارية Hospitalliers والداوية Templars . وقد أشارت مؤلفاتهم الى قيامهم بالدفاع عن حدود المملكة الصليبية ضد اغارات وهجمات أعدائها من المسلمين ، وتناولت امتلاكهم للعديد من القلاع والحصون التى تناثرت بطول المملكة وعرضها ودل ذلك على تعاظم نفوذ تلك العناصر الحربية الصليبية وهو الأمر الذى سوف يؤدى فى النهاية الى أوخم العواقب على الصليبيين فى بلاد الشام وسيؤدى الى اخفاق المشروع الصليبي برمته وطردهم من المنطقة من خلال التنافس المستمر بين تلك العناصر ، فضلا عن تعاظم حركة الجهاد الاسلامى ضد الغزو الصليبي بطبيعة الحال ، كذلك تناولت تلك المؤلفات التى كتبها أولئك الرحالة أمر المعارك التى كانت تنشب بين حين وآخر بين اتابكية دمشق من ناحية والمملكة الصليبية من ناحية أخرى ووقوع بعض القيادات الصليبية أسيرة فى قبضة المسلمين .

ولعل من أهم الجوانب التى أبرزتها رحلات أولئك الرحالة الأوربيين ، تصوير حركة المقاومة الاسلامية فى داخل فلسطين بعد خضوعها للسيادة الصليبية ، وتمثل ذلك بوضوح فى مقاومة الحجاج الأوربيين القادمين الى المنطقة من خلال طرق الحج الرئيسية لا سيما طريق يافا - بيت المقدس ، ولا ريب فى أن المسلمين أدركوا أن أولئك الحجاج مثلوا دعما بشريا هاما ومؤثرا للكيان الصليبي ومن ثم من الضروري مقاومتهم على اعتبار أن من الحجاج من مكث فى المنطقة وانضم الى صفوف الصليبيين فى تشييد القلاع والحصون ، أو فى المشاركة الفعلية فى المعارك الحربية ضد المسلمين .

وقد اعترفت كتاباتهم بفعالية تلك المقاومة الاسلامية وان بعض الطرقات الرئيسية التى سلكها الحجاج الأوربيون كانت خطيرة وخشى القوم المرور فيها لكثرة من قتل فيها على أيدي المسلمين ، ودل ذلك على أن حركة الجهاد الاسلامى لم تكن تجد صدى لها فى مناطق التقاء الحدود الاسلامية - الصليبية فقط بل أيضا فى داخل فلسطين ذاتها حيث مثلت عناصر المقاومة الاسلامية دورا فعالا فى هذا الصدد .

وتأتى أهمية اشارات الرحالة الأوربيين الى حجم تلك المقاومة من خلال أن المصادر التاريخية العربية أغفلت الإشارة اليها نظرا لانشغال المؤرخين الزميين بالتأليف لكبار الأمراء والخلفاء والسلاطين ، وبسبب انعزال تلك الحركة المقاومة

فلسطينيين في داخل فلسطين بينما تركزت مراكز حركة التأليف التاريخي للصراع الاسلامي - الصليبي قبل تحرير بيت المقدس عام ١١٨٧م ، خارج تلك المناطق التي شهدت عنف تلك المقاومة ، ويصدق ذلك الموقف بوضوح على ابن القلانسي الذي جعل جل اهتمامه منصبا على دمشق وركز تناوله لحركة الجهاد الاسلامي من خلال الصدامات الحربية بين المسلمين والصليبيين ، ويبدو أنه لم تصل اليه روايات كافية عن حجم المقاومة - من الداخل - ضد الصليبيين ومن ثم فقد أغفل الإشارة اليها في تاريخه الهام .

وفيما يتصل بالناحية الاقتصادية ، تحتل كتابات الرحالة الأوربيين مكانة هامة ، فقد قدمت اشارات لها شأنها عن حجم الدور الذي لعبته مدن الساحل الشامي - الشريان الحيوي للكيان الصليبي - اذ تمتعت تلك المدن بازدهار تجاري واسع النطاق ، حقيقة أن حجم ذلك الازدهار اختلف من مدينة الى أخرى ، الا أن الصفة العامة كانت متمثلة في انتعاشها اقتصاديا وقيامها بدور هام في حركة الصادرات والواردات لا سيما في مدن عكا وعسقلان وصور ويسافا والسويدية واللاذقية وغيرها كثير .

ولا نغفل أن أولئك الرحالة اشاروا الى عدد من الأسواق الموسمية الهامة التي عقدت فيها الصفقات التجارية وازدهمت بالبائعين والمشتريين والوسطاء التجاريين والتقى فيها المسلمون والمسيحيون من خلال المصلحة المشتركة على الرغم من استتار العداء بينهما على المستويين الحربي والسياسي ، ولا شك أن تناول أولئك الرحالة لمثل تلك الأسواق - ومن أمثلتها سوق موزرب عند حوران - أقاد في توضيح الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية لمثل تلك المنطقة ويعمل لماذا حرص الصليبيون على أن تظل خاضعة لسيطرتهم نظرا لما در عليهم وضعها التجاري من أموال طائلة دعمت ميزانيتهم .

أما فيما اتصل بمصادر المياه - وهي عصب النشاط الاقتصادي - فقد اهتمت بها مؤلفات الرحالة الأوربيين وذلك يتضح من خلال تتبعهم الدقيق لاعداد الأنهار في كافة أنحاء بلاد الشام حيث أن فلسطين - على نحو خاص - قلت فيها مصادر المياه ، فقد فطن الصليبيون الى أن الصراع بينهم وبين المسلمين - في أحد جوانبه الاقتصادية - صراع على مصادر الثروة لا سيما المائية منها ، ومن ثم حرصوا على أن تمتد مطامعهم الى أنهار المنطقة ، فضلوا عن اهتمامهم بتخزين المياه

لاستغلالها الأمثل دون فقدانها ، ولا ريب فى أن اشارة أحد الرحالة الأوربيين الى ذلك دل على أن الصليبيين أدركوا طبيعة المنطقة وحرصوا على استغلال مواردها بصورة مثلى من أجل تحقيق أهدافهم فى النهب الاستعماري المنظم لثروات المنطقة .

زد على ذلك ، قوافر اشارة هامة تفيد باستعانة الصليبيين بالسكان المحليين فى أعمال الزراعة التى احترفوها عن أجدادهم وأن تردد الزعم بأن ذلك تم فى سلام تام ، غير اننى أؤكد على حقيقة ألا تأخذ مثل تلك الاشارات بماخذ الحقيقة التاريخية الكاملة ، فالحركة الصليبية حركة استعمارية استيطانية هدفت - فيما هدفت - الى احلال المستوطنين الأوربيين محل أبناء البلاد من السكان المحليين .

وإذا انتقلنا الى الناحية السكانية وجدنا أن تلك المؤلفات التى تركها الرحالة الأوربيون ألقت أضواء ساطعة على أن هناك مناطق معينة شهدت تزايد الكثافة السكانية بها ونجد ذلك واضحا فى المدن الساحلية الشامية الكبرى مثل عكا - على سبيل المثال - وقد تأتى ذلك من خلال أهميتها التجارية وتدفق التجار عليها وكذلك تدفق الحجاج للقيام برحلتهم الى البقاع المقدسة فى أنحاء المملكة لا سيما فى مدينة بيت المقدس .

وكامتداد للجانب السكاني، أعانت رحلات أولئك الرحالة على ادراك معدل الوفيات فى الكيان الصليبي والاقتراب منه قدر الاستطاعة والواقع أن تزايد معدل الوفيات تأتى من خلال عدة عوامل مجتمعة ، منها انخفاض الوعي الصحى لدى عامة الأهلين ، ثم أن النشاط الحربى والتصارع مع المسلمين أدى - بلا ريب - الى سقوط الكثيرين صرعى وجرجى فى ميادين القتال ، فضلا عن أن بعض الحوادث الطارئة - والتى لم تكن لها الصفة الاستمرارية بالطبع - أثرت بدورها على البنية السكانية وشعنى بها الهزات الزلزالية التى منيت بها بلاد الشام لا سيما خلال النصف الثانى من القرن الثانى عشر م والتى أدت الى هلاك الآلاف بصورة أوضححتها تلك الرحلات مع ملاحظة أن تأثيراتها المدمرة لم تقتصر على المناطق الصليبية فحسب بل تعدتها لتشمل أملاك المسلمين .

ومن الزاوية الأثنية أفادت تلك الرحلات فى ادراك صورة تعدد العناصر المكونة للوجود الصليبي بحيث شملت كافة الأمم الأوربية ومثلت خليطا عنصريا مختلفا وغير

متجانس جمعته الرغبة في الثروة والحصول على المغنم المتعددة ، وقد انقسمت عناصره الى البرجندبين والبروفنسالدن والألسان والايطالدين والفرنجة وغيرهم ، فاذا ما لاحظنا توافر عداءات متوارثة بين مثل تلك العناصر من قبل مقدمهم الى الأرض المقدسة في فلسطين ، أدركنا أن ذلك الكبر الدخيل فقد تماسكه البدوى الاجتماعى ، وظل يعانى - حتى النهاية - من عدم التجانس والتصارع الداخلى على نحو عجل بانهيائه في آخر المطاف .

وفي المجال الدينى ، قدمت مؤلفاتهم تناولا هاما لتطور حركة الحج الى المواقع المقدسة لدى كل من اليهود والمسيحيين على حد سواء في فلسطين ، على نحو أفاد في دراسة التطور التاريخى لتلك الحركة في المرحلة السابقة على المرحلة الممتدة من ١٠٩٩ الى ١١٨٧م وما تلاها .

والجدير بالاشارة هنا أن رحلات أولئك الرحالة أوضحت بجلاء غلبة الطابع الدنى على عقول المعاصرين ومن ثم جاء الحجم المتزايد للاخراقات والاعتقاد فى الرؤى والمعجزات وكرامات القديسين الذين صار الاعتقاد فيهم بمثابة جزء لا يتجزأ من الايمان والاعتقاد الدينى لكل رحالة من أولئك الذين قدموا الى المنطقة خلال المرحلة موضوع الدراسة .

أما ما اتصل بالجانب الطبى فنجد أن تلك الرحلات خاصة رحلات الرحالة يوحنا الوردبرجى وثيودوريش ، وكذلك بنامبين التشار ، قدمت اذا اشعارات هامة عن الدور العلاجى لهيئة الاسبتارية وقدراتهم على استيعاب أعداد كبيرة من المرضى ومع ذلك نبغى الا نبالغ في حجم ذلك الدور العلاجى ونتصوره أنه قد مثل فاتحة مرحلة مزدهرة من التفوق الطبى لدى الصليبيين إذ أن الاشارات التى وردت لدى من تداخل معهم وسر أغوارهم أوضحت بجلاء أن المعارف الطبية لديهم كانت متخلفة وهذا هو التوليل الحقيقى فى ارتفاع معدل الهفيات فى صفوفهم وهه ما أقرت به بعض نصوص أولئك الرحالة أنفسهم .

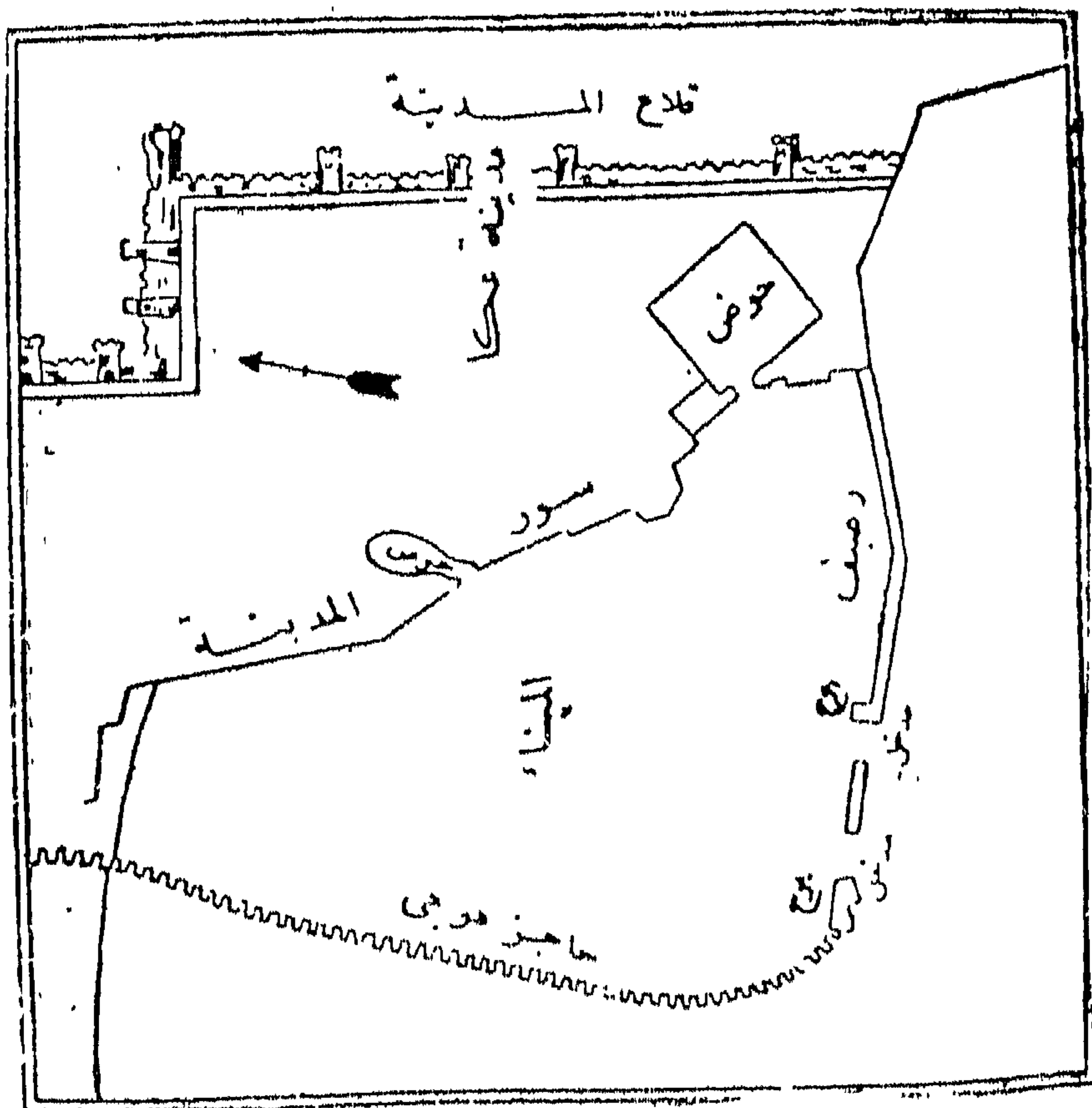
مجمل القول ، أن الرحالة الأوربيين في مملكة بيت المقدس الصليبية قدموا اشعارات هامة أفادت في دراسة أوضاع تلك المملكة على كافة الأصعدة والمستويات ولذا تعد مصدرا هاما يضاف الى باقى المصادر التاريخية الأخرى التى يعتمد بها فى دراسة تلك المملكة حينذاك .

الخرائط

[illegible]

4 1 1 1

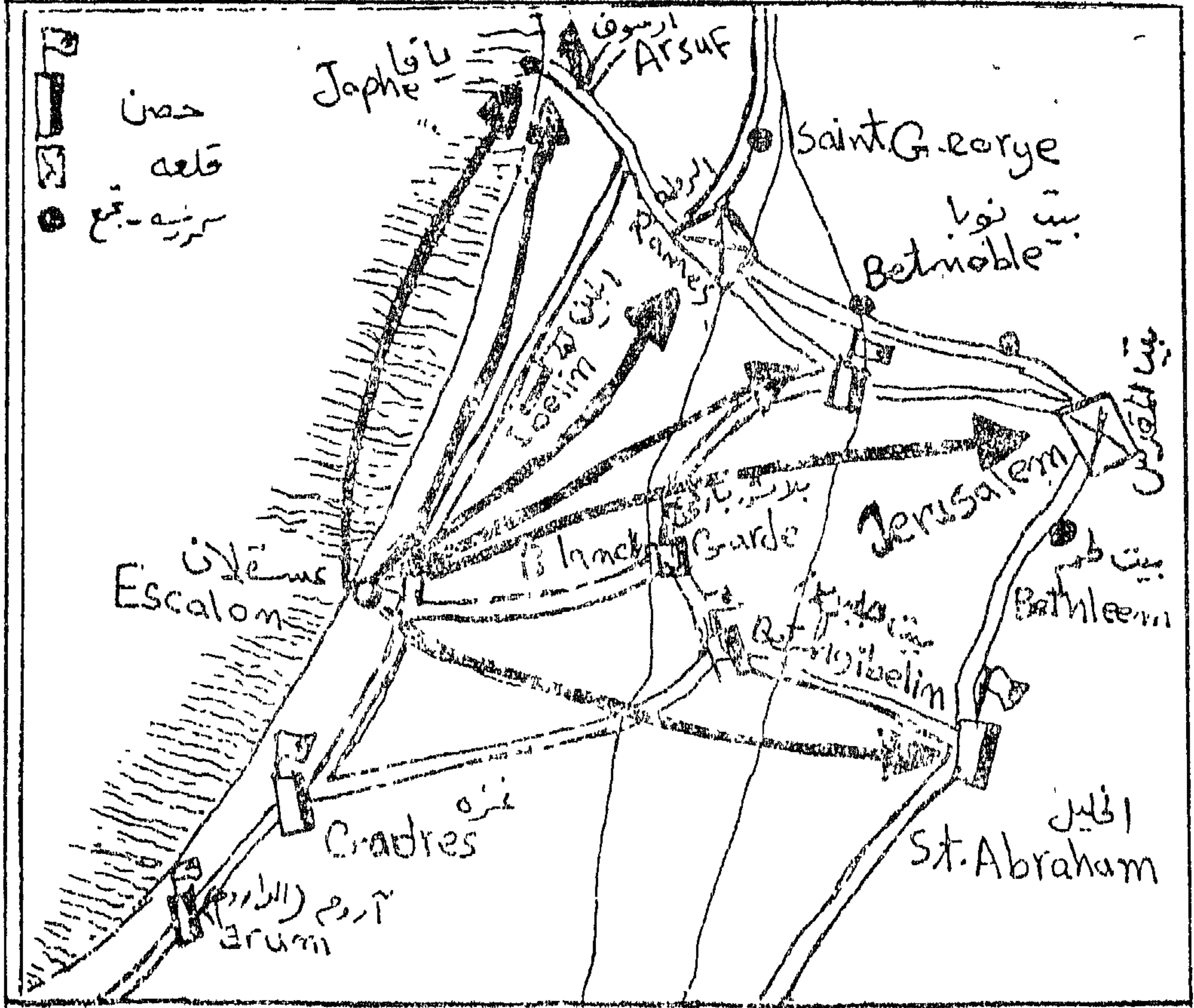
17. *Chrysomelidae* (10 spp.)



شكل رقم (٣)

مدينة عكا ومينائها في عصر الحروب الصليبية
« رسم توضيحي »

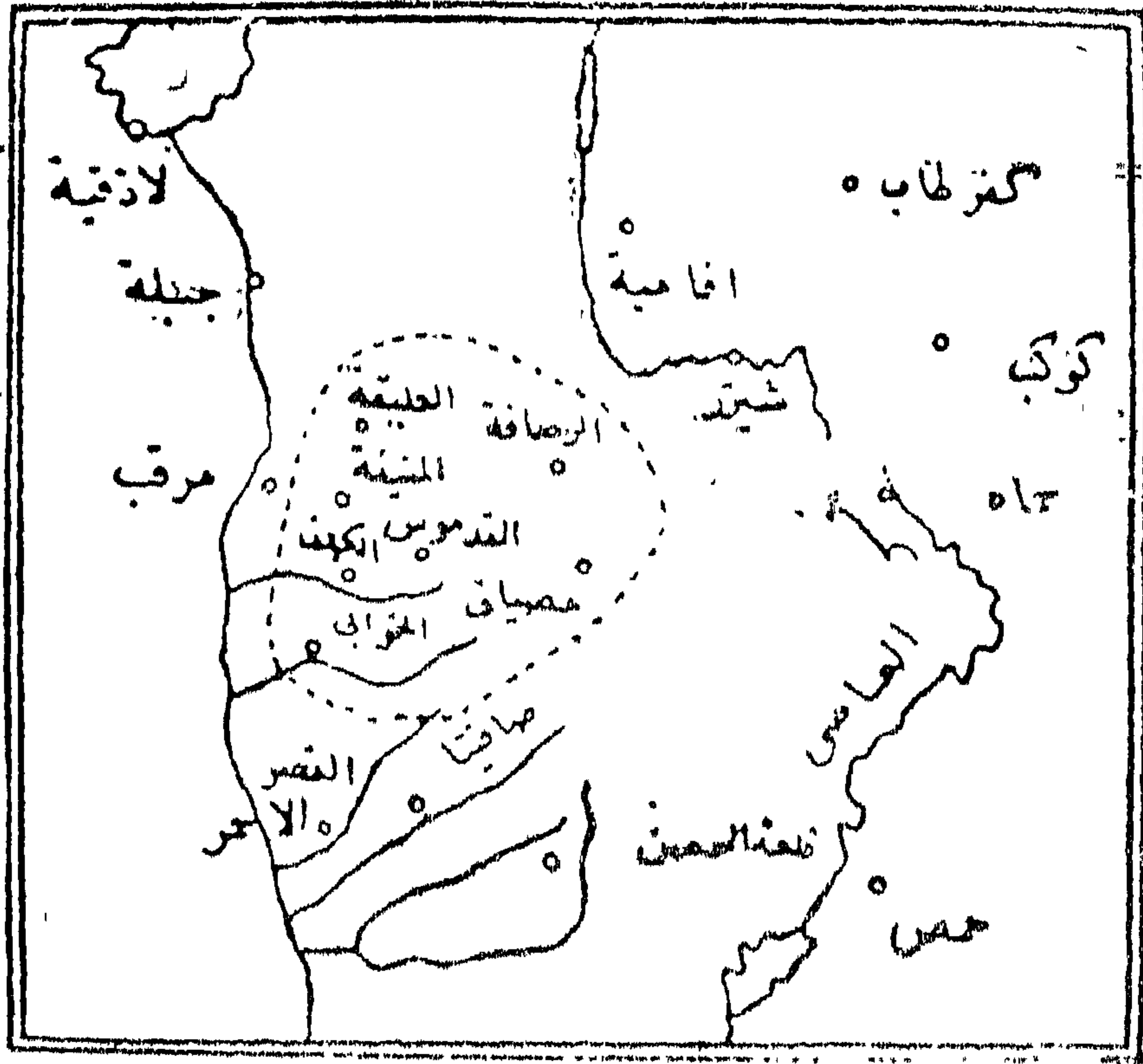
نقلا عن : جوزيف يوسف ، العدوان الصليبي على بلاد
الشام ، ط١ بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٩٨



شكل رقم (٤)

طرق الغارات التي شنتها حامية عسقلان الفاطمية
ضد أملاك مملكة بيت المقدس الصليبية

نقلا عن : عبد اللطيف ، السيد ، السياسة الخارجية
لمملكة بيت المقدس في عهد بلدوين الثالث



شكل رقم (٥٠)

قلاع الاسماعيلية النزارية في بلاد الشام

نقلا عن : جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على بلاد
الشام ، ط٠ بيروت ١٩٨١م ، ص ٢٣٤

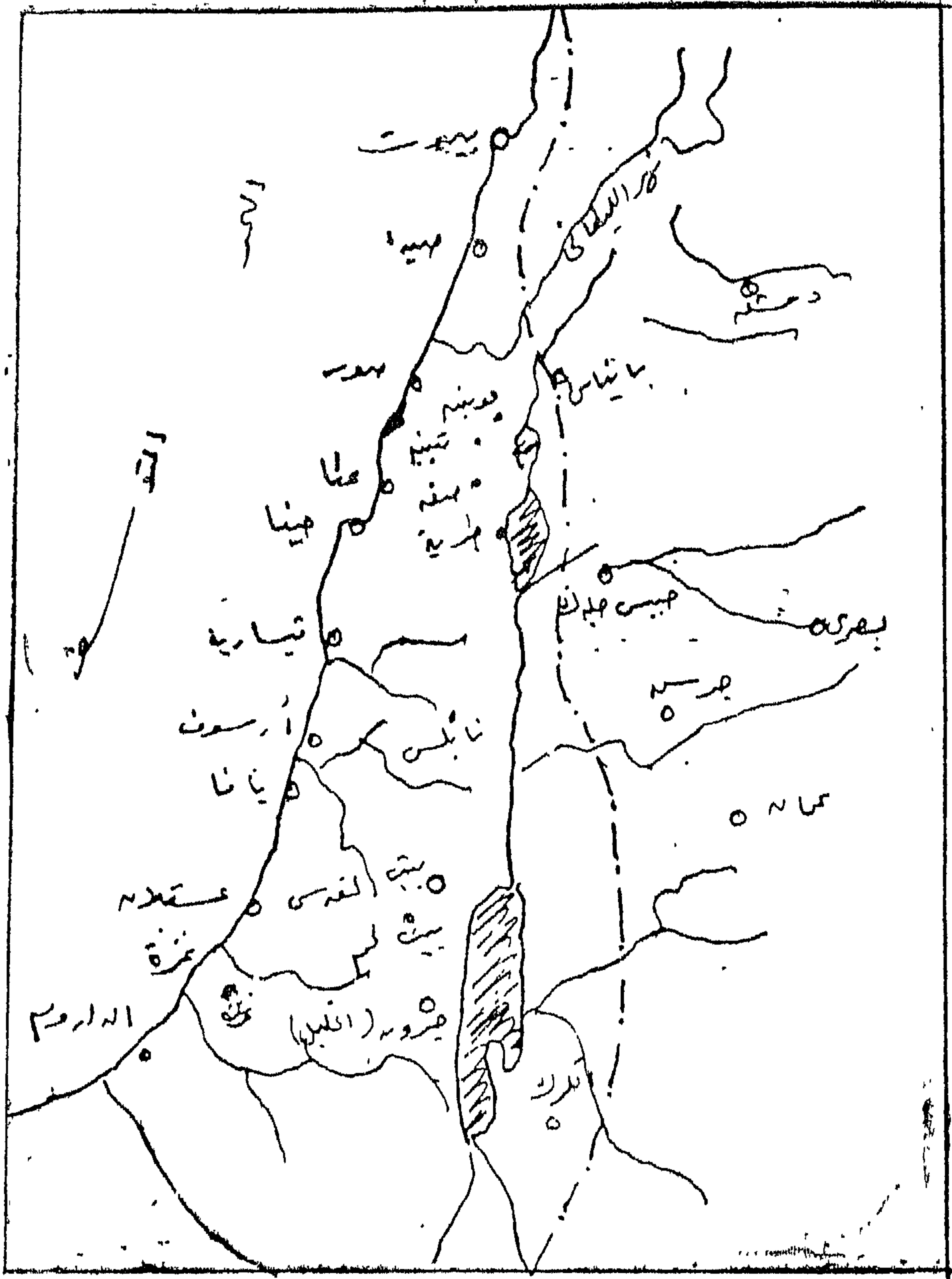
ايضا : اسامة زكي زيد ، الصليبيون واسماعيلية الشام
في عصر الحروب الصليبية (القرن الثاني عشر م /
السادس هـ) ، ط٠ الاسكندرية ١٩٨٠م ، ص ٩٤



شكل رقم (٦)

قلعة شقيف أرنون في جنوب لبنان

نقلا عن : أحمد الحفناوي ، « الصراع من أجل صيدا
في العصر الوسيط » ، المنهل ، م (٤٦) ، لعام ١٩٨٣م ،
ص ٦٧



شكل رقم (٨)
مملكة بيت المقدس الصليبية في القرن الثاني عشر م

نقلا عن :

Runciman, A History of The Crusades, Vol. II, P. 189.

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠٠

الملاحق

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠٠

١٠٠

فهرس الملاحق

ملحق رقم (١) :

أسماء المواقع التى وردت فى مؤلفات الرحالة الأوربيين
فى مملكة بيت المقدس الصليبية (١٠٩٩ - ١١٨٧ م)
وما يقابلها فى العربية .

ملحق رقم (٢) :

سايلوف يصف الطريق الممتد من يافا الى بيت المقدس .

ملحق رقم (٣) :

وصف دانيال لجبل لبنان .

ملحق رقم (٤) :

دانيال يصف كنا الجليلية وعكا .

ملحق رقم (٥) :

تناول يوحنا الوردبرجى لفرسان الداوية .

ملحق رقم (٦) :

رحلة القديسة أيو فروزين الى بيت المقدس .

ملحق رقم (٧) :

وصف ثيودريش لعكا .

ملحق رقم (٨) :

بنيامين التطيلي يصف الاسماعيلية النزارية فى بلاد الشام .

ملحق رقم (٩) :

بنيامين التطيلي يصف صور .

ملحق رقم (١٠) :

بنيامين التطيلي يتناول عناصر الاسبتارية والداوية .

ملحق رقم (١١) :

عسقلان من خلال رحلة بنيامين التطيلي .

ملحق رقم (١٢) :

اليهود فى بيت المقدس وفقا لرحلة بنيامين التطيلى •

ملحق رقم (١٣) :

بتاحيا الراتسبونى فى طبرية وصفورية :

ملحق رقم (١٤) :

بتاحيا الراتسبونى فى الجليل الأعلى وأهم المزارات اليهودية

• هناك

ملحق رقم (١٥) :

أعداد اليهود فى كل من بيت المقدس وطبرية ودمشق وفق رحلة
بتاحيا الراتسبونى

ملحق رقم (١٦) :

ابن جبير يصف عكا •

ملحق رقم (١٧) :

وصف ابن جبير لصور •

ملحق رقم (١٨) :

وصف ابن جبير لطبرية •

ملحق رقم (١٩) :

العلاقات التجارية بين المسلمين والصليبيين من خلال
ابن جبير •

ملحق رقم (٢٠) :

وصف الادريسى لعكا وعسقلان •

ملحق رقم (٢١) :

تناول الادريسى لوادى جهنم وما به من كنائس وأديرة •

ملحق رقم (٢٢) :

كنيسة القيامة عند الادريسى •

ملحق رقم (٢٣) :

وصف الادريسي للمعدن من الكنائس في بيت المقدس وودلهي

• الأبن

ملحق رقم (٢٤) :

أسامة بن منقذ يصف معرفة الصليبيين الطبية •

ملحق رقم (٢٥) :

من أمثلة الزلازل التي اجتاحت بلاد الشام في القرن السادس

هـ / الثاني عشر م من خلال ابن القلانسي •

ملحق رقم (١)
 أسماء المواقع التي وردت في
 مؤلفات الرحالة الأوربيين في
 مملكة بيت المقدس في القرن
 الثاني عشر م وما يقابلها في العربية

Atsuph (١)	أرسوف
Azotus. (٢)	
Arsur. (٣)	
Scandalium. (٤)	أسكندرونة
Antioch. (٥)	
Antiochia. (٦)	أنطاكية
Rēblata (٧)	
Beersheba. (٨)	بئر سبع
Betany. (٩)	
Bethany. (١٠)	بيت أناني
Eleutheropolis. (١١)	بيت جبرين
Bethlehem. (١٢)	
Berytus. (١٣)	بيت لحم
Baruth. (١٤)	بيروت
Beritus. (١٥)	
Mahumeria. (١٦)	البيرة

Scythopolis (١٧)

بيسان

Hermon. (١٨)

جبل الشيخ

Jubelet. (١٩)

جيلة

Gibelet. (٢٠)

Gibel. (٢١)

جبل

Byblus. (٢٢)

Genin. (٢٣)

جنين

Cayphas. (٢٤)

حيفا

Caipha. (٢٥)

Hebron. (٢٦)

الخليل

Suetha. (٢٧)

السويدة

Sueta. (٢٨)

Solim. (٢٩)

السويدية

St. Simeon. (٣٠)

Sarepta. (٣١)

صرافند

Surephtha. (٣٢)

Surafend. (٣٣)

Semphori. (٣٤)

صفورية

Sepphor. (٣٥)

Tyre. (٣٦)

صون

Sors. (٣٧)

Sur. (٣٨)

Sidon (٣٩)

صيدا

Cynereth. (٤٠)

طيرية

Tiberias (٤١)

Tripolis. (٤٢)

طرابلس،

Tartusa. (٤٣)

طرطوس

Tortosa. (٤٤)

Thabor. (٤٥)

الطور (جبل)

Tabor (٤٦)

Orontes. (٤٧)

العاصي (نهر)

Pharphar. (٤٨)

Farfar. (٤٩)

Ascalon. (٥٠)

عسقلان

Acre. (٥١)

عكا

Accoron. (٥٢)

Acron. (٥٣)

Acras. (٥٤)

Ptolemais. (٥٥)

Siloe. (٥٦)

سلوان (عين)

Caesarea. (٥٧)

قيسارية

Caesaria Philippi. (٥٨)

Capharnaum. (٥٩)

خفر ناحوم

Cana. (٦٠)

كلنا

Chana. (٦١)

Lydda. (٦٢)

Medan. (٦٣)

Meddan. (٦٤)

Nazareth. (٦٥)

Joppa (٦٦)

Jafis (٦٧)

Dan (٦٨)

Johosaphat (٦٩)

Josaphat (٧٠)

الليددا

الميدان (وادي)

المدان

الناصرة

بافسا

اليرموك (نهر)

يوشفات (وادي)

الهوامش :

- (١) Saewulf, P. 27.
- (٢) Ibid, P. 27.
- (٣) Theoderich, P. 46.
- (٤) Ibid, P. 59.
- (٥) Ibid, P. 71.
- (٦) بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ٨٦ .
- (٧) Fetellus, P. 25, P. 37.
- (٨) Ibid, P. 10.
- (٩) Theoderich, P. 45.
- (١٠) John of Wurzburg, P. 33.
- (١١) Fetellus, P. 41.
- (١٢) Daniel, P. 38.
- Theoderich, P. 51.
- John of Wurzburg, P. 54.
- Joannes Phocas, P. 30.
- بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ١٠٤ .
- (١٣) Theoderich, P. 71.
- John of Wurzburg, P. 63.
- (١٤) Saewulf, P. 27.
- (١٥) Theoderich, P. 51.
- بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ٩٠ .

Theoderich, P. 60.	(١٦)
John of Wurzburg, P. 14.	
Fetellus, P. 32.	(١٧)
Theoderich, P. 63.	
John of Wurzburg, P. 7.	
Daniel, P. 27.	(١٨)
Fetellus, P. 31	
Theoderich, P. 63.	
Saewulf, P. 27.	(١٩)
Theoderich, P. 27.	(٢٠)
Saewulf, P. 27.	(٢١)
(٢٢) بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ٨٩ .	
Fetellus, P. 32.	(٢٣)
Theoderich, P. 56.	
Saewulf, P. 27.	(٢٤)
Theoderich, P. 58	(٢٥)
Daniel, P. 44.	(٢٦)
Fetellus, P. 8.	
Theoderich, P. 53.	
John of Wurzburg, P. 58.	
بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ١٠٥	
Fetellus, P. 26, P. 27.	(٢٧)
Theoderich, P. 70.	(٢٨)

Fetellus, P. 25. (٢٩)

Theoderich, P. 71. (٣٠)

John of Wurzburg, P. 65.

Fetellus, P. 71. (٣١)

Theoderich, P. 72.

John of Wurzburg, P. 63.

• بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ٩١ •

Joannes Phocas, P. 10. (٣٢)

Ibid, P. 10. (٣٣)

Ibid, P. 12. (٣٤)

Fetellus, P. 30 (٣٥)

Theoderich, P. 79.

• بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ١١٠ •

Saewulf, P. 27. (٣٦)

Fetellus, P. 49, P. 50.

Theoderich, P. 72.

John of Wurzburg, P. 63.

Ibid, P. 63. (٣٧)

Saewulf, P. 27. (٣٨)

Ibid, P. 27. (٣٩)

Fetellus, P. 50.

John of Wurzburg, P. 63.

Theoderich, P. 66. (٤٠)

بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ١١١ .

Daniel, P. 56.	(٤١)
Theoderich, P. 66.	
Ibid, P. 71.	(٤٢)
Saewulf, P. 27.	(٤٣)
Joannes Phocas, P. 8.	(٤٤)
Saewulf, P. 30.	(٤٥)
Theodlrich, P. 67.	(٤٦)
Joannes Phocas, P. 13.	
Daniel, P. 6.	(٤٧)
Fetellus, P. 24, P. 25.	(٤٨)
Fetellus, P. 24, P. 25.	(٤٩)
Theoderich, P. 55.	(٥٠)

بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ١٠٩ .

Daniel, P. 11.	(٥١)
Theoderich, P. 59.	(٥٢)
Ibid, P. 69.	(٥٣)
Saewulf, P. 27.	(٥٤)
Daniel, P. 11.	(٥٥)
Joannes Phocas, P. 11.	
Daniel, P. 38.	(٥٦)

John of Wurzburg, P. 50.

(٥٧) بنيامين التطلبي ، المرحلة ، ص ٩٤ .

Daniel, P. 54.

(٥٨)

Theoderich, P. 66.

(٥٩)

Daniel, P. 72.

(٦٠)

Theoderich, P. 69.

(٦١)

Ibid, P. 38.

(٦٢)

Daniel, P. 53.

Theoderich, P. 65.

(٦٣)

Fetellus, P. 26.

(٦٤)

Daniel, P. 69.

(٦٥)

Fetellus, P. 29.

Theoderich, P. 68.

Daniel, P. 8.

(٦٦)

Theoderich, P. 55.

Ibid, P. 55.

(٦٧)

Ibid, P. 64.

(٦٨)

John of Wurzburg. P. 50.

(٦٩)

Joannes Phocas, P. 21.

Fetellus, P. 6, P. 40.

(٧٠)

Theoderich, P. 4.

ملحق رقم (٢)

سأويلف يصف

الطريق الممتد من يافا الى بيت المقدس

« وعرجنا من يافا Joppa الى بيت المقدس Jerusalem في رحلة استغر يومين على طول طريق جبلى ، وصخري وعلى جانب كبير من الخطورة ، اذ ان العر يكمنون دائما ويختبئون في الأماكن المجوفة من الجبال ، والكهوف الصخرية ، و يقومون بمراقبة الطريق نهارا وليلا ، ودائما عند رؤية من بإمكانهم مهاجمة واضعين في الاعتبار قلة الجماعة او أولئك الذين تخلفوا عن جماعتهم ، في الارهاق والاجهاد ، وفي خلال لحظة تراهم يقدمون من كل حدب وصوب ، ويختف من فورهم بصورة كاملة ، وفي امكان أى شخص يقوم بهذه الرحلة ان يرى بنفسه ذلك ٠٠٠ ويالعدد الجثث البشرية الخامدة سواء في الطريق او على جانبه اذ تلتج الوجوش الضاربة ، والبعض يمتلكه العجب ، اذ كيف ترقد جثث المسيحيين هنا دون ان تقبر ، غير ان ذلك ليس مثيرا تعجب البتة ، ذلك انه لا توجد الا ارض محدود وليس في الامكان الحفر في الصخور في سهولة ، اُضيف الى ذلك انه في حالة وج الارض الصالحة ، فإين ذلك الأحق الذي سيكون وحيدا ويترك جماعته ليحفر ق لرفقائه ، اذ انه لو فعل ذلك فعندئذ سيحفر قبرا لنفسه لا لرفقائه ، وفي هذا الطر يتعرض للخطر ليس فقط الفقير والضعيف بل وحتى الثرى والقوى » (١) .

ملحق رقم (٣) وصف دانيال لجبل لبنان

« وهناك جبل ضخم باذح الارتفاع يقع على الجانب الآخر من بحيرة ديكابوليس Dicapolis وباتجاه الشمال الشرقى ويكسو الثلج قمته حتى خلال فصل الصيف ، ويسمى بجبل لبنان Lebanon ، وينتج عنه عبق لبنان والمادة الصمغية البيضاء فى أشجاره ، وينبع اثني عشر نهرا كبيرا فيه ، ستة منها تتدفق فى الاتجاه الشرقى ، والستة الآخرين فى الاتجاه الجنوبى ، ويصب الستة الآخرون فى بحيرة جنيسارت Genesaret ، والستة الآخرون يتجهون صوب أنطاكية Antioch العظمى ، وتسمى هذه البلاد ميسوبوتاميا Mesopotamia ، أو بلاد ما بين النهرين نظرا لوقوعها بين الأنهار . »

ولم يكن فى وسعى الوصول الى جبل لبنان خشية الكفار ، بيد اننى تمكنت من الالمام بفكرة طيبة عنه عن طريق مرشدى المسيحيين الذين عاشوا هناك ، نظرا لسكن العديد من الكفار ذلك الجبل ، وقد اكتفيت برؤيته فحسب وأجزاء من بحيرة جنيسارت Genesaret من بعد ، وتبلغ المسافة الواقعة بين بحيرة طبرية Tiberia وبحيرة جنيسارت فرسين ، وتقع الأخيرة شمال شرق مدينة طبرية (١) .

ملحق رقم (٤)

دانيال يصف كنا الجليلية
وعكا

« تبلغ المسافة فرس ونصف بين قرية ايساو Isau ومنا Cana في الجليل Galilee وتقع كنا الجليلية على الطريق الرئيسى ، وهنا حول السيد المسيح المسمّى الى خمر ، وقابلنا هناك قافلة كبيرة متجهة صوب عكا Acre والتحقنا بها في حبور ، وواصلنا الطريق صوب عكا ، وهى التى كانت عادة فى أيدي العرب ، بيد أنها الآن صارت خاضعة للفرنّج ، وهى ذات مرسى جيد ، والمدينة مزودة بصورة طبية بكافة الاحتياجات ، وتقع عكا الى الجنوب من الناصرة Nazareth وتبعد عنها بمسافة ثمانية وعشرين فرس » (١) .

ملحق رقم (٥)

تناول يوحنا الورزبرجى لفرسان الداوية

« يوجد القصر الذى يقال ان سليمان Solomon بناه ، ويدخله اسطبل عجيب يتسع حجمه لأكثر من ألفين من الخيول أو ألف وخمسمائة من الجمال ، وبجوار هذا القصر امتلك فرسان الداوية Templars مبان متصلة ومتسعة ، وأيضا منشآت كنيسة كبيرة وجديدة ، وهى التى لم يكتمل بناؤها بعد ، ويمتلك ذلك البيت أملاكاً عديدة ، ودخولا طائلة لا تحصى سواء فى تلك البلاد أو فى كافة الأنحاء الأخرى ، ويقدم مبلغا كبيرا من الصدقات الى فقراء المسيح ، لكن لا يصل ذلك الى عشر ما يتم تقديمه من جانب الاسبتارية Hospitallers ، ولبيت الداوية عدد كبير من الفرسان للدفاع عن أرض المسيحيين ، غير أن سوء الطالع لحق بهم ، والواقع اننى لا أعلم عما اذا كان ذلك حقيقى أم باطل ، ذلك أن صيت الداوية الطيب لحق به الطعن من جراء اللوم على خيانتهم والتى ظهرت بجلاء فى واقع الأمر فيما يتصل بأحداث دمشق تحت قيادة الملك كونراد Conrad (١)»

ملحق رقم (٦)

رحلة القديسة ايو فروزين الى بيت المقدس

« ... عند وفاة والديها أرادت القديسة أيوفروزين التي كان قد مر على دخولها سلك الرهبنة مرحلة زمنية طويلة أن تزور الأماكن المقدسة في بيت المقدس وخاصة قبر السيد المسيح ، وكانت تدعو الله أن يحقق لها رغبة دفينة وهي المسوت بجوار هذه الأماكن المقدسة . »

وعندما علم بذلك رجال الدين والكنيسة المسئولون اجتمعوا عندها محاولين إنبائها عن الرحيل ولكنها هدأت من روعهم بكلماتها التي تفيض بالتعقل والحنان ، فودعها أخوها الأمير فاتشسلاف وزوجته الأميرة وأطفالهم باكيا وهو يقول : « أختي العزيزة وأمي لماذا تريدان فراقنا ؟ فأنت خشياء عيني ومهجة روحي ، فأجابته القديسة « ليس فراقكم ما أريده ولكني أريد أن أدعو الله لي ولكم في الأراضى المقدسة » . »

وبعد فترة وجيزة عهدت بالدير الى أختها أودوكسى ثم ودعت الجميع بعد أن دعت الله طويلا وتوكلت عليه ليوفقها في رحلتها الشاقة الى بيت المقدس ، وودعها الجميع بالعبرات ورافقوها حتى بداية الطريق ، وقد رافق القديسة في رحلتها أخوها الآخر دافيد وقريبة لها تدعى أوفرازي .

وعند وصولها الى مدينة القسطنطينية استقبلت بحفاوة من قبل الامبراطور والبطريرك ، وبعد أن زارت الكنائس المقدسة والعديد من مقابر القديسين اتجهت الى بيت المقدس ، وهناك ذهبت الى قبر السيد المسيح حيث وضعت مصباحا من الذهب الخالص ومنحت الكثير من الهبات الى كنيسة بيت المقدس والبطريرك ، وأخذت تدعو بدموع مخلصة صادقة في جميع الأماكن المقدسة في بيت المقدس ، ثم أقامت في دير يسمى روس بجوار كنيسة القديسة العذراء .

وبعد أن فرغت من دعائها خرجت من كنيسة القديسة العذراء واتجهت صوب محل إقامتها حيث أصابها المرض ، وعندئذ رددت وهي على فراشها تتوجع : « شكرا لك ياسيدي المسيح لاستجابتك لدعوة خادمك المتواضعة فلقد منحتني ما كنت أتمنى » .

ولقد أرادت القديسة أن تذهب أيضا الى نهر الأردن ولكن مرضها حال دون ذلك ، فبعثت أخاها ديفيد وأفرازي للحصول على ماء من هناك ، وشربت القديسة وهي تشعر بسعادة غامرة ، ووضعت من الماء على جسدها ، ثم رقدت مرة أخرى قائلة : بارك الله في المسيح الذي ينير كل كائن مولود يرى نور الحياة وخلال مرضها رأت رؤيا ملائكية فمن عند الرب تبتريها بما سوف تنعم به بعد موتها من سعادة وسلام . فسنجدت القديسة لهذه الرؤيا وشكرت الرب على ما أنعم به عليها .

ثم أرسلت الى دير القديس ساباس الشرفى لترجو الارشيمندريت والأخوية أن يمنحوها مكانا تدفن فيه في ديرهم ، فأجابوها بالرفض : « ان الأب القديس ساباس أمرنا ألا تدفن امرأة في دير » ، وهناك دير القديسة العذراء في ثيودوس حيث دفنت عدة قديسات ، مثل أم القديس ساباس وأم القديس ثيودوس وأم القديسين . اتارجير وثيودوس وكثيرات ، ولذلك يجب أن تدفن القديسة أيوفروزين معهن .

وعندما علمت القديسة أيوفروزين بذلك شكرت الرب على أنها سوف تدفن مع رفات القديسات ، فبعثت برسالة لدير القديس ثيودوس ، فأعد الرهبان مكانا لقبرها .

وشعرت القديسة أيوفروزين بعد أربع وعشرين يوما من مرضها - شعرت باقتراب الردى ، فأرسلت في استدعاء القس ، وتلقت سر القربان المقدس ثم فاضت روحها الى بارئها في ٢٣ مايو ، ودفنت في دير القديس ثيودوس .

وعاد أخوها ديفيد وقريبتها أفرازي الى بلادهما ، وداح نبأ وفاة القديسة أيوفروزين ، فبكاهما الجميع ، وقرروا أن يحتفلوا بذكراها كل عام شاكرين ومسبحين لله وللابن والروح القدس في كل وقت وحتى نهاية العالم ، آمين^(١) .

ملحق رقم (٧)
وصف ثيودريش لعكا

« وبعيدا عن ساحل البحر قبالة اكارون Accaron ، هناك قلعة كبيرة لها نفس الاسم تقع في بلد ثرى ، وتسمى القلعة الجديدة ، وبالقرب منها هناك غيضة كبيرة من أشجار النخيل ، وتقع بتوليمائيس Ptolemais نفسها على بعد ثلاثة أميال ، وهي مدينة عامرة بالسكان ، وذات ثراء كبير ، وأيضا كان الأمر ، فإن الشاطئ أو الطريق المؤدى الى بتوليمايا شاق ومحفوف بالمخاطر ، وعندما تهب الرياح من جهة الجنوب ترتجف الشواطئ على أثر الصدمات والضربات المتلاحقة التى تتلقاها من الأمواج » (١) .

ملحق رقم (٨)

بنيامين التطيلي يصف الاسماعيلية النزاولية فى بلاد الشام

« جيلة » هى بلعجاد الواردة فى التوراة فى سفوح جبل لبنان ، وبظاهرها تقيم الطائفة المعروفة بالحشيشيين ، وهم زنادقة لا يؤمنون بدين محمد ، ويتبعون تعاليم شيخهم « قرمط » ، يطيعونه طاعة مطلقة للموت أو الحياة ، يأتزر بأمره سكان الجبل ويسمونه « شيخ الحشيشيين » ، أما مقامه فصن يدعى القسدموس أى قدموث الواردة فى التوراة من أملاك سيحون ، وهؤلاء الحشيشيون متضامنون مع بعضهم انعاناً لتعاليم شيخهم ، حتى أنهم ليضحون بالنفس طوعاً ، ويفتكون بالملوك والأمراء إذا اقتضى ، ومسيرة أراضيتهم ثمانية أيام ، وهم فى نزاع مستمر مع النصارى من الافرنج وأمير طرابلس الشام «(١)» .

(١) بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ٨٨ .

ملحة رقم (٩)

بنيامين التطيلي يصف

صور

« صور الجديدة ، وهى مدينة جميلة ، لها خليج يتوسطها ، بين برجين عظيمين ، تدخله السفن للرسو عند الميناء ، وبين البرجين سلسلة حديد معترضة ، عليها الجراس الأمناء ، يربطونها فى أول الليل فيتعذر على سفن الفرسبان سبيل الدخول للسلب والنهب من البر أو البحر ، وليس فى بلاد الدنيا ما يقابل هذا الميناء شأنا ، »

ويقيم فى هذه المدينة نحو ٤٠٠ يهودى ، بينهم جماعة من العلماء العارفين بالتلمود ، منهم الربيون افرام المصرى القاضى ، ومثير القرفشونى ، والرئيس ابراهيم ، وبين يهود صور من يملك السفائن التى تجوب البحار ، ومنهم من يحترف صناعة الزجاج النفيس المعروف بالزجاج الصورى الشهير فى العالم ، وفيها كذلك السكر الجيد ، (١) .

(١) بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ٩١ - ص ٩٢ .

ملحق رقم (١٠)

بنيامين التطيلي يتناول عناصر الاسبتارية والداوية

« وفي القدس مستشفيان يتسعان لايواء اربعمائة من فرسان الاسبتارية ، عدا المرضى الذين يجهزون بكل ما يلزمهم في الحياة وبعد الممات ، وفيها ايضا البناية المسماة « معبد سليمان » ، ويزعم البعض انها من انقاض مقدس الملك سليمان (ع) ويقيم في هذه البناية نحو ثلاثمائة من فرسان المعبد يمارسون فنون الحسروب والمقتسال » (١) .

(١) بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ٩٩ - ص ١٠٠ .

ملحق رقم (١١)

عسقلان من خلال رحلة

بنيامين التطيلي

« عسقلان ، قسمها القديم خراب ، يبعد عن عسقلان الجديدة بنحو أربعة فراسخ ، وكانت قديما تسمى « بنى براق » ، ويقال ان مجدد بنائها عزرا الكاهن (ع) ، اما عسقلان الجديدة فهي اليوم مدينة عامرة جميلة الموقع على ساحل البحر ، يؤم ميناءها عدد غفير من التجار لقربها من حدود مصر ، ويقيم فيها نحو مائتى يهودى من الربانيين ، بينهم الرييون صمخ وهرون وسليمان ، ونحو الأربعين من اليهود القرائين ، وثلاثمائة من الكوتيين (السامريين) » (١) .

(١) بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ١٠٩ .

ملحق رقم (١٢)

اليهود في بيت المقدس وفقاً لرحلة بنيامين التطيلي

« بيت المقدس هي بلدة صغيرة عظيمة التحصين ، تحيط بها ثلاثة أسوار ،
وفيها عدد كبير من اليعاقبة ، والسريان ، والأرمن ، واليونان ، والكرج ، والأفرنج ،
خاضط من كل أمة ولسان ، وفيها عمل للصباغة يستأجره اليهود من ملك القدس
سنوياً ، فتنحصر بهم هذه المهنة دون غيرهم ، ويبلغ عددهم في هذه المدينة نحو
المائتين ، يقيمون في حى مجاور لبرج داود » (١) .

(١) بنيامين التطيلي ، الرحلة ، ص ٩٩ .

ملحق رقم (١٣)

بتاحيا الراتسيوتى فى

طبرية وصفورية

« وقد عبر الربى بتاحيا الأردن كما ذكر الحكماء ، ثم خرج من الأردن فى اتجاه طبرية ، وهناك وجد طائفة يهودية كبيرة ، ذلك أنه كانت هناك طوائف يهودية فى أرض اسرائيل ، وفى طبرية يوجد المعبد الذى بناه يشوع بن نون ، وفى مدينة صفورية مدفون سيدنا أو معلمنا موسى ، وهناك رائحة زكية تفوح من قبره بحيث تشم من على بعد ميل من ذلك الموضع ، وعلى حوالى ذراع من قبر النبى موسى ، يوجد قبر رجل عالم ، الا وهو الربى نهورائى ، وله ابن حكيم يسمى الربى يهودا على اسم الربى يهودا هناس ، وكان الربى نهورائى طبيبيا وتجرا للعطور فى السوق واعتاد أبناءه الجلوس أمامه فى متجره ، وهو رجل حكيم وصالح » (١) .

ملحق رقم (١٤)

بتاحيا الراتسبونى فى الجليل الأعلى وأهم المزارات اليهودية هناك

« وقد ارتحل الربى بتاحيا الى الجليل الأعلى ، وهناك جبل بركانى باذخ
الارتفاع ، حيث يوجد قبر النبى عوفديا Abadias ، وفى منتصف الجبل يوجد
قبر يشوع بن نون Joshua B. Non والى جانبه يقع قبر ابن يفونه ، وينبع
بئر بالقرب من قبرهما مياهه عذبة مصدرها الجليل ، وتوجد بعض أماكن للراحة الى
جوار هذه المقابر وكلها تم تشييدها من الحجارة ، شأنها فى ذلك شأن كافة المباني
المقامة فى أرض اسرائيل » (١) .

Petachia, P. 395.

ملحق رقم (١٥)

اعداد اليهود فى كل من بيت المقدس وطبرية ودمشق وفق رحلة بتاحيا الزاتسبونى

« ٠٠٠ وبعد ذلك ارتحل الى بيت المقدس ، ولم يجد هناك سوى شخص يهودى هو الربى ابراهيم هلتسيفع ، وقد كان يدفع ضرائب باهظة للملك الذى كان يحكم الدين حينذاك ، وقد اصطحبه الربى ابراهيم لرؤية جبل الزيتون » .

« وقد عبر الربى بتاحيا الأردن كما ذكر الحكماء ، ثم خرج من الأردن فى اتجاه طبرية وهناك وجد طائفة يهودية كبيرة ، وذلك انه كانت هناك طوائف يهودية فى ارض اسرائيل ، على الرغم من انه لم يكن هناك فى هذه المنطقة سوى مائتين او ثلاثمائة من اليهود » .

« ٠٠٠٠ ومن حلب ارتحل الى دمشق وهى مدينة كبيرة يحكمها ملك مصر فى تلك الآونة ، ويسكنها ما يقرب من عشرين ألف يهودى ، وكان رئيس الطائفة هناك الربى عزرا » (١) .

ملحق رقم (١٦)

ابن جبیر یصف عکا

« هی قاعدة مدن الافرنج بالشام ، ومحط الجوارى المنشآت فی البحر كالاعلام ، مرفأ كل سفينة ، والمشبهة فی عظمتها بالقسطنطينية ، مجتمع السفن والرفاق ، وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق ، سککها وشوارعها تغص بالمزحام ، وتضيق فیها مواطىء الأقدام ، تستعر کفرا وطغيانا وتفور خنازیر وصلبانا ، زفرة قدرة ، مملوءة کلها رجسا وعذرة ، انتزعها الافرنج من ایدی المسلمين فی العشر الأول من المائة السادسة ، فبکی لها الاسلام ملء جفونه وكانت أجد شجونه ، فعادت مساجدها کنائس ، وصوامعها مضاربه للنواقیس وطهر الله من مسجدها الجامع بقعة بقيت بأیدی المسلمين مسجدا صغیرا ، یجتمع الغرباء منهم فیہ لاقامة فريضة الصلاة ، وعدد محرابه قبر صالح النبی ، صلى الله علیه وسلم وعلى جميع الأنبياء ، فحجرت الله هذه البقعة من رجس الکفرية ببركة هذا القبر المقدس » (١) .

(١) ابن جبیر ، الرحلة ، ص ٢٧٦ .

ملحق رقم (١٧)

وصف ابن جبير لصور

« مدينة يضرب بها المثل في الحصانة ، لا تلقى لطالبها يد طاعة ولا استكانة ، قلداً أعدها الأفرنج مفزعا كارتثة زمانهم ، وجعلوها مثابة لأمانهم ، هي أنظف من عكا سككا وشوارع ، وأهلها الذين في الكفر طبايع ، وأجرى إلى بر غريباء المسلمين شمائل ومنازع ، فخلأئقهم أسجع ومنازلهم أوسع وأفسح ، وأحوال المسلمين بها أهون وأسكن ، وعكا أكبر وأظفى وأكفر » .

« وأما حصانتها ومناعتها فأعجب ما يحدث به ، وذلك أنها راجعة إلى بابين : أحدهما في البر ، والآخر في البحر ، وهو يحيط بها إلا من جهة واحدة ، فالذي في البر يقضى إليه بعد ولوج ثلاثة أبواب أو أربعة ، كلها في ستائر مشيدة محبطة بالبواب ، وأما الذي في البحر فهو مدخل بين برجين مشيدين إلى ميناء ليس في البلاد البحرية أعجب وضعاً منها ، يحيط بها سور المدينة من ثلاثة جوانب ، ويحديق بها من الجانب الآخر جدار معقود بالجص ، فالسفن تدخل تحت السور ، وترسو فيها ، وتعرض بين البرجين المذكورين سلسلة عظيمة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج ، فلا مجال للمراكب إلا عند أزالتها ، وعلى ذلك الباب حراس وأمناء ، لا يدخل الداخل ولا يخرج الخارج إلا على أعينهم ، فشأن هذا الميناء شأن عجيب في حسن الموضع » (١) .

(١) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٧٧ - ص ٢٧٨ .

ملحق رقم (١٨)

وصف ابن جبير لطبرية

« وعلى بادية طبرية اختلاف القوافل من دمشق لسهولة طريقها ، ويقصد بقوافل البغال على قنينين لوعورتها وقصد طريقها ، وبحيرة طبرية مشهورة ، وهى ماء عذب، وسعتها نحو ثلاثة فراسخ أو أربعة ، وطولها نحو ستة فراسخ ، والأقوال فيها تختلف ، وهذا القول أقربها الى الصحة ، لأننا لم نعاينها وعرضها أيضا مختلف سعة وضيقا ، وفيها قبور من قبور الأنبياء ، صلوات الله عليهم ، كشعيب وسليمان ويهوذا وروبيل وابنه شعيب زوج الكليم موسى وغيرهم ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وجبل الطور منها قريب » (١) .

(١) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٨٢ هـ

ملحق رقم (١٩)

العلاقات التجارية بين المسلمين

والصليبيين من خلال

ابن جبير

« واختلاف القوافل من مصر الى دمشق عاى بلاد الافريج غير منقطع ، واختلاف المسلمين من دمشق الى عكة كذلك ، وتجار النصارى أيضا لا يمنع أحد منهم ولا يعترض ، والنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها فى بلادهم ، وهى من الأمان على غاية • وتجار النصارى أيضا يؤدون فى بلاد المسلمين على سلعهم ، والاتفاق بينهم والاعتدال فى جميع الأحوال ، وأهل الحرب يشتغلون بحربهم ، والناس فى عافية ، والدنيا لمن غلب » (١) •

(١) ابن جبير ، الرحلة ، ص ٢٦٠

ملحق رقم (٢٠)

وصف الادريسي لعكا وعسقلان

« ومن حيفا الى مدينة عكا مرحلة في البر ، وهي من الأميال ثلاثون ميلا ، وفي البحر رؤوسية ثمانية عشر ميلا ، ومدينة عكا كبيرة واسعة الأرجاء كثيرة الضياع ، ولها مرسى تحسن مأمون وناسها أخلاط ، فمن طبرية الى عكا يومان ، ومن عكا الى حصن الزيب اثنا عشر ميلا ، وهو حصن حسن على ضفة البحر الملح » (١) .

« وأما مدينة عسقلان فهي مدينة حسنة ذات سورين وبها أسواق وليس لها من خارجها بساطين ، وليس بها شيء من الشجر ، واستفتحها صاحب القدس بعساكر الروم من الفرنج وغيرهم في سنة ثمان وأربعين وخمسائة وهي الآن بأيديهم وعسقلان معبودة في أرض فلسطين » .

(١) الادريسي ، نزهة المشتاق ، ج ٤ ، ص ٣٥٧ ، ص ٣٦٥ .

ملحق رقم (٢١)

تناول الادريسى لوادى جهنم وما به من كنائس واديرة

« وأما ما يلى بيت المقدس فى ناحية الجنوب ، فأنك اذا خرجت من باب صهيون ، وسرت مقدار رمية حجر وجدت كنيسة صهيون ، وهى كنيسة جليلة حصينة وفيها العلية التى أكل فيها السيد المسيح مع التلاميذ وفيها المائدة باقية الى الآن ولها ميعاد فى يوم الخميس ومن باب صهيون تنزل فى خندق يعرف بوادى جهنم ، وفى طرف الخندق كنيسة على اسم بطرس وفى هذا الخندق عين السلوان وهى العين التى أبرأ بها السيد المسيح الضريب الأعمى ، ولم يكن له قبل ذلك عيبان ، ومن هذه العين المذكورة الى الجنوب الحقل الذى يدفن فيه الغرباء ، وهى أرض اشتراها السيد لذلك وبقرتها بيوت كثيرة منقورة فى الصخر وفيها رجال قد حبسوا أنفسهم عبادة » (١) .

—————

(١) الادريسى ، نزهة المشتاق ، ج٤ ، ص ٣٩٢ .

ملحق رقم (۲۲)

كنيسة القيامة عند الأديسي

« وإذا دخل الداخل من باب المحراب وهو الباب الغربى كما قلناه يسير نحو المشرق فى زمان شوارع الى الكنيسة العظمى المعروفة بكنيسة القيامة ويسمونها المسلمون قمامة وهى الكنيسة المحجوج اليها من جميع بلاد الروم التى فى مشارق الارض ومغاربها ، فيدخل من باب فى غربها فيجد نفسه فى وسط القبة التى تشتمل على جميع الكنيسة ، وهى من عجائب الدنيا ، والكنيسة أسفل ذلك الباب ولا يمكن أحدا النزول اليها من هذه الجهة ، ولها باب وفى جهة الشمال ينزل منه الى أسفل الكنيسة على ثلاثين درجة ، ويسمى هذا الباب باب شنت مريه ، وعند نزول الداخل الى الكنيسة تلقاه المقبرة المقدسة العظمى ، ولها بابان وعليها قبة معقودة ، قد اتقن بنيانها ، وحصن تشييدها ، وأبدع تنميقها ، وهذان البابان أحدهما يقابل الشمال حيث باب شنت مريه والباب الآخر يقابله من جهة الجنوب ويسمى باب الصلوية وعلى هذا الباب قنبنار الكنيسة ويقابلها من جهة الشرق كنيسة عظيمة كبيرة جدا بقدس فيها افرنج الروم ويقربون » (١) .

(١) الادريسي ، نزهة المشتاق ، جزء ، ص ٣٥٨ - ص ٣٥٩

ملحق رقم (٢٣)

وصف الادريسى لعدد من الكنائس فى بيت المقدس ووادى الاردن

« اذا خرجت من باب الأسباط سرت فى حدود مقدار رمية سهم فتجد كنيسة كبيرة حسنة جدا على اسم السيدة مريم ويعرف المكان بالجسمانية ، وهناك قبره يصير جبل الزيتون ، وبينه وبين باب الأسباط نحو ميل » .

وفى طريق الصعود الى هذا الجبل كنيسة عظيمة حسنة متقنة البناء تسمى كنيسة باتر نصتر وعلى أعلى الجبل كنيسة أخرى حسنة معظمة وفيها رجال ونساء محبوسون يبتغون بذلك أجر الله سبحانه ، وفى شرقى هذا الجبل المذكور منحرفا قليلا الى الجنوب قبر العازر الذى أحياه السيد المسيح وعلى ميلين من جبل الزيتون القرية التى جلب منها الأتان لركوب السيد المسيح عند دخوله الى اورشليم وهى الآن خراب لا ساكن فيها » .

وعلى قبر العازر يؤخذ طريق وادى الأردن وبين وادى الأردن وبيت المقدس مسافة يوم واحد ، ومن قبل أن تصل الى وادى الأردن مدينة ريجا السابق ذكرها وبينها وبين الوادى ثلاثة أميال وعلى الوادى المسمى الأردن كنيسة عظيمة على اسم شنت يوحنا يسكنها رهبان الافريقيين « (١) » .

(١) الادريسى ، نزهة المشتاق ، ج٤ ، ص ٣٦١ .

ملحق رقم (٢٤)

أسامة بن منقذ يصف معرفة الصليبيين الطبية

« ومن عجيب طبهم أن صاحب النيطرة كتب الى عمى يطلب منه ايضاد طبيب
يداوى مرضى من أصحابه ، فأرسل اليه طبيباً نصرانياً يقال له ثابت ، فما غاب عشرة
أيام حتى عاد فقلنا له « ما أسرع ما داويت المرضى » ، قال « أحضروا عندي فارساً
قد طلعت في رجله دملة ، وامرأة قد لحقها نشاف » ، فعملت للفارس لبيخة ففتحت
الدملة وصلحت ، وحميت المرأة ورطبت مزاجها ، فجاءهم طبيب أفرنجي فقال لهم (هذا
ما يعرف شيء يداويهم) وقال للفارس (أيما أحب اليك تعيش برجل واحدة أو تموت
برجلين ؟) قال (أعيش برجل واحدة) قال (احضروا لي فارساً قويا وفأساً قاطعاً)
فحضر الفارس والفأس ، وأنا حاضر ، فحط ساقه على قرمة خشب وقال للفارس
(أضرب رجله بالفأس ضربة واحدة اقطعها) فضربه ، وأنا أراه ضربة واحدة
ما انقطعت ، ضربه ضربة ثانية فسال مخ الساق ومات من ساعته وأبصر المرأة فقال
(هذه امرأة في رأسها شيطان قد عشقها احلقوا شعرها) فحلقوه ، وعادت تأكل من
مأكلها الثوم والخردل ، فزاد بها النشاف فقال (الشيطان قد حل في رأسها) فأخذ
الموس وشق رأسها صليبا وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكه بالملح فماتت في
وقتها ، فقلت لهم (بقي لكم على حاجة ؟) قالوا (لا) فجئت وقد تعلمت من طبهم ما لم
أكن أعرفه (١) .

(١) أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

ملحق رقم (٢٥)

من امثلة الزلازل التي اجتاحت بلاد الشام فى القرن السادس هـ/ الثانى عشر من خلال ابن القلانسي

« فى ليلة الخميس التاسع من شعبان سنة احدى وخمسين وخمسمائة الموافق اليوم السابع والعشرين من أيلول ، فى الساعة التالية منها ، وافت زلزلة عظيمة ، رجفت بها الأرض ثلاث أو أربع مرات ، ثم سكنت بقوة من حركها وسكنتها ، سبحانه وتعالى من ملك قادر ظاهر ، ثم وافى بعد ذلك ليلة الأربعاء الثانى وعشرين من شعبان المذكور ، زلزلة هائلة ، وجاءت قبالتها وبعدها مثلها فى النهار وفى الليل ، ثم جاء بعد ذلك ثلاث دونهن ، بحيث أحصين ست مرات ، وفى ليلة السبت الخامس وعشرين من الشهر المذكور ، جاءت زلزلة ارتاع الناس منها ، فى أول النهار وآخره ، ثم سكنت بقوة محركها ، سبحانه وتعالى . »

وتواصلت الأخبار من ناحية حلب وحماه ، بانهدام مواضع كثيرة ، وانهدام برج من أبراج القامية بهذه الزلازل الهائلة ، وذكر أن الذى أحصى عدده منها تقدر الأربعين ، على ما حكى والله تعالى أعلم . وما عرف مثل ذلك فى السنين الماضية ، والأعصر الخالية ، وفى يوم الأربعاء التاسع والعشرين من الشهر بعينه - شعبان - وافت زلزلة قتلو ما تقدم ذكره آخر النهار ، وجاءت فى الليل ثانية فى آخره ، ثم وافى فى يوم الاثنين أول شهر رمضان من السنة زلزلة مروعة للقلوب وعادت ثانية وثالثة ثم وافى بعد ذلك فى يوم الثلاثاء ثلاث زلازل ، أحداهن فى أوله هائلة ، والثانية والثالثة دون الأولى ، وأخرى فى وقت الظهر مشاكلة لهن ، ووافى بعد ذلك أخرى هائلة أيقظت النيام وروعت القلوب انتصاف الليل ، فسبحان القادر على ذلك « (١) » .

(١) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ غدمشيق ، ص ٥١٤ .

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات

A.H.R.	: American Historical Review.
A.O.L.	: Arshives de l'Orient Latin.
B.E.O	: Bulletin des Etudes Orientales.
B.I.A.C.C.	: Bulletin of The Israeli Academic Center in Cairo.
B.S.O.A.S.	: Bulletin of The School of Oriental and African Studies.
C.M.H.	: Cambridge Medieval History.
C.S.H.P.	: Corpus Scriptorum Historia Pyzantinae.
I.C.	: Islamic Culture.
J.A.	: Journal Asiatique.
J.J.S.	: Journal of Jewish Studies.
J.R.A.S.	: Journal of The Royal Asiatic Society.
M.H.	: Medical History.
M.W.	: Muslim World.
P.E.F.	: Palestine Exploration Fund.
P.G.	: Patrologia Graecia.
P.L.	: Patrologia Latina.
P.O.	: Patrologia Orientalia.
P.P.T.S.	: Palestine Pilgrims Text Society.
R.B.	: Revue Biblique.
R.E.A.	: Revue des Etudes Arabes.
R.H.C. : Hist. Occ.	: Recneil des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux.
R.O.L.	: Revue de l'Orient Latin.
Z.D.P.V.	: Zertschrift des Deutschen Palestine Vereins.

قائمة المصادر والمراجع

- أولا : المصادر اللاتينية واليونانية والسريانية .
- ثانيا : المخطوطات العربية .
- ثالثا : المصادر العربية والمعربة .
- رابعا : المراجع العربية والمعربة .
- خامسا : المراجع الأجنبية .
- سادسا : الموسوعات

أولا : المصادر اللاتينية واليونانية والسريانية^(١)

— Adomnan of Lona, in Wilkinson, Jerusalem Pilgrims before The Crusades, London 1977.

-- Ambroise, The Crusade of Richard Heart of Lion, Trans. by Hubert, New York 1943.

Anastasius IV grants privileges to the Knights of St. John (1154) in Thatcher, Source Book of Medieval History, London 1903.

- Annales Regni Francorum, in Loyn and percival The Reign of Charlemagne, documents on Carolingian government and administration, London 1975.

Anonymous, The deeds of The Franks and other pilgrims, Trans. by Hill, New York 1962.

Anonymous Syriac Chronicle, Trans. by Tritton, J.R.A.S., part II, April 1933.

Antonius Martyr, The Holy Places visited by Antonius Martyr, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. II, London 1896.

Baldric of Dol, English Trans. in Peters, The First Crusade, Philadelphia 1971.

Benjamin of Tudela, in Wright, Early Travels in Palestine, London 1848.

Bernard the Wise, The Itinerary of Bernard The Wise, Trans. by J.D. Benard, P.P.T.S., Vol. III, London 1893.

Breviarius of Jerusalem, in Wilkinson, Jerusalem Pilgrims before The Crusades, London 1977.

Burchars of Mont sion, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. XII, London 1896.

C'innamus, Epistome Historiorum, in C.S.H.P., Bonn 1836.

(١) استعنت بالترجمة الانجليزية لأغلب تلك المصادر .

- Commoratorium on The Churches of Jerusalem, in Wilkinson, Jerusalem Pilgrims before The Crusades, London 1977.
- Daniel, Pilgrimage of The Russian Abbot Daniel in The Holy Land, Trans. by Wilson, P.P.T.S., Vol. IV, London 1895.
- Epiphanius The Monk, in Wilkinson, Jerusalem Pilgrims before The Crusades, London 1977
- Eracle, Estoire d'Eracle, in R.H.C., Hist. Occ., T II, Paris 1859.
- Ernoul, Ernoul's Account of Paestine, Trans. by Conder, P.P.T.S., Vol. VI, London 1896.
- Eucherius, The Epitome of St. Eucherius about certain Holy Places, Trans. bp Aubrey Stewart, London 1890, also in Wilkinson, Jerusalem Pilgrims before The Crusades, London 1977.
- Euphrosine, Pelerinage en Palestine, Trans. by De Khitrowo, R.O.L., T. III, Année 1895.
- Eusebius, Extraits from Eusebius Life of Constantine, Trans by John Bernard, P.P.T.S., Vol. I, London 1896.
- Felix Fabri, The Book of Wanderings of Brother Felix Fabri, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. IX, London 1897.
- Fetellus, Description of The Holy Land, Trans. by J.R. Macpherson, P.P.T.S. Vol. V, London 1897.
- Fulcher of Chartres, Hist. of The Expedition to Jerusalem, Trans. by Rita Rian, Univ. of Tennessee, U.S.A. 1969.
- Godffrey of Vinsauf, Hist. of The Expedition of Richard Coeur de Lion, in Chronicles of The Crusades, London 1903.
- Guilbert of Nogent, in Peters The First Crusade, Pennsylvania 1971.
- Jacques de Verone, La Pelerinage de Moine Augustin Jacques de Verone, publié par Ruhricht, R.O.L T. III, Année 1895.
- Jacques de Vitry, The History of Jerusalem, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. XI, London 1896.

- Jean de Joinville, *The Life of Saint Louis*, in *Chronicles of The Crusades*, Penguin Books, Trans. by Shaw, London 1976.
- - Jerome, *The Pilgrimage of The Holy Places* by St. Jerome, Trans. by Aubrey Stewart. P.P.T.S., Vol. I, London 1896.
 - Joannes phocas, *Abrief Description of The Holy Land*, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. V, London 1896.
 - John de Villiers, *A letter of John de Villiers, Master of The Hospital describing The Fall of Acre*, in King, *The Knights Hospitallers in The Holy Land*, London 1930.
 - John of Wurzburg, *Description of The Holy Land*, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. V, London 1896.
 - John Rufus, in Wilkinson, *Jerusalem Pilgrims before The Crusades*, London 1977.
 - Ludolph Von Suchem, *Description of The Holy Land*, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. XII, London 1895.
- Marino Santo, *Secrets for True Crusaders to help them to recover The Holy Land*, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. VII, London 1896.
- Péthachia de Ratisbonne. *Tour du Monde, Ou Voyages du Rabbín péthachia de Ratisbonne dans Le XII Siècle*, J.A., Année 1881.
- Ralph Glaber, *Historiorum*, English Trans. in Wilkinson, *Jerusalem Pilgrims before The Crusades*, London 1977.
- Raymond d'Aguiliers, English, Trans. in Peters, *The First Crusade*, Pennsylvania 1971.
- Robert The Monk, English Trans. in Peters, *The First Crusade*, Pennsylvania 1971.
- Saewulf, *Pilgrimage of Saewulf*, Trans. by Bishop of Clifton, P.P.T.S., Vol. IV, London 1896.

- The Itinerary of The Bordeaux Pilgrim, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol I, London 1896.
- The Letter of Paula and Eustocium to Marcella about The Holy Places, Trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. I, London 1896.
- Theoderich, Description of The Holy Places. Trans by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. V, London 1896.
- Theodosius, The Topography of The Holy Land, Trans. by J.H. Bernard, P.P.T.S., Vol. III, London 1893.
- William of Tyre, A History of The deeds done beyond The Sea, Trans. bp Babcock and Krey, New York 1943.
- Willibald, Hodoeporicon, Trans. by Brownlow. P.P.T.S., Vol. III, London 1892.

ثانيا : المخطوطات العربية

الحنبلی :

- (أحمد بن ابراهيم ت ٨٧٦هـ / ١٤٧١م)
شفاء القلوب فى مناقب بنى ايوب
مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٣١ .

الذالدى :

- (بهاء الدين محمد بن لطف الله ت ٩٢٧هـ / ١٢٧١م)
المقصد الرفيع المنشأ الهادى لديوان الانشاء
مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٤٥ .

السلامى :

- (شهاب الدين أحمد - غير معروف تاريخ الوفاة)
مختصر التواريخ
مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤٣٥ تاريخ .

ثالثا : المصادر العربية والمعرية

- ابن أبى الفضائل (مفضل بن أبى الفضائل ق ٨٨/هـ ١٤ م)
النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد
تحقيق بلوشيه ، الباترولوجيا الشرقية ، الجزء الثانى عشر
P.O, T. XII
- ابن الأثير (عز الدين محمد بن عبد الكريم ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢ م)
الكامل فى التاريخ
ط٠ القاهرة ١٢٩٠هـ ، ١٣٤١هـ
التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل
تحقيق عبد القادر طليمات
ط٠ القاهرة ١٩٦٣م
- ابن أيبك الدوادارى (أبو بكر بن عبد الله ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١ م)
الدرة المضيئة فى أخبار الدولة الفاطمية
تحقيق صلاح الدين المنجد
ط٠ القاهرة ١٩٦١م
- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧ م)
الرحلة المسماة ، تحفة النظر فى عجائب الأمصار
ط٠ بيروت ١٩٦١م
- ابن تغرى بردى (جمال الدين يوسف ت ٨٧١هـ / ١٤٦٩ م)
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة
ط٠ القاهرة ١٩٣٥م

ابن جبير
(محمد بن أحمد الكنانى ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م)
الرحاة المسماه ، تذكرة بالآخبار فى اتفاقيات الأسفار
ط ٠ بيروت ١٩٨٠م

ابن الجوزى
(أبو الفرج عبد الرحمن بن على ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م)
المنتظم فى تاريخ الملوك والامم
الجزء التاسع
ط ٠ حيدر آباد الدكن ١٣٥٩هـ

ابن حبيب
(الحسن بن عمر بن الحسن ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)
تذكرة النبىه فى أيام المنصور وبنيه
الجزء الأول ، تحقيق محمد محمد أمين
ط ٠ القاهرة ١٩٧٦م

ابن حماد
(أبو عبد الله محمد بن على ت ٦٢٨هـ / ١٢٣١م)
آخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم
تحقيق التهامى نفره وعبد الحلیم عويس
ط ٠ القاهرة ١٤٠١هـ

ابن حزم
(أبو محمد على بن احمد، ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م)
طوق الحمامة فى الالفه والآلاف
تحقيق الطاهر مكى
ط ٠ القاهرة ١٩٧٧م

ابن حوقل
(أبو القاسم بن حوقل ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)
صورة الأرض
تحقيق دى جويه
ط ٠ ليدن ١٩٦٧م

ابن خلكان

(أبو العباس شمس الدين ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
ط٠ القاهرة ١٩٤٨م

ابن الراهب

(بطرس بن ابي الكرم ت ٦٦٩هـ / ١٢٧٠م)
تاريخ ابن الراهب
تحقيق شيخو
ط٠ بيروت ١٩٠٧م

ابن رسته

(ابو على احمد بن على ت ق ٤هـ / ق ١٠م)
الأعلاق النفيسة
ط٠ ليدن ١٨٩١م

ابن سعيد المغربي

(على بن موسى ت ٦٧٢هـ / ١٢٧٥م)
بسط الأرض فى الطول والعرض
تحقيق خوان خنيس
معهد مولاى الحسن
تطوان ١٩٥٨م
كتاب الجغرافية
تحقيق العربى
ط٠ بيروت ١٩٧٠م

ابن شاهنشاه

(محمد بن تقى الدين عمر صاحب حماه ت ٦١٧هـ / ١٢٢٢م)
مضمار الحقائق وسر الخلائق
تحقيق حسن حبشى
ط٠ القاهرة ١٩٦٨م

ابن شاهين

(غرس الدين خليل ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م)
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك
تحقيق بول رافيس
ط٠ باريس ١٨٩٤م

ابن الشحنة

(أبو الفضل محمد ت ٨١٥هـ / ١٤١٢م)
الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب
تحقيق الياس سرقيس
ط٠ بيروت ١٩٠٩م

ابن شداد

(القاضي بهاء الدين ٦٣٢هـ / ١٢٢٤م)
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية
تحقيق جمال الدين الشيال
ط٠ القاهرة ١٩٦٤م

ابن شداد

(عز الدين أبو عبد الله ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)
الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة
ج٢ ، تحقيق سامى الدهان
ط٠ دمشق ١٩٥٦م

ابن الصابونى

(أبو حامد محمد بن على ٦٨٠هـ / ١٢٨١م)
تكملة اكمال الاكمال فى الأنساب والأسماء والألقاب
تحقيق مصطفى جواد
ط٠ بغداد ١٩٥٧م

ابن عبد الحق البغدادى

(صفى الدين عبد المؤمن ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م)
مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع
تحقيق محمد الينجاوى
ط٠ القاهرة ١٩٥٤م

ابن عبد الظاهر

(محبى الدين ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٣م)
تشرىف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور
تحقيق مراد كامل

ط ٠ القاهرة ١٩٦١م

الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر

تحقيق عبد العزيز الخويطر

ط ٠ الرياض ١٩٧٦م

ابن العديم

(كمال الدين أبو القاسم ت ٠ ٦٦٠هـ / ١٢٦١م)

زبدة الحلب من تاريخ حلب ،

الجزء الثانى ، تحقيق سامى الدهان ،

المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ،

ط ٠ دمشق ١٩٥٤م

الجزء الثالث ، تحقيق سامى الدهان

ط ٠ دمشق ١٩٦٨م

سيرة راشد الدين سنان ،

تحقيق برنارد لويس ،

R.E.A., T. VIII,

Année 1966

بغية الطلب فى تاريخ حلب ،

القسم الخاص بتراجم الامراء السلاجقة

تحقيق على سسويم

الجمعية التاريخية التركية

ط ٠ أنقرة ١٩٧٦م

ثلاثة تراجم من بغية الطلب

تحقيق برنارد لويس

Melanges Fuad Koprulu

ط ٠ استانبول ١٩٥٣م

ابن عساكر

(أبو القاسم على بن الحسن ت ٠ ٥٧١هـ / ١١٧٦م)

ولاية دمشق فى العصر السلجوقى

تحقيق صلاح الدين المنجد

مجلة المجمع العلمى بدمشق ،

م (٢٤) ، ج (٤) عام ١٩٤٩م

ابن الفسرات

(ناصر الدين محمد ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م)
تاريخ الدول والملوك
المجلد الخامس / الجزء الأول
تحقيق الشمامع
ط٠ البصرة ١٩٧٠م

ابن قاضي تسيهية

(تقى الدين أحمد ت ٥٨١هـ / ١٤٤٨م)
الكواكب الدرية في
السيرة النورية
تحقيق محمود زايد ،
ط٠ بيروت ١٩٧١م

ابن القلانسي

(أبو بعلى حمزه ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م)
ذيل تاريخ دمشق
تحقيق اميدروز
ط٠ بيروت ١٩٠٨م
تحقيق سهيل زكار
ط٠ دمشق ١٩٨٣م

ابن ميسر

(تاج الدين محمد بن على
ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م)
مقتطفات من تاريخ مصر

R.H.C., Hist. Or., T. III

ابن ناظر الجيش

(تاج الدين عبد الرحمن
ت ق ٨هـ / ١٤م)
تثقيف التعريف بالمصطلح
الشريف
تحقيق رودلف فسلى

المعهد الفرنسي للآثار

الشرقية

القاهرة ١٩٨٧م .

ابن الوردي

(أبو حفص زين الدين عمر ت ٧٤٢/١٣٤٩م)

تتمة المختصر في أخبار البشر

ط . بيروت ١٩٧٠م .

أبو الفداء

(اسماعيل بن علي ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)

تقويم البلدان

تحقيق رينوودي سسلان

ط . باريس ١٨٤٠م .

المختصر في أخبار البشر

ط . استانبول ١٢٨٦ هـ .

ط . بيروت ١٩٦٠م .

الادريسي

(الشريف الادريسي ت ١٢هـ/١٢م)

نزهة المشتاق الى

اختراق الآفاق

تحقيق جابريلي ودبلافيلا

ط . نابولي ١٩٦٥ - ١٩٧٧م

اسماعيل بن منقذ

(مؤيد الدولة أبو المظفر ت ٥٨٤هـ/١١٨٥م)

كتاب الاعتبار ،

تحقيق فيليب حتى ،

ط . برنستون ١٩٣٠م

ط . بيروت ١٩٨١م .

بنيسامين التطيلى (ابن يونه التطيلى النبارى ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م)

الرحلة ،

ت . عزرا حـداد

ط . بغداد ١٩٤٩م .

بيبرس الدوادارى

(ركن الدين ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م)

زبدة الفكرة من تاريخ الهجرة .

تحقيق زبيدة عطا ،

رسالة دكتوراة غير منشورة

ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

عام ١٩٧٢م .

البيرونى

(أبو الريحان ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م)

الآثار الباقية عن القرون الخالية

تحقيق سخاو

ط . لبيز ١٩٢٣م .

الحنبلى

(مجبر الدين ت القرن ١٠هـ / ١٦م)

الانس الجليل فى تاريخ القدس والخليل

تحقيق محمد بحر العلوم

ط . النجف ١٣٨٧هـ ، ط . عمان

الخوارزمى

(أبو عبد الله محمد بن أحمد ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م)

مفاتيح العلوم

ط . القاهرة ١٩٨١م .

الذهبي

(الحافظ الذهبى ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م)

العبر فى خير من غبر

الجزء الرابع ، تحقيق صلاح الدين المنجد

ط . الكويت ١٩٦٣م

رايموند اجيل

تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس
ت • حسين محمد عطية
ط • الاسكندرية ١٩٩٠ م •

الزهرى

(أبو عبد الله محمد ت أواسط القرن ٦هـ / ١٢م)
كتاب الجغرافية
تحقيق محمد حاج صادق
B.E.O., T. XXI,
Année 1968

سبط بن الجوزى ((أبو المظفر يوسف ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م)
مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ،
ج (٨) ، ق (١) ،
ط • حيدر آباد الدكن ١٩٥١م

السيوطى

(أبو عبد الله محمد المنهاجى السيوطى ت ٨٨٠هـ / ١٤٨٥م)
اتحاف الاخصا بفضائل
المسجد الأقصى ،
القسم الأول ،
تحقيق أحمد رمضان أحمد
ط • القاهرة ١٩٨١ م •

الشهابى شمسى

(أبو الحسن على بن محمد ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م)
الديارات
تحقيق كوركيس عواد
ط • بغداد ١٩٨١ م •

شافعى بن على

(ناصر الدين شافعى بن على بن عباس الكاتب ت ٧٣٠هـ /
١٣٣٠ م)

حسن المناقب السرية
المنتزعة من السيرة الظاهرية ،
تحقيق عبد العزيز الخياط
ط ٠ الرياض ١٩٧٦ م ٠

شيخ الربوة الدمشقي (أبو طالب الأنصاري ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م)
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ،
تحقيق مهـرن ،
ط ٠ بطرسبرج ١٨٣٥ م ٠

العثماني
(صدر الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٧٨٠هـ / ١٣٨٥م)
تاريخ صفد
تحقيق برنارد لوبس
B.S.O.A.S., Vol. XV, 1953.

العظيمي
(محمد بن علي ت ٥٥٦هـ / ١١٦١م)
تاريخ العظيمي
Azimi Tariki
تحقيق علي سـويم
ط ٠ انقرة ١٩٨٨ م ٠

عماد الأصفهاني (محمد بن محمد ت ٥٩٨هـ / ١٢٠١م)
الفتح القسوي في الفتح القدسي ،
تحقيق محمد صبيح
ط ٠ القاهرة ١٩٦٥ م
ط ٠ القاهرة ب - ت ٠

عماد الدين الأصفهاني (القاضي عماد الدين ت ب بعد عام ٥٩٣هـ / ١١٩٦م)
البستان الجامع لجميع

تواريخ الزمان
تحقيق كلود كاهن
B.E.O., T. VII—VIII
Années 1957 1958

العمري

(شهاب الدين أحمد بن يحيى ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤٢ م)
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،
الجزء الأول
تحقيق أحمد زكي
ط . القاهرة ١٩٢٤ م .

الفتح الهندى

(الفتح بن على بن محمد ت ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م)
سنا البرق الشامى
تحقيق فتحيّة النبراوى
ط . القاهرة ١٩٧٩ م .

القزوينى

(زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م)
آثار البلاد وأخبار العباد
ط . بيروت ١٩٦٠ م .

القاسمى

(اسم العباس أحمد بن على ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)
صبيح الأعشى في صناعة الانشاء
ط . القاهرة ١٩١٣ م .

الكتاب المقدس

خاتمة العهد الجديد ، وأثدت منه في صورة كتاب العهد
الجديد ، ط . القاهرة ب . ت
تم طبعة أخرى بعنوان :
الانجيل كتاب الحياة
ترجمة تفسيرية
ط . القاهرة ١٩٨٩ م

- لسان الدين بن الخطيب (لسان الدين بن محمد ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)
الاحاطة فى اخبار غرناطة
ط ٠ القاهرة ب ست
- مجهول
الاستبصار فى عجائب الأمصار
تحقيق سعد زغلول عبد الحميد
ط ٠ الاسكندرية ١٩٥٨م
- مجهول
قصة حملة الأمير ايغور
ت ٠ خميس حرج
ط ٠ موسكو ١٩٨٩م
- المقدسى
(شمس الدين أبو عبد الله ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م)
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم
تحقيق دى جويه
ط ٠ ليدن ١٩٠٩م ، ط ٠ ١٩٦٧م
- المقرئ
(أحمد بن محمد المقرئ التلمسانى ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب
ط ٠ القاهرة ١٩٤٩م
- المقريزى
(تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م)
اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء
ج ٢ ، تحقيق محمد حلمى محمد أحمد
ط ٠ القاهرة ١٩٧١م
- ناصر خسرو
(ناصر خسرو بن حارث القباديانى ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م)
سفر نامه

ت * الخشاب

ط * القاهرة ١٩٤٥م

ت * أحمد خالد البدني

ط * الرياض ١٩٨٣م

الهروي

(أبو الحسن علي بن أبي بكر ت ٦٢١هـ / ١٢١٥م)

مقتطفات من رحلته

نشر تشارلز شيفز

A.O.L., T. I, Année 1881

اليافعي

(أبو محمد عبد الله بن أسعد ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)

مرآة الجنان وعبرة اليقظان

ج ٣ ، ط * حيدر آباد الدكن ١٣٤٨هـ

ياقوت الحموي

(شهاب الدين بن أبي عبد الله ت ٨٧٦هـ / ١٢٢٨م)

معجم البلدان

تحقيق وستنفيلد

ط * ليزج ١٨٨٩م ، ط * بيروت ب - ت

المشترك وضعه والمفترق صقعا

ط * بيروت ١٩٨٦م

اليقوي

(أحمد بن أبي يعقوب ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م)

كتاب البلدان

تحقيق دي جويه

ط * لندن ١٩٦٧م

رابعاً : المراجع العربية والمعرية

- آدم سميث
الجغرافية التاريخية للأرض المقدسة
ط بيروت ب - ت
- ابراهيم خميس (د)
العلاقات السياسية بين:جصاعة الفرسان الداوية
والمسلمين من ١١٩٣ الى ١٢٩١م/٥٨٩ - ٦٩٠هـ
- رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامع
الاسكندرية عام ١٩٨٣م
- أبو الفرج العشي
آثارنا في الاقليم السوري
ط دمشق ١٩٦٠م
- احمد الحفناوى (د)
« الصراع من أجل صيدا في العصر الوسيط »
مجلة المنهل ، م (٤٦) عام ١٩٨٣م
- احمد رمضان احمد (د)
الرحلة والرحالة المسلمون .
ط جدة ب - ت
المجتمع الاسلامى فى بلاد الشام فى عصر الحروب
الصليبية
ط القاهرة ١٩٧٧م
- « حول وسائل الصراع الاسلامى - الصليبي فى
العصور الوسطى »
مجلة المستقبل العربى ، عدد (٨) عام ١٩٨٧م
- احمد شلبي (د)
اليهودية
ط القاهرة ١٩٨٤م

أحمد عيسى (د)

البيمارستانات فى الاسلام
ط . دمشق ١٩٧٩م

أرشيبالد لويس

القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط
ت . أحمد عيسى
ط . القاهرة ١٩٦٠م

أسامه زكى زيد (د)

الصليبيون. واسماعيلية الشام فى عصر الحروب
الصليبية (القرن ١٢م / ١٦هـ)
ط . الاسكندرية ١٩٨٠م
صيدا ودورها فى الصراع الاسلامى الصليبي
ط . الاسكندرية ١٩٨١م

اسحق عبيد (د)

روما وبيزنطة ، من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتينى
لمدينة قسطنطين
ط . القاهرة ١٩٧٠م
« قصة عثور القديسة هيلانة على خشبة الصليب .
أسطورة أم حقيقة »
مجلة كلية الآداب - جامعة عين شمس م (١٧) ،
عام ١٩٧٠م
الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية
ط . القاهرة ١٩٧٥م
من الأراك الى جستنيان
دراسة فى حويلات العصور المظلمة
ط . القاهرة ١٩٧٧م
معرفة الماضى من هيرودوت الى توينبى
ط . القاهرة ١٩٨١م

أسد رستم (د)

الروم ، فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم
وصلاتهم بالعرب

ط ٠ صيدا ١٩٥٦م

كنيسة مدينة الله

أنطاكية العظمى

الجزء الثانى

ط ٠ بيروت ١٩٨٨م

اشتور

التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للشرق الأوسط ف

العصور الوسطى

ت ٠ أبو عيلة

ط ٠ دمشق ١٩٨٥م

الكس كرم

تاريخ حيفا فى عهد الأتراك العثمانيين

جامعة حيفا - المركز اليهودى العربى - معهد دراسات

الشرق الأوسط

ط ٠ حيفا ١٩٧٦م

أمين توفيق الطيبي (د)

« وقعتا حطين والارك نصران متوازيان ضد الغزا

الصلبيين فى الشرق والغرب »

مجلة البحوث التاريخية ، السنة (١٠) ، العدد (١)

يناير ١٩٨٨م

انتونى بريدج

الحروب الصليبية

ت ٠ سبانو والجيرودى

ط ٠ دمشق ١٩٨٥م

انور عبد العليم (د)

الملاحة وعلوم البحار عند العرب

سلسلة عالم المعرفة

ط ٠ الكويت ١٩٧٩م

انيس فريحة

أسماء المدن والقرى اللبنانية

ط ٠ بيزوت ١٩٥٦م

٣١٠

الياس ديب

العقود الدرية في تاريخ المملكة السورية
ط ٠ بيروت ١٨٧٤م

أومان

الامبراطورية البيزنطية
ت ٠ مصطفى طه بدر
ط ٠ القاهرة ١٩٦٠م

باركر

الحروب الصليبية
ت ٠ السيد الباز العرينى
ط ٠ القاهرة ١٩٦٠م

براور

عالم الصليبيين
ت ٠ قاسم عبده قاسم ومحمد خليفه
ط ٠ القاهرة ١٩٨١م

براون

تاريخ الأدب في ايران من الفردوسى الى السعدى
ت ٠ الشواربى
ط ٠ القاهرة ١٩٥٤م

برنارد لويس

الدعوة الاسماعيلية الجديدة
ت ٠ سهيل زكار
ط ٠ دمشق ١٩٧١م

بوريس روشنياخ

« تعميد كييف »
ضمن مجلة رسالة اليونسكو العدد التذكارى بمناسبة
مرور ألف عام على دخول المسيحية في روسيا القديمة
عدد رقم (٣٢٥) يونيو ١٩٨٨م

نرتون

اهل الذمة فى الاسلام

ت * حسن حبشى

ط * القاهرة ١٩٦٧م

توفيق الطويل (د)

من تراثنا العربى الاسلامى

سلسلة عالم المعرفة

ط * الكويت ١٩٨٥م

جب

صلاح الدين الأيوبي

دراسات فى التاريخ الاسلامى

ت * يوسف ايش

ط * بيروت ١٩٧٣م

جمعه رجب طنطيش

المياه فى فلسطين

دراسة فى الجغرافية الاقتصادية والسياسية

ط * بنغازى ١٩٨٩م

جمعه مصطفى الجندى (د)

حياة الفرنج ونظمهم فى الشام خلال القرنين الثانى عشر

والثالث عشر

دراسة تطبيقية على مملكة بيت المقدس

رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب - جامعة

عين شمس عام ١٩٨٥م

جواد على

تاريخ العرب قبل الاسلام

ط * بغداد ١٩٥٠م

جوزيف داهموس

سابع معارك فاضلة فى العصور الوسطى

ت * محمد فتحى الشاعر

ط * القاهرة ١٩٨٧م

جوزيف نسيم يوسف (د) « الدافع الشخصى فى قيام الحروب الصليبية »
مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية م (١٦)
عام ١٩٦٣م

العدوان الصليبي على مصر
ط ٠ الاسكندرية ١٩٦٧م

العرب والروم والإلاتين فى الحرب الصليبية الأولى
ط ٠ الاسكندرية ١٩٦٧م
ط ٠ بيروت ١٩٨١م

هزيمة لويس التاسع على ضفاف النيل
ط ٠ القاهرة ب - ت

الوحدة وحركات اليقظة العربية إبان العدوان الصليبي
ط ٠ بيروت ١٩٨١م

العدوان الصليبي على بلاد الشام
ط ٠ بيروت ١٩٨١م

« معركة حطين ، خلفياتها ودلالاتها »
عالم الفكر ، م (٢٠) العدد (١) أبريل - مايو - يونيو
الكويت ١٩٨٩م

حامد غنيم (د)
الجبهة الاسلامية فى عصر الحروب الصليبية
ج ٢ ، ط ٠ القاهرة ١٩٧٢م

حسن ابراهيم (د)
الدولة الفاطمية
ط ٠ القاهرة ١٩٥٨م

حسن حبشى (د)
الشرق الأوسط بين شقى الرعى
ط ٠ القاهرة ١٩٤٨م
الحرب الصليبية الأولى
ط ٠ القاهرة ١٩٤٨م

حسن عبد الوهاب (د)
تاريخ جماعة الفرسان التيوتون فى الأراضى المقدسة
(حوالى ١١٩٠ - ١٢٩١ م)

ط . الاسكندرية ١٩٨٩م
تاريخ قيسارية الشام فى العصر الاسلامى
ط . الاسكندرية ١٩٩٠م

حسين ربيع (د)

تاريخ الدولة البيزنطية
ط . القاهرة ١٩٨٧م

حسين عطيه (د)

امارة انطاكية الصليبية وعلاقاتها السياسية بالدول
الاسلامية المجاورة
رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٨١م
امارة انطاكية الصليبية والمسلمون
(١١٧١ - ١٢٦٨ م)
ط . الاسكندرية ١٩٨٩م

حسين مؤنس (د)

نور الدين محمود ، سيرة مجاهد صادق
ط . القاهرة ١٩٨٤م

ديفيد جاكسون

« معركة حطين والاستيلاء على القدس »
ضمن كتاب حطين
صلاح الدين والعمل العربى الموحد
ط . القاهرة ١٩٨٩م

راحت عبد الحميد (د)

« كنيسة بيت المقدس فى العصر البيزنطى »
المجلة التاريخية المصرية
م (٢٥) عام ١٩٧٨م
الدولة والكنيسة ، قسطنطين
ط . القاهرة ١٩٧٤م

راشد البراوى (د)

حالة مصر الاقتصادية فى العصر الفاطمى
ط ٠ القاهرة ١٩٤٨م

رايلى سميث

الاسبتارية وفرسان القديس يوحنا فى بيت المقدس
وقبرص
ت ٠ صبحى الجابى
ط ٠ دمشق ١٩٨٩م

رنسيمن

الحضارة البيزنطية
ت ٠ عبد العزيز توفيق جاويد
ط ٠ القاهرة ١٩٦١م

تاريخ الحروب الصليبية
ت ٠ السيد البازالعرينى
ط ٠ بيروت ١٩٦٧م

زابوروف

الصليبيون فى الشرق
ت ٠ الياس شاهين
ط ٠ موسكو ١٩٨٦م

زامباور

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى
ت ٠ زكى حسن وحسن محمود وآخرون
ط ٠ القاهرة ١٩٥١م

زكى حسن (د)

الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى
ط ٠ القاهرة ١٩٤٥م

زكى نقاش (د)

الحشاشون وأثرهم فى السياسة والاجتماع
رسالة دكتوراه غير منشورة

كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٥٠م
العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين الد
والافرنج خلال الحروب الصليبية
ط٠ بيروت ١٩٥٨م

سامى الدهان (د٠)
قدماء ومغاصرون
ط٠ القاهرة ١٩٦١م

سامى سعد الأحمد (د٠)
تاريخ فلسطين القديم
ط٠ بغداد ١٩٧٩م

سامية محمد أحمد (د٠)
جيل تحت حكم اللاتين وعلاقاتها السياسية بالمسد
فى الشرق الأدنى فى عصر الحروب الصليبية
رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٣م

ستيفن جوين
« دور أيرلندا فى تاريخ العصور الوسطى »
ضمن موسوعة تاريخ العالم
نشر جون همرتون
ت٠ مجموعة من الباحثين
م (٥) ، ط٠ القاهرة ب - ت

سر انختم عثمان (د٠)
مدينة صور فى القرنين ١٢ ، ١٣م
رسالة دكتوراه غير منشورة
كلية الآداب - جامعة القاهرة
عام ١٩٧١م

سعيد أحمد برباوى
الحروب الصليبية فى الشرق
ط٠ بيروت ١٩٨٤م

سعيد عبدالفتاح عاشور (د) الحركة الصليبية صفحة مشرفة في تاريخ الجهاد
العربي

ط ٠ القاهرة ١٩٦٣م

أضواء جديدة على الحروب الصليبية

ط ٠ القاهرة ١٩٦٤م

العصر المماليكي. في مصر والشام

ط ٠ القاهرة ١٩٦٥م

د. محمد ن. عبد الله اليشاوي (د) نابلس ودورها في الصراع الاسلامي - الصليبي
رسالة ماجستير غير منشورة

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٤م

الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية

(١٠٩٩ - ١٢٩١م)

ط ٠ الاسكندرية ١٩٩٠م

سليمان مظهر

« قلعة شقيف أرنون »
مجلة المجمع العلمي بدمشق
عدد عام ١٩٤١م

سميل

الحروب الصليبية
ت ٠ سامي هاشم
ط ٠ بيروت ١٩٨٢م

سهيل زكار (د)

المدخل الى تاريخ الحروب الصليبية
ط ٠ دمشق ١٩٨١م

سييل

أخبار أمم الجوس من الأيمن وورنك والروس
نصوص عربية قام بجمعها الكسندر سييل
ط ٠ أوسلو ١٩٢٨م

سيد الحريرى

الأخبار السنوية فى الحروب الصليبية

ط ٠ القاهرة ١٩١١م

السيد عبدالعزيز سالم (د)

طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى

ط ٠ الاسكندرية ١٩٦٣م

دراسة فى تاريخ مدينة صيدا فى العصر الاسلامى

ط ٠ بيروت ١٩٧٠م

السيد العزاوى (د)

فرقة النزارية ، تعاليمها ورجالها على ضوء المراسم

الفارسية

ط ٠ القاهرة ١٩٧٠م

سيد فرج

« القدس عربية اسلامية »

الدارة ، السنة (٨) ، العدد (٢) ، يناير ١٩٨٤م

شارل جنيير

المسيحية نشأتها وتطورها

ت ٠ عبد الحليم محمود

ط ٠ القاهرة ١٩٨٥م

شاكر ابو بدر (د)

الحروب الصليبية والأسرة الزنكية

ط ٠ بيروت ب - ت

شاكر خضيباك (د)

« معطيات الفكر الجغرافى العربى القديم فى بلاد

شرق أوروبا »

مجلة أوراق

المعهد الأسباني العربى للثقافة

العدد (٤) ، عام ١٩٨١م

شاكر مصطفى (د) « طفتكين رأس الأسرة البورية »
مجلة كلية الآداب - جامعة الكويت ، العدد الأول
عام ١٩٧٤م
« دخول الترك الغز الى الشام »
المؤتمر الأول لتاريخ بلاد الشام
ط٠ عمان ١٩٧٧م

شوقي خفيف (د) الرحلات
ط٠ القاهرة ١٩٥١م

صابر دياب (د) سياسة الدول الاسلامية في حوض البحر المتوسط
ط٠ القاهرة ١٩٧١م

صباح محمود محمد (د) « التدين في التراث العربي »
ضمن دراسات في التراث الجغرافي
ط٠ بغداد ١٩٨١م

صلاح الدين المنجد (د) المشرق في نظر المغاربة
ط٠ القاهرة ١٩٦٠م

طه ثلجي الطراونه (د) تاريخ مملكة صفد في عهد المماليك
ط٠ بيروت ١٩٨٢م

عارف تامر سنان وصلاح الدين
ط٠ بيروت ١٩٥٦م

عبدالحافظ عبد الخالق يوسف الأسواق في المناطق الصليبية في بلاد الشام في الفترة
من ١٠٩٩ إلى ١٢٩١م

رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب - جامعة الزقازيق عام ١٩٨٩م

عبد الحفيظ محمد علي (د)
الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين في
الأدنى في القرنين ١٢ ، ١٣ م
رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م
مشكلات الوراثة في مملكة بيت المقدس وأثرها
الحركة الصليبية
ط٠ القاهرة ١٩٨٤م

عبد الحميد زايد (د)
القدس الخالدة
ط٠ القاهرة ١٩٧٤م

عبد الرحمن زكي (د)
« العمارة العسكرية في العصور الوسطى »
المجلة التاريخية المصرية
م (٧) ، عام ١٩٥٨م
الجيش المصري في العصر الإسلامي
ط٠ القاهرة ١٩٦٨م
« القلاع في الحروب الصليبية »
المجلة التاريخية المصرية
م (١٥) ، عام ١٩٦٩م

عبد الرحمن زكي ومحمود عيسى الحداد
الحدود بين الشرق والغرب في العصور الوسطى
ط٠ القاهرة ١٩٤٧م

عبد الفتاح وهيب (د)
جغرافية العرب في العصور الوسطى
ط٠ القاهرة ١٩٦٠م

عبد القادر اليوسف (د)
الامبراطورية البيزنطية
ط٠ بيروت ١٩٦٦م

علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادى عشر
والخامس عشر
ط٠ بيروت ١٩٦٩م

عبد القدوس الانصارى
مع ابن جبير فى رحلته
ط٠ القاهرة ١٩٧٦م

عبدالكريم حاتملى (د)
« صلاح الدين الأيوبى وموقفه من القوى المناوئة فى
بلاد الشام »
الدارة ، السنة (١٢) ، العدد (٢)
سبتمبر ١٩٨٦م

عبدالعزىز عبدالدايم (د)
امارة طرابلس الصليبية فى القرن الثانى عشر م
رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧١م

عبد العظيم رمضان (د)
الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الاسلام الى انتهاء
الحروب الصليبية
ط٠ القاهرة ١٩٨٣م

عبد الغنى رمضان (د)
« شرف الدين مودود »
مجلة كلية الآداب - جامعة الرياض
م (٤) ، السنة (٤) عام ١٩٧٦ - ١٩٧٧م

عبدالغنى عبدالعاطى (د)
السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية فى عهد
الكسيوس كومنين
ط٠ القاهرة ١٩٨٣م

عبداللطيف عبدالهادى السيد
السياسة الخارجية لملكة بيت المقدس فى عهد بلدوين
الثالث (١١٤٣ - ١١٦٣م)
رسالة ماجستير غير منشورة

كلية الآداب - جامعة عين شمس
عام ١٩٩٠م

عبد الله عثان

« قلاع الصليبيين والمسلمين في سوريا ولبنان »
الهلal ، السنة (٤٢) ، م (٥) عام ١٩٣٣م

عبد المنعم ماجد (د)

الحاكم بأمر الله الخليفة المقتدى عليه
ط٠ القاهرة ١٩٥٩م
العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى
ط٠ بيروت ١٩٦٦م
العصر العباسي الأول ، أو القرن الذهبي في تاريخ
الخلفاء العباسيين
ط٠ القاهرة ١٩٧٣م
ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر
التاريخ السياسي
ط٠ القاهرة ١٩٨٥م

عبد الواحد ذنون طه (د)

الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا
والأندلس
ط٠ بغداد ١٩٨٢م

عبد الهادي شعيرة (د)

« الرماة ورباطاتها السبعة »
المجلة التاريخية المصرية
م (١٥) عام ١٩٦٠م

عثمان عسري (د)

الاسماعيليون في بلاد الشام في القرنين ١٢ ، ١٣
رسالة دكتوراه غير منشورة
كلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧٥م

العروسي المطوي

الحروب الصليبية في الشرق والغرب
ط٠ بيروت ١٩٨٢م

- عزیز سوریاال عطية (د) العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى
تجارية ، ثقافية ، صليبية
ت • فيليب صابر
ط • القاهرة ١٩٧٢م
- عصام عبد الرءوف (د) بلاد الجزيرة فى أواخر العصر العباسى
ط • القاهرة ب - ت
- عطية القوصى (د) « صلاح الدين واليهود »
المجلة التاريخية المصرية
م (٢٤) ، عام ١٩٧٧م
- عفاف صبرة (د) دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية
ط • القاهرة ١٩٨٥م
« الأمير مودود التونتكين »
الدارة ، السنة (١٢) ، العدد (٢)
عام ١٩٨٦م
- على حسنى الخربوطلى (د) الاسلام وأهل الذمة
ط • القاهرة ١٩٦٩م
- على السيد على (د) المجتمع المسيحى فى بلاد الشام فى عصر الحروب
الصليبية
رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب - جامعة القاهرة
عام ١٩٧٩م
القدس فى العصر المملوكى
ط • القاهرة ١٩٨٩م
« ملامح الجانب العربى الإسلامى فى المواجهة ضد
الغزو الصليبي »

المستقبل العربى
عدد (٨) عام ١٩٨٧م

على عيد الواحد وفى (د) الأسفار المقدسة
ط٠ القاهرة ١٩٨٤م

على عيد السميع الجنزورى (د) اماره الرها الصليبية
ط٠ القاهرة ١٩٨٦م
العلاقات البيزنطية الروسية فى عهد الأسرة المقدو
٨٦٧ - ١٠٥٦م
ط٠ القاهرة ١٩٨٩م

نور الدين محمود وتجربته الاسلاميه
ط٠ دمشق ١٩٨٧م

عمر كمال توفيق (د) مملكة بيت المقدس الصليبية
ط٠ الاسكندرية ١٩٥٨م
مقدمات العدوان الصليبي
الامبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية
ط٠ الاسكندرية ١٩٦٦م
تاريخ الامبراطورية البيزنطية
ط٠ الاسكندرية ١٩٦٧م

فايز نجيب اسكندر (د) مسرح فى كنايات الحجاج الروس فى القرنين الرابع
والخامس عشر
ط٠ الاسكندرية ١٩٨٨م

فتحى عبد العزيز عبد الله دور الكنيسة فى مملكة بيت المقدس اللاتينية حتى
١١٨٧م

رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب - جامعة الزقازيق
عام ١٩٨٨م

فقيهه الخبراوى (د)

« حياه الامبراطور الكسويوس كومنين كمصدر من
مصادر تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى القرن
١٢م »

المجلة التاريخية المصرية
م (٢٧) عام ١٩٨١م

فيليب حتى

تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين
ج ٢ ، ت ٠ اليازجى
ط ٠ بيروت ١٩٥٩م

قاسم عبده قاسم (د)

اهل الذمة فى مصر العصور الوسطى
دراسة وثائقية

ط ٠ القاهرة ١٩٧٩م

دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ، عصر سلاطين
المماليك

ط ٠ القاهرة ١٩٧٩م

« الاضطهادات الصليبية ليهود ماوريا من خلال حولية
يهودية ، الظاهرة ومغزاها »

ندوة التاريخ الاسلامى والوسيط

م (١) عام ١٩٨٢م

الخلفية الايديولوجية للحروب الصليبية

ط ٠ القاهرة ١٩٨٣م

الحروب الصليبية

نصوص ووثائق قام بجمعها وترجمتها

ط ٠ القاهرة ١٩٨٥م

« الحروب الصليبية فى الف ليلة وليلة »

ضمن كتاب بين الادب والتاريخ

ط. القاهرة ١٩٨٥م
« الحروب الصليبية فى الأدبيات العربية والأور
واليهودية »
المستقبل العربى
م (٨) ، عام ١٩٨٧م
اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثم
ط. القاهرة ١٩٨٧م
ماهية الحروب الصليبية
سلسلة عالم المعرفة
الكويت ١٩٩٠م

كامل حسين (د)
الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب
ط. القاهرة ب - ت
« فى الطب والأقربازين »
ضمن كتاب أثر العرب والإسلام على الحضارة الأور
ط. القاهرة ١٩٧٠م

كامل السامرائى (د)
مختصر تاريخ الطب العربى
ج ١ ، ط. بغداد ١٩٨٥م

كامل العسلى (د)
تراث فلسطين
فى كتابات عبد الله مخلص
ط. عمان ١٩٨٧م

كراتشكوفسكى
تاريخ الأدب الجغرافى العربى
ت. صلاح الدين عثمان
ط. القاهرة ١٩٦٣م

كرد على

خطط الشام

ط. دمشق ١٩٢٥م

غوطة دمشق

ط. دمشق ١٩٥٢م

كريستوفر دوسون

نكوين أوربا

ت. سعيد عاشور ومصطفى زيادة

ط. القاهرة ١٩٦٧م

كشاف البلدان الفلسطينية

ط. القاهرة ١٩٧٣م

كمال بن مارس

العلاقة بين الموصل وحلب وأثرها على الحرب
الصليبية

رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب — جامعة عين شمس
عام ١٩٩١م

ليلى طرشوبى (د.)

اقليم الجليل فترة الحروب الصليبية
رسالة دكتوراه غير منشورة
كلية الآداب — جامعة القاهرة
عام ١٩٨٧م

ليلى عبد الجواد (د.)

تاريخ الروس من خلال المصادر العربية
ط. القاهرة ١٩٩٠م

لين بول

تاريخ الدول الإسلامية
ج ٢ ، ت. أحمد السعيد سليمان
ط. القاهرة ١٩٧١م

هؤنس أحمد عوض (د.)

التنظيمات الدينية الإسلامية والمسيحية في بلاد الشام
في عصر الحروب الصليبية

رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب — جامعة عين شمس
عام ١٩٨٤م

« بيليوغرافيا الحروب الصليبية — المراجع العربي
والمعربة »

ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط م (٣)
عام ١٩٨٥م

سياسة نور الدين محمود الخارجية
رسالة دكتوراه غير منشورة
كلية الآداب — جامعة عين شمس
عام ١٩٨٨م

الزلازل في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية
وآثارها

دراسة تطبيقية على النصف الثاني من القرن ١٦هـ
١٢م قيد الطبع
قيد الطبع

« الصراع السني — الشيعي في بلاد الشام في القرن
السادس هـ/الثاني عشر م خلال رحلة ابن جبير »
ندوة العرب وآسيا ، جامعة القاهرة
أبريل ١٩٨٩م

تاريخ الطب العربي وبكافة عبد اللطيف البغدادي في
بحث مقدم لؤتمر تاريخ العلوم عند العرب
سوريا ، الرقة سبتمبر ١٩٩١م
« الأسواق التجارية في عهد الدولة الفورية »
الدارة ، السنة (١٦) ، العدد (٣)
عام ١٤١١هـ

ماهر حمادة (د.)

وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي
ط. القاهرة ١٩٧٩م

متى المسكين (الاب)

الرهينة القبطية في عصر القديس أنبا مقار
ط. القاهرة ١٩٧٢م

محسن العابد

« الاناجيل بين الأسطوره والتحرر »
مجلة المرجع ، العدد (٤)
عام ١٩٨٥م

محسن محمد حسين (د.)

« مسئولية صلاح الدين الأيوبي عن فشل حصار
صور »

المجلة العربية للعلوم الإنسانية
م ١١ (٢) ، العدد (٢٦).
الكويت ١٩٨٧م

محمد جمال الدين سرور (د.)

دولة الظاهر بيبرس في مصر
ط. القاهرة ١٩٦٠م
الحضارة الإسلامية في الشرق
ط. القاهرة ١٩٦٢م
سياسة الفاطميين الخارجية
ط. القاهرة ١٩٦٧م

محمد حلمي محمد حمد (د.)

مصر والسلام والصليبيون
ط. القاهرة ١٩٧٩م

محمد فتحي الشاعر (د.)

أحوال المسلمين في مملكة بيت المقدس الصليبية
ط. القاهرة ١٩٨٩م

- محمد على المغربي (د) • الهزات الزلزالية
ط • القاهرة ١٩٥٨م
- محمد محمد الشيخ (د) • الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها
ط • الاسكندرية ١٩٧٢م
- الامارات العربية في بلاد الشام في القـ
الحادي عشر والثاني عشر
ط • الاسكندرية ١٩٨٠م
- محمد محمد فياض • التقاويم
ط • القاهرة ١٩٥٨م
- محمد محمود مهديين (د) • « الزلازل والبراكين في جزيرة العرب وتراثهم »
الدارة ، السنة (١٤) ، العدد (١)
الرياض ١٩٨٨م
- محمود الحويرى (د) • الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرن
الثاني عشر والثالث عشر
ط • القاهرة ١٩٧٩م
- محمود رزق محمود (د) • العلاقة بين ارناط أمير حصن الكرك وصلاح الد
الأيوبى حتى معركة حطين ١١٨٧م
رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب - جامعة عين شمس
عام ١٩٧٣م
- محمود سعيد عمران (د) • الحملة الصليبية الخامسة
ط • الاسكندرية ١٩٧٨م
- السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية في عهد
الامبراطور مانويل الأول

ط ٠ الاسكندرية ١٩٨٥م
« اركولف ورحلته الى الشرق »
ندوة التاريخ الاسلامى والوسيط
م (٣) ، علم ١٩٨٥م

مزمّل حسنين
نيابات الشام فى عهد دولة المماليك البحرية
رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب - جامعة القاهرة
عام ١٩٥٣م

مصطفى أنور (د) « نصوص تاريخية لمؤرخين دمشقيين عن زلازل القرن
الثانى عشر »

B.F.O., T. XXVII, Année 1974

مصطفى الحيارى (د) « حصن بيت الأحزان ، جانب من العلاقات بين
المسلمين والفرنجة الصليبيين »
مجلة دراسات
م (١٣) ، العدد (٤)
عمان عام ١٩٨٦م

مصطفى الدباغ
بلادنا فلسطين
عدة اجزاء
ط ٠ بيروت ١٩٧٤ - ١٩٨٦م

مصطفى زيادة (د) حملة لويس التاسع وهزيمته فى المنصورة
ط ٠ القاهرة ١٩٦١م

مصطفى الكفانى (د) العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى
ج ٢ ، ط ٠ الاسكندرية

مكسيموس مونتروند

تاريخ الحرب المقدسة المدعوة بحرب الصليب
ت . ك مكسيموس مظلوم
ط . اورشليم ١٨٦٥م

« اسكنسدرونة »

دائرة المعارف الاسلامية ، م (٣)
ت . ابراهيم خورشيد وآخرون
ط . القاهرة ب - ت

مونتجومرى وات

فضل الاسلام على الحضارة الغربية
ت . حسين احمد أمين
ط . القاهرة ١٩٨٣م

ميخائيل عواد

صور مشرفة من حضارة بغداد فى العصر العباسى
ط . بغداد ١٩٨٦م

نبيلة مقامى (د)

سرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام فى القرنين ١٢،
١٣ م

رسالة ماجستير غير منشورة
كلية الآداب - جامعة القاهرة
عام ١٩٧٤م

نظير حسان سعداوى (د)

التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين
ط . القاهرة ١٩٥٧م

نفيس احمد

جهود المسلمين فى الجغرافيا
ت . فتحى عثمان
ط . القاهرة ١٩٦٠م

نقولا زيادة (د.)

« سوريا زمن الصليبيين »

المقتطف ، يونيو ١٩٣٥م

صور من التاريخ العربى

ط٠ القاهرة ١٩٤٦م

رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى

ط٠ القاهرة ١٩٤٨م

دمشق فى عصر المماليك

ط٠ بيروت ١٩٦٦م

« الطرق التجارية فى العصور الوسطى »

مجلة تاريخ العرب والعالم ، السنة (١٥)

العددان (٥٩) ، (٦٠) عام ١٩٨٣م

وسام عبدالعزيز فرج (د.)

دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية

(٣٢٤ - ١٠٢٥ م)

الجزء الاول

ط٠ الاسكندرية ١٩٨٢م

« الامبراطور باسل الثانى سفاح البلغار ، العوامل

التي اثرت على السياسة فى عصره »

ندوة التاريخ الاسلامى والوسيط

م (١) عام ١٩٨٥م

« الدولة والتجارة فى العصر البيزنطى الاوسط ،

حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت

الحولية (٩) ، الرسالة (٥٣)

عام ١٩٨٨م

ول ديورانت

قصة الحضارة ، عصر الايمان

ج١٤ ، ت٠ محمد بدران

ط٠ القاهرة ١٩٧٥م

وفاء محمد على (د.)

الدولة البورية ودورها فى عصر الحروب الصليبية

ط٠ القاهرة ١٩٨٤م

هايد

تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى

ج ١ ت ٠ محمد رضا

ط ٠ القاهرة ١٩٨٥م

ج ٢ ، ت ٠ احمد رضا محمد رضا

ط ٠ القاهرة ١٩٩٠م

هسي

العالم البيزنطى

ت ٠ رافت عبد الحميد

ط ٠ القاهرة ١٩٧٤م - ١٩٨٤م

هنرى الامنيس

« بلاد سوريا فى القرن الثانى عشر وفقا لرحلة ابن

جهين »

المشرق ، السنة (١٠) ، العدد (٧) عام ١٩٠٧م

« الحياة فى بيروت فى عهد الصليبيين »

المشرق ، السنة (٣١) ، العدد (١)

ط ٠ بيروت ١٩٣٣م

يوسف الدبس

تاريخ سوريا

ط ٠ بيروت ١٩٠٠م

يوسف سماره

جولة فى الاقليم الشمالى

ط ٠ القاهرة ١٩٦٠م

يوسف نضو

تاريخ الموارنة

ج ٢ ، ط ٠ بيروت ١٩٧٧م

يوغوليوبسكى

« رحلة السائح الروسى دانيال الى الاراضى المقدسة

فى اول عهد الصليبيين »

المشرق ، السنة (٢٤) العدد (٩) ، ابريل ١٩٢٦م

خامسا : المراجع الأجنبية

- Abel (F.M.), «Les deux Mohomerie, El Birah, El qoubeibeh», R.B., T. XXXV, Année 1926.
- Adler (E.N.), Jewish Travellers, London 1930.
- Alptekin (C.), Dimask A Tabegligi (Tog-Teginliler), Istanbul 1985.
- Asher (A.), The Itinerary of Rabbi Benjamin of Tudela, Vol. I, London 1840.
- Atiya (A.), The Crusades, Historiography and Bibliography, London 1962.
- Attwater (D.), The Benguin Dictionary of Saints, London 1975.
- Baldwin (M.), The Latin States under Baldwin III and Amalric I» in Setton, A History of The Crusades, Vol. I, Pennsylvania 1958.
- Barker (E.), The Crusades, London 1949
- Beazley (C.R.), The Dawn of modern geography, A History of expedition and geographical science from the close of the ninth to the middle of the thirteenth century, Vol. II, London 1901.
- Beazley (R.), Forber (N.), and Birkett (G.A.), Russia from the varengians to the Bolsheviks, Oxford 1918.
- Beyer (G.), «Neapolis (Nablus) und Sein Gebiet inder Kreuzfahrerzeit», Z.D.P.V., T. LXII, 1940.
- Blank (S.), Jeremiah, man and prophet, New York 1961.
- Boak (A.), A History of Rome to 565 A.D., New York 1964.
- Brehier (L.), Vie et mort de Pyzance, Paris 1976.
- Brown (K.G.), A Literary History of Persia, Vol. I, London 1909.
- Browning (R.), The Pyzantine Empire, New York 1980.

- Brundage (J.), «The Holy War and the medieval lawyers», in The Holy War. ed. by Thomas Patrick Murphy, Ohio University 1974.
- Budge (W.), George of Lydda, A Study of the cults of St. George in Ethiopia, London 1930.
- Cahen (C.), La Syrie du nord à l'époque des croisades, Paris 1940.
- Bulkin (V.), Novgorod, Trans. by Yuri Pamfilov, Leningrad 1984.
- Cambridge Bible Commentary on the new English Bible, Jermiah, Ch. 1- 25, commentary by Nicholson, Cambridge 1973.
- Chalandon (F.), Jean II Comnène et Manuel Comnène, Paris 1912.
- Citarello, «The Relation of Amalfi with the Arab world before the crusades», Speculum, Vol. XLII.
- Cole (J.P.) and German (F.C.), A Geography of the U.S.S.R., London 1961.
- Conder (G.R), The Latin Kingdom of Jerusalem, London 1897.
- Christiansen (E.), The Northern Crusades, The Baltic and the Catholic Frontier, Minnesota 1986.
- Claude (R.), Conder, Lieut (R.E.), «Medieval Topography of Palestine», P.E.F., 1875.
- Cross (F.L.), The Oxford dictionary of Christian church, London 1958.
- Cowdrey, «The Genesis of the crusades, The springs of western Ideas of holy war», in the Holy war. ed. by Thomas Patrick Murphy, Ohio University 1974.
- Deanesly (M.), History of medieval church, London 1975.
- Delaville Le Roulx, «Trois chartres de XII siècle concernant l'Ordre de St. Jean de Jerusalem, A.O.L., T. I, Année 1893.
- «Inventaire de pieces terre sainte de l'ordre de l'hospitale, R.O.L., T. II, Année 1895.

Deschamps (R.), Les chateaux des croisés en terre sainte, II, La défense du royaume de Jerusalem. Paris 1939.

Diehl (Ch.), A History of the Byzantine Empire, Princeton 1925.

Dimond (M.), The Indestructible Jews, New York 1973.

Dawney, A History of Antioch in Syria from Seleucus to the Arab conquest, Princeton 1961.

Drake, «Mr. Tyrwitt Drake's Reports», P.E.F., London 1874.

Dussaud (R.), Topographie de la Syrie Antique et Medievale, Paris 1927.

Eberh (N.), «Der Teich Betsaida beim Pilger Von Borseaux», Z.D.P.V., T. XXIX—XXX, 1906—1907.

Eggemberger, Dictionary of battles, London 1975.

Elsten, The Traveller's Handbook for Palestine and Syria, London 1929.

Epstein (I.), Judaism, A Pelican Original, London 1974.

Favier, «Les Templiers ou l'échec des banquiers de la croisade». L'Histoire, T. XLVII, Année 1982.

Fedden (R.), Crusader Castles, Beirut 1957.

Fennell, Ivan the Great of Moscow, London 1961.

Fink (H.S.), «Maudud of Mosul precursor of Saladin», M.W., Vol. XTIII, 1953.

Flouinsky (M.), Russia, A short history, New York 1964.

Franzius, History of the Byzantine Empire, New York 1970.

Fuller, Decisive Battles of Western Europe and their influences upon history, London 1954.

Gabrieleli (F.), Arab Historians of the Crusades, Trans. by Costello, London 1969.

Lehmann, Voyages and Travels in Greece, The near East and adjacent regions made previous to the year 1801, Princeton 1953.

Leib (H.), The Damascus chronicle of the crusades, London 1940.

«The Career of Nur Al-Din», in Setton, A History of the crusades, Vol. I, Pennsylvania 1958.

Leiman (A.), The Saracens, from the earliest times to the fall of Bagdad, London 1897.

Leitein (S.D.), «Contemporary letter on the capture of Jerusalem by the crusaders», J.J.S., Vol. X, 1952.

«Geniza sources for the crusader period, Survey», in Outremer Studies in the History of the crusading Kingdom of Jerusalem, Jerusalem 1982.

Leit, (A.), Historical introduction to the new testament, New York 1952.

, The History of Ancient Israel, New York 1984.

Leisner (R.), Histoire des Croisades, T. I, Paris 1934.

Leisner (H.), Ekkehard Hiersolymita, Tübingen 1876.

, «Études sur la chronique de zimmern», A.O.L., T. II, Année 1884.

, «Chronologie de la première croisade», R.O.L., T. VII, Année 1899.

, «Chronologie de l'Histoire de royaume de Jerusalem, règne de Boudouin I (1101-1118), R.O.L., T. II, Année 1909-1911.

Leitave (S.), Russia, A History London 1954.

Leitings, Dictionary of the Bible, New York 1952.

Leiti (P.), Lebanon in History, New York 1967.

Leitson (M.), The Order of Assassins, London 1955.

- Hume (E.E.), Medical work of the knights hospitallers of Saint John of Jerusalem, Baltimore 1940.
- Hussey (G.), «The Later Macedonians, The Comneni and Angeli», C.M.H., Vol. V, Cambridge 1979.
- Joranson (F.), «The Great German Pilgrimage of 1064—65», in the crusades and other historical essays, presented to D.C. Munro, New York 1928.
- Jipejian (N.), Byblos through Ages, Beirut 1968.
- Kimble, Geography in the Middle Ages, London 1938.
- King (C.), «The taking of le Krak des chevaliers in 1271», Antiquity, Vol. XXIII. No 89, March 1949.
- King (E.J.), The Knights Hospitallers in the holy land, London 1930.
 , The Knights of St. John in the British Kingdom, London 1948.
- Kitchener (H.H.), «Survey of Galilee», P.E.F., London 1878.
- Krueger, «The Italian cities and the Arabs before 1095», in Setton, A History of the crusades, Vol. I, Pennsylvania 1958
- Kochan (L.), The Making of modern Russia, London 1962.
- Kohler (Ch.), Chartres de l'Abbaye de notre Dame de la Vallée de Josaphat en Terre Sainte (1108--1291), R.O.L., T. VII.
- La Monte (J.), «To what extent was The Pyzantine Empire Suzerian of The Latin Crusading States», Pyzantion, Vol. VII, 1932.
 , Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, Cambridge 1932.
- Lane-Poole (S.), Saladin and the fall of the Latin Kingdom of Jerusalem, London 1898.

- , A History of Egypt in the Middle Ages, London 1901.
- Latourette, A History of Christianity, New York 1953.
- Le Strange (G.), Palestine under Islam, London 1890.
- Lewis (B.), The Ismailites and the Assassins», in Setton, A History of the
crusades, Vol. I, Pennsylvania 1958
- Little (W.), Coulson (F.), The shorter Oxford English dictionary on historical
principles, Vol. II, Oxford 1950.
- Loyn and Percival, The Reign of Charlemagne, documents on Carolingian
government and administration, London 1975.
- Mas Latrie (D.), «Les Patriarches Latins de Jerusalem», R.O.I., T. I, Paris
1893.
- Mayor (H.), Bibliographie Zur Geschichte der Kriuzzuge, Hannover 1965.
- , The Crusades , Trans. by Gillingham, Oxford 1978.
- Meisner and Halm, Wurzburg, Wurzburg 1975.
- Meistormann (B.), Guide to Holy Land, London 1923.
- Meyendorff and Paynes, «The Byzantine inheritance in Russia», in paynes
and Moss, Byzantium an Introduction to east Roman civiliza-
tion, Oxford 1952.
- Miller, «The Knights of St. John and The Hospitallers of The Latin West»,
Speculum, Vol. LIII, 1978.
- Mommert (C.), «Das Jerusalem des Pilgers Von Bordeaux», Z.D.P.V.. XXIX,
1906.
- Morfill (W.R.), The Story of Russia, London 1904.
- , Russia, London 1907.

- Munro (D.C.), «The Speech of Pope Urban II at Clermont», A.H.R., Vol. II, 1909.
- Neumann, «La Descriptio Terrae Sancte de Berardo d'Ascoli», A.O.L., T. I, Paris 1881.
- Northop (L.E.). The Knights Templars in The Holy Land (1118---1187), M.A. Thesis, University of California 1943.
- Oldenbourg (Z.), Les Croisades, Paris 1975.
- Oman (Ch.), A History of The art of war in The middle ages, Vol. I, London 1924.
- Ostrogorsky (G.), A History of The Pyzantine State, Trans. by Hussey, Oxford 1934.
- Pares (B.), A History of Russia, London 1962.
- Parkes (J.), A History of Palestine from 135 A.D. To modern Times, London 1949.
- Patleyean, «Les Juifs, Les infidels de l'Europe», L'Histoire, T. LXVII, Année 1982.
- Pax (W.), Sur les chemis des Jesus, Tell Aviv 1970.
- , with Jesus in The Holy Land, Tell Aviv 1979.
- Pernoud, The Crusades, Trans. by McLead. London 1962.
- Peters (E.), Jerusalem, The Holy City in The eyes of chroniclers, Visitors, Pilgrims and Prophets from the days of Abraham to the beginning of modern times, Princeton 1985.
- , The First Crusade, The chronicles of Fulcher of Chartres and other source materials, Philadelphia 1971.
- Pirenne (H.), Mohammed and Charlemagne, London 1954.
- Prawer (J.). «The Settlement of The Latins in Jerusalem», Speculum, Vol. XXVII, London 1952.

- , 'The Latin Kingdom of Jerusalem, European Colonisation in The middle ages, London 1973.
- , «Social Classes in The Crusader States, The Minorities», in Setton, A History of The Crusades, Vol. V, New Jersey 1983.
- , «West Confronts East in The Middle Ages», B.I.A.C.C., Vol. XII, 1989.
- Press (T.), Palestine und Sud Syrien Reischandbuch, Berlin 1921.
- Rey (E.), «Les Seigneurs de Giblest», R.O.L., T. III, Année 1895.
- , «Resume chronologique de l'Histoire des princes d'Antioche», R.O.L., T. IV, Année 1896.
- Richard (J.), Le Comte de Tripolis sous la dynastie Toulousaine (1102--1187), Paris 1945.
- , «La bataille de Hattin, Saladin defeat l'Occident», L'Histoire, T. XLVII, Année 1987.
- , «An Account of the battle of Hattin referring to The Frankish mercenaries oriental muslim states», Speculum XXX.
- Rihaoui (A.), Le Crac des Chevaliers, Guide Touristique et Archaeologique, Damas 1975.
- Riley-Smith (J.), A History of The Order of The Hospital of St. John of Jerusalem, London 1967.
- , The Feudal Nobility in The Latin Kingdom of Jerusalem, London 1973.
- Roth (C.), Ashort History of The Jewish People, London 1953.
- Ruhricht (R.), Chronologisches Verzeichniss der Auf die geographie des Heiligen Landes, Bezuglichen Literature Von 333 Bis 1878, Berlin 1890.
- , Regesta Regni Hierosolymitani, Oeniponti 1893.
- , Geschichte des Konigreichs Jerusalem (1100--1291), Innsbruck 1898.
- Runciman (S.), «The Pilgrimages to Palestine before 1099», in Setton, A History of The Crusades, Vol. I, Pennsylvania 1969.
- , A History of The Crusades, London 1978.

Russell (J.C.), «The Population of The Crusader States», in Setton, A History of The Crusades, Vol. V, Madison 1985.

Rybarov, Early centuries of Russian History, Moscow 1965.

Salibi (K.), «The Maronites of Lebanon under The Frankish rule», R.F.A., T. IV, Année 1957.

Schlumberger (G.), Renauld de Chatillon, Paris 1933.

Schlumberger (G.), Chalandon (F.), Blanchet (A.), Sigillographie de l'Orient Latin, Paris 1943.

Sharaf (T.), A Short History of geographical discovery, Alexandria 1963.

Smail (R.C.), The Crusaders in Syria and The Holy Land, London 1974.

Smith (C.T.), An Historical geography of Western Europe before 1800, London 1969.

Smith (G.A.), Jeremiah, London 1924.

Smith (W.) and Chretham (S.), A Dictionary of Christian Antiquities, Vol. II, London 1880.

Stevenson (W.B.), The Crusaders in The east, Beirut 1968.

Thatcher (O.J.), Source Book of Medieval History, London 1903.

Thompson (J.W.), Economic and Social History of The middle ages, Vol I, London 1959.

Tobler (T.), Bibliographica Geographica Palestinae, Leipzig 1867.

Tout (T.), The Empire and The papacy, London 1971.

Tsugitako (S.), The Syrian coastal town of Jabala, its history and presents situation, Tokyo 1989.

Unger. Unger's Bible Dictionary, Chicago 1964.

Vasiliev (A.), History of The Byzantine Empire, Madison 1957.

Zatkiotis (P.T.), «Al-Hakim Bi-Amrillla, The God King idea realised»,
I.C., Vol. XXIX, No. I, January 1955.

Vyronis (S.), «Travelers as a source for the societies of the middle east 900—
1600», in charanis studies, Essays in Honour of Peter Charanis,
ed. A.E. Liaiu Thomadokis, New Jersey 1980.

Whitting, Monnaies Byzantines, Paris 1975.

Wilkinson (J.), Jerusalem Pilgrims before The Crusades, London 1977.

Woodings (A.), The Medical resources and practice of The Crusader States in
Syria and Palestine (1096 - 1193), M.H., Vol. XV, July 1971.

Wren (M.), The Course of Russian History, New York 1958.

Wright (J.), The Geographical Lore of the time of the Crusades, A study in
the History of medieval science and tradition in Western Europe,
New York 1965.

Wright (W.), Early Travels in Palestine, London 1848.

Zeller, «Kefr Kenna», P.E.F., Vol. I, London 1869

خامسا - الموسوعات :

Academic American Encyclopedia, New Jersey 1981.

Chamber's Encyclopedia, London 1973.

Dictionnaire Encyclopedique quillet, Paris 1970.

Encyclopedia Americana, U.S.A., 1970, 1985.

Encyclopedia Britannica, U.S.A., Several editions.

Encyclopedia Judeca, Jerusalem 1973.

Encyclopedia of Islam, London.

Larousse du XXe Siècle, T.V., Paris 1932.

Lexican Universal Encyclopedia, New York 1980.

The Jewish Encyclopedia, Vol. IX, London.

Universal Jewish Encyclopedia, New York 1969.

الفهرست

**الرحالة الأوروبيون
في مملكة بيت المقدس الصليبية
(١٠٩٩ - ١١٨٧ م)**

الصفحة -	الموضوع
٥	الاهـداء
٩	المقدمة
	المدخل :
١٥	الرحلة الأوروبية الى فلسطين حتى اخريات القرن الحادى عشر م
	الفصل الأول :
٤١	سا يولف (١١٠٢ - ١١٠٣ م) (١)
	الفصل الثانى :
٧١	دانيال (١١٠٦ - ١١٠٧ م)
	الفصل الثالث :
١٠٣	فتيلوس (١١١٨ - ١١٢٠ م)
	الفصل الرابع :
١٢٣	يوحنا الوردبرجى (١١٦٠ - ١١٧٠ م)
	الفصل الخامس :
١٤٣	ايو فروزين (١١٦٢ - ١١٧٢ م)

(١) ما بين الاقواس بعثم المرحلة الزمنية التى من المرجح أن الرحلة جرت خلالها ، وهى موضع خلاف بين الباحثين ، ويحاول كل منهم أن يدلوه بدلوه فيها .

الصفحة	الموضوع
	الفصل السادس :
١٧	بنيامين التطيلي (١١٦٣ - ١١٧٠ م)
	الفصل السابع :
١٩	ثيودريش (١١٧١ - ١١٧٣ م)
	الفصل الثامن :
٢١	بتياحيا الراتسبونى (١١٧٤ - ١١٨٧ م)
	الفصل التاسع :
١٣	يوحنا فوكاس ١١٨٥ م
٣٣	الخاتمة :
٣٩	الخرائط :
٤٩	الملاحق :
٨٨	قائمة المختصرات
٨٩	قائمة المصادر والمراجع :

رقم الايداع بدار الكتب المصرية

٩١/٩٣٥٢

الرقم الدولي

I.S.B.N.

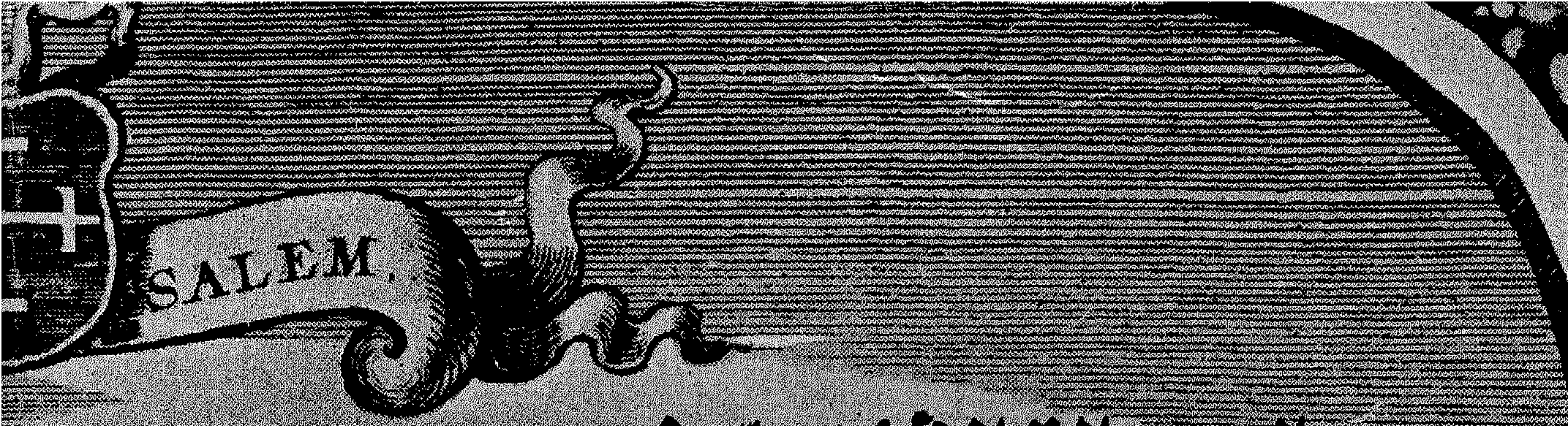
9 - 069 - 208 - 977



Department of the Alexandria Library (DL)
Alexandria, Egypt

شركة دار الاشباع للطباعة
١٤ شارع عبد الحميد - جنينة قاميش

ت : ٣٦٣.٤٦٩



الرحالة الأوربيون

في مملكة بيت المقدس الصليبية

